

الْفَتْهُ الْكُبْرَى

بِشْرَحِ قَطْفِ الشَّيْخِ

فِي بَيْكَانِ

عَقِيدَةِ أَهْلِ الْأَثَرِ

لِصَدِّيقِ بْنِ مَسِينٍ الْقَنُوجِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

تَأْلِيفُ

أَبِي عَمْرٍو عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُسِينٍ الْجَبُورِيِّ

تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَدْلَانَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (الْجَبُورِيِّ) مَهْظَةِ اللَّهِ تَعَالَى

الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

دار الأمانة
للنشر والتوزيع

الْفَيْهِي الْأَكْبَرُ

بِشَرْحِ قُطُوفِ الشَّيْخِ

وَفَيْهِي

عَقِيدَةِ أَهْلِ الْأَثَرِ

لِإِسْرَافِي بْنِ مَسِينٍ الْقُنُوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع القانوني : ٢٠٠٨/٨٢٤٥

دار الأناضول

٢٨ منية التحرير / مبني التسويج عين شمس الشرقية - القاهرة / ج.م.ع

ت ٢٦٣٦٣٧٨٦ ٢٦٤٢٣٢٣ فاكس

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alathar.com البريد الإلكتروني : Info@dar-alathar.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم فضيلة الشيخ العلامة يحيى الحجوري حفظه الله

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما يجب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

لا معطي لا منع، ولا مانع لما أعطى.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث من ربه بالبينات والهدى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي الأحلام والنهى.

أما بعد:-

فقد قرأت بعض كتاب «الفقه الأكبر بشرح قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر»، للشيخ الفاضل أبي عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله؛ فرأيت شرحة مباركة، بذل فيه هذا الشيخ المبارك جهدًا طيبًا بما نرجو أن يكون هذا السفر في عقيدة السلف مرجعًا مهمًا لا يُستغنى عنه في بابه.

كما نرجو أن يجعل الله مؤلفه مرجعًا للمسلمين، وينشر على يديه كثيرًا من علوم هذا الدين، وبالله التوفيق.

كتبه يحيى بن علي الحجوري.

ربيع أول ١٤٢٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشرح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].
أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وإن أهم ما يعتني به المسلم هو تصحيح عقيدته التي عليها مدار الهدى والضلال، فيصفيها من شوائب البدع والمحدثات، وبغذها بكتاب الله المتين وصحيح سنة رسول الله ﷺ، سواء كان تعلمًا وتفهمًا وسؤالًا لأهل العلم المعروفين بالسنة وسلامة المعتقد، أو تدريسيًا وتعليميًا للناس المعتقد الصحيح الصافي، أو دعوة

وتبليغاً: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أو تأليفاً وتحقيقاً، وأي باب طرقت رأيت أن أهم شيء فيه هو باب العقيدة، لذا فإن من تلك الكتب النافعة كتاب «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» وقد يسر الله تحقيقه وطبعه رجاء أن ينفع الله به.

وهذا شرحه أسأل الله أن يجعل فيه البركة، والنفع.

عملي في هذا الكتاب

إن عملي في هذا الكتاب فيما خرج عن الشرح، هو كالتالي:

- ١- قمت بتخريج الأحاديث والحكم عليها.
- ٢- إذا كانت الأحاديث في «الصحيحين» أو أحدهما خرجتها فقط بأرقامها وذكرتها مع صحابتهما، والعزو للصحيحين لا يحتاج بعده إلى حكم؛ لأننا قد كفيينا بالإمامين البخاري ومسلم عليهما رحمة الله.
- ٣- خرجت الآيات القرآنية من مواضعها من السور.
- ٤- ترجمت للمصنف وعرفت بالكتاب.
- ٥- تعقبت المصنف رحمه الله فيما أخطأ فيه.
- ٦- قابلت على الأصل، وهي عبارة عن مطبوع طُبع في حياة المؤلف حصلت عليها من مكتبة المؤلف في «لَكنُو» بالهند.
- ٧- جعلت المتن بين قوسين مسبقاً بقولي: قوله: هكذا (بسم الله الرحمن الرحيم)، والمتن بلون غامق.
- إلا في مواضع يسيرة في أوائل الكتاب - من الآيات التي قدمها المصنف بـ«قوله»- فلا أقول: قوله حتى لا يتكرر الكلام؛ وهذا ظاهر أنه من كلام المصنف.
- ٨- أما الشرح فقد استفدت من شروح الكتب التي نقل منها المؤلف؛ كشروح الواسطية، كشرح هراس، وشرح عبد العزيز الرشيد، وشرح فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله، وغيرهما.

واستفدت من كتب التفسير فيما يتعلق بالتفسير؛ كتفسير الطبري، والقرطبي، وزاد المسير، لابن الجوزي، ولم يمنعني من ذكر هذه المراجع عقب كل فائدة نقلتها إلا دفعًا للإطالة؛ وكنت ذكرتها في البداية فرأيت أن الحواشي تثقل الكتاب، وأغلبها - كما تقدم - كتب متكررة، وحاصلها ما تقدم ونظائرها، ولم آت بجديد سوى مجرد الجمع من كلام العلماء، وما نقلته بنصه عزوته إلى مصدره.

تنبيه:

شرح هذا الكتاب كان على فترات؛ فلذا قد تختلف أحيانًا بعض الطبعات للكتاب الواحد من حيث العزو إلى أرقام الصفحات.

قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر

هذا الكتاب كما يحمل اسم عقيدة أهل الأثر (أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية الطائفة المنصورة، السلف الصالح فمن سار على نهجهم) فهو يعتبر أجمع متون العقيدة.

ومصنفه رحمه الله لم يترك في كتابه هذا من «الواسطية» شيئاً يذكر، وكذا نقل فصولاً من «الاقتصاد في الاعتقاد» لعبد الغني المقدسي، ومن «أصول السنة» للإمام أحمد، وذكر كل أبواب العقيدة وذكر أبواباً من العقيدة لا تراها في «لمعة الاعتقاد» ولا «الطحاوية» ولا «الواسطية».

فذكر باب النذر، وباب الرؤيا (أي المنامية)، والتوسل، وهذا مما فات غيره، وبعضها قد يفوت بعضهم دون بعض، كالتوسل، وعلامات الساعة، وغيرها. وذكر فصلاً في آخره في هجران أهل البدع، وفصلاً في اتباع الكتاب والسنة، وليس الخبر كالمعاينة، وما راء كمن سمع، والذي يقرأ في الكتاب قراءة مستفيد يجد بغيته، والنقص والخطأ ما سلم منه كتاب غير كتاب الله سبحانه وتعالى، فإنه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ لأنه ﴿نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

فحقيقة لم تر عيناى كتاباً في العقيدة (من المتون)، جمع ما جمع صديق في قطف الثمر.

فأسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يجزيه خيراً وأن يتجاوز عنا وعنّه إنه على كل

شيء قدير.

سبب شرح هذا الكتاب

كانت لدي رغبة منذ أعوام أن ييسر الله لي كتاباً جامعاً لمسائل الاعتقاد أجعل له شرحاً يكون لي مرجعاً في أبواب العقيدة، وأهضم فيه هذا الباب، وأعتبره طلب علم لنفسي.

فمن ثمّ وقفت في مكتبتنا بدار الحديث بدماج أثناء التنقيب والبحث على كتاب «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» فرأيت كتاباً جمع فأوعى، وهو شامل لأبواب العقيدة.

فعرضته على شيخنا الجليل يحيى بن علي الحجوري مشورة ونصحاً واستفادة منه لما علمناه، ولمسنا منه من ذلك، فسر بالكتاب، وشجعني على هذا الموضوع، فجزاه الله خيراً.

ثم استعنت بالله في شرح هذا الكتاب، وفي غضون ذلك كنت أخرج وأحقق ما مرّ بي من الأحاديث والآثار من مصادره، وأحكم عليه إلا ما كان في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخرجه من مصدره فقط؛ لأن ما في الصحيحين يكفي تخرجه منهما، إن كان فيهما أو في أحدهما.

وفي غضون ذلك وبعد أن زدت على ثلثي الكتاب شرحاً وتحقيقاً بدا لي أن أفرد التحقيق حتى يُتَنَفَّع من الكتاب وحده، ومن التعليق عليه، فيطبع منفرداً لعل الله ينفع به.

وقد طُبع بحمد الله التحقيق، لكن مما تجدر الإشارة إليه؛ أنني عند أن بدأت في الكتاب لم يكن عندي مخطوط، ولذا فلقد أرسلت المُحَقِّقَ اعتماداً على المطبوع، وذلك

بعد محاولة من بعض إخواننا مع المحقق الأول للحصول على المخطوط، لكن بدون جدوى.

ثم لما يسر الله سبحانه الرحلة إلى بلاد الهند للدعوة، حصلت على المخطوط، وهو عبارة عن مصور عن مطبوع، طُبع في حياة المؤلف رحمه الله. وأسأل الله أن يُبارك في هذا العمل، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، ويرغب فينا، ويسر نشر الخير، وأسأله أن يسد خطانا على الخير، والقيام به حتى نلقاه.

ترجمة المصنف

هو العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري، ويتصل نسبه بالنبي ﷺ من ولد علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم. مولده:

ولد سنة ١٢٤٨.

ونشأ بموطنه بلدة قنوج وما إليها من الأقطار الهندية، فهو مولده ومسكنه ومرباه ومجتهده وداره ومثواه. من أشهر مشايخه:

١- أخوه الأكبر: أحمد بن حسن.

٢- الشيخ محمد صدر الدين خان الدهلوي.

٣- الشيخ القاضي حسن بن محسن السبعي الأنصاري.

٤- الشيخ المعمر الصالح عبد الحق بن فضل الله.

٥- الشيخ تقي الدين محمد يعقوب الدهلوي.

٦- المحدث الفاضل الشيخ يحيى بن محمد بن أحمد الحازمي قاضي عدن

وغيرهم.

عقيدته:

كان المصنف رحمه الله قد تأثر بكتب أهل الكلام في بداية الأمر فنقل من كلامهم ما يخالف عقيدة السلف الصالح.

وفي أثناء هذا صنف كتابه في التفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، عشرة أجزاء - كما في الأعلام - الذي أطلع عليه الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله فرآه مخالفاً لعقيدة السلف فراسله وبين له الحق، ودله فيها على الكتب المعتمدة ككتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهم الله جميعاً.

وصديق بن حسن رحمه الله قد حجَّ سنة (١٢٨٥) ومكث في الحرم نحو أربعة أشهر كما ذكر في كتابه (رحلة الصديق إلى البيت العتيق)، فلعله التقى هنالك بعلماء في الحرم ومشايخ السنة فبينوا له الحق، والله أعلم.

وطالب الحق ليس كغيره من أصحاب الهوى فقبل صديق بن حسن منه هذه النصيحة الذهبية الغالية، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه.

وأما ما جاء في آخر الكتاب أن تأريخ تأليف الكتاب متقدم على رسالة حمد بن عتيق فلا إشكال فيه، إذ لا مانع أن يكون صديق غير في الكتاب أو زاد أو نقص بعد وصول رسالة حمد بن عتيق، بدليل ظهور تأويل المصنف في كتبه التي قبل رسالة حمد ابن عتيق والله أعلم.

ولعل ما حصل له قديماً من الخطأ في التأويل، بسبب أنه ينقل عن غيره ولا يتبين ما فيه، كما قال شيخنا مقبل رحمه الله في شرحه لمقدمة مسلم، والله أعلم.

ثم لعله انتبه لذلك وأقبل المصنف رحمه الله بعد ذلك على كتب السلف ومن صار على نهجهم ونصر مذهب السلف رحمه الله ودافع عنه ورد على من خالفه فعاد سلفياً صافي العقيدة منهجاً، منافحاً عن الحق وأهله متبرماً من الباطل وأهله ومناوئاً له ونائياً وناهيّاً عنه، والذي يقرأ في كتابه هذا «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» يرى بوضوح وجلاء صحة ما قلته؛ ولست بحاجة لنقل أمثلة على ذلك من الكتاب، لاسيما والكتاب بين يديك فارجع إليه، والخطأ لا يسلم منه أحد من البشر إلا من عصم الله تبارك وتعالى.

رسالة الشيخ حمد بن عتيق^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم الشريف المقدم المسمى محمد الملقب صديق زاده الله من التحقيق وأجاره في مآله من عذاب الحريق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالملوجب للكتاب إبلاغ السلام والتحفى والإكرام شيد الله بك قواعد الإسلام ونشر بك السنن والأحكام. اعلم وفقك الله أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم راسخ وطريقة مستقيمة يقال له صديق فنفرح بذلك ونسر لغربة الزمان وقلة الإخوان وكثرة أهل البدع والأغلال.

ثم وصل إلينا كتاب «الحطة» و«تحرير الأحاديث» في تلك الفصول، فازددنا فرحاً، وحمدنا لربنا العظيم؛ لكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، وكان لي ابن يتشبث بالعلم، ويحب الطلب، فجعل يتوق إلى اللحق بكم والتخرج عليكم، والالتقاط من جواهركم؛ لذهاب العلم في أقطارنا وعموم الجهلة وغلبة الأهواء. فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله، فرأينا أمراً عجيباً ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله وما قرب منه لما من التفاسير التي تصل إلينا من التحريف والخروج عن طريقة الاستقامة وحمل كلام الله على غير مراد الله وركوب التفاسير في حملة على المذاهب الباطلة، وجعلت السنة كذلك.

(١) هذه الرسالة أرسلها الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله إلى صديق بن حسن، وقد نقلها محقق الكتاب الأول من مشاهير علماء نجد ص ٤٥، وتقلتها منه لأن الكتاب غير موجود لدينا.

فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد منشييه وسلامة عقيدته، وتبعده من تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام، فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلِيمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

فالحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً كما يحب ربنا ويرضى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فزاد اشتياق التائق وتضاعفت رغبته ولكن العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة والله على كل شيء قدير، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس.

فمن العوائق تباعد الديار وطول المسافات، فإن مقرنا في فلج اليمامة ومنها: خطر الطريق، وكثرة القطاع، وتسلب الحرامية في نهب الأموال واستباحة الدماء، وإخافة السبيل.

ومنها: ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك، من رافضي وجهمي إلى معتزلي ونحوهم، وكلهم أعداء قاتلهم الله.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، ومع ذلك فنحن نرجو أن يبعث الله لهذا الدين من ينصره وأن يجعلنا من أهله وأن يسهل الطريق ويرفع الموانع ونسأله أن يمن بذلك فهو القادر عليه ولما رأينا ما من الله به عليكم من التحقيق وسعة الاطلاع وعرفنا تمكنكم من الآلات وكانت نونية ابن القيم المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» بين أيدينا ولنا بها عناية ولكن أفهامنا قاصرة وبضاعتنا مزجاة من أبواب العلم جملة، وفيها مواضع محتاجة إلى البيان ولم يبلغنا أن أحداً تصدى لشرحها غلب على الظن أنك تقدر على ذلك فافعل ذلك يكن من مكاسب الأجور وهي واصله إليك إن شاء الله، فاجعل قراها شرحها وبيان

معناها وأصلح في النية ذلك تكن حرباً لجميع أهل البدع، فإنها لم تبق طائفة منهم إلا ردت عليها.

فهذان مقصدان من بعثها إليك، أحدهما: شرحها، والثاني: الاستعانة بها على الرد على أهل البدع؛ لأن مثلك يحتاج إلى ذلك لكونك في زمان الغرابة وبلاد الغربية فإن كنت حريصاً على ذلك فعليك بكتاب «العقل والنقل»، و«التسعينية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة»، و«الجوش الإسلامية» لابن القيم، ونحوهن من كتبهما، فإن فيهما الهدى والشفاء.

ولنا مقصد رابع مهم، وهو: أن هذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ١٢٩٧ هجرية، فنظرت فيه وفي هذا الشهر في شوال فتجهز الناس للحج ولم أتمكن إلا من بعضه، ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق.

وظننت أن لذلك سببين، أحدهما: أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد إتمامه، والغالب على من صنف الكتب كثرة ترداد وإبقائه في يده سنين يبيده ويعيده ويمحو ويثبت ويبدل العبارات، حتى يغلب على ظنه الصحة غالباً، ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك.

والثاني: أن ظاهر الصنيع أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة وأخذت من عبارتهم بعضاً بلفظه، وبعضاً بمعناه، فدخل عليك شيء من ذلك، ولم تمنع النظر فيها، ولهم عبارات مزخرفة فيها الداء العضال، وما دخل عليك من ذلك فنقول إن شاء الله بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل، وهو قليل بالنسبة إلى ما وقع فيه كثير ممن صنف في التفسير وغيره.

وإذا نظر السني المنصف في كثير من التفاسير وشرح الحديث وجد قلته وما هو أكثر منه، وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه مسلك أهل التأويل، مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم التأويل مختصرة، وهي كافية ومطلعة على أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل وأنه من ذلك القليل.

وكذلك في التفسير من مخالفة أهل التأويل ما يدل على ذلك.

وأنا اجترأت عليك وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك؛ لأنه غلب على ظني إضفاؤك إلى التنبيه؛ ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التنبيه والمذاكرة وعدم التكبر، وإن كان القائل غير أهل.

ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك أنك تحب الاجتماع بأهل العلم وتحرص على ذلك، وتقبل العلم ولو ممن هو دونك بكثير، فرجوت أن ذلك عنوان توفيق جعلك الله كذلك وخيرًا من ذلك.

واعلم أرشدك الله! أن الذي جرينا عليه أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير أو شرح حديث اخترناه، واعتبرنا معتقده في العلو والصفات والأفعال، فوجدنا الغالب على كثير من المتأخرين أو أكثرهم مذهب الأشاعرة الذي حاصله نفي العلو، وتأويل الآيات في هذا الباب بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي وأضرابه من أهل البدع والضلال.

ومن نظر في شروح البخاري ومسلم ونحوهما وجد ذلك فيها، وأما ما صنف في الأصول والعقائد فالأمر فيه ظاهر لذوي الألباب، فمن رزقه الله بصيرة ونورًا وأمعن النظر فيما قالوه، وعرضه على ما جاء عن الله ورسوله وما عليه أهل السنة المحضة تبين له المنافاة بينهما، وعرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار،

فأعرض عما قالوه وأقبل على الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة وأئمتها، ففيه الشفاء والمقنع.

وبعض المصنفين يذكر ما عليه السلف وما عليه المتكلمون ويختاره ويقرره، فلما اعتبرنا هذا التفسير وجدناك وافقتهم في ذكر المذهبين، وخالفتهم في اختيار ما عليه السلف وتقريره.

وليتك اقتصرت على ذلك ولم تكبر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع، فإنه لا خير في أكثره، وما فيه من شيء صحيح، فقد وجد في كلام السلف وأئمة السنة ما يغني عنه بعبارات تنشرح لها الصدور.

وقد يكون لكم من القصد نظير ما بلغني عن الشوكاني رحمه الله لما قيل له: لأي شيء تذكر كلام الزيدية في هذا الشرح؟ قال ما معناه: لا من الإعراض عن الكتاب، ورجوت أن ذكر ذلك أدعى إلى قبوله وتلقيه.

وقد قيض الله لكتب أهل السنة المحضة من يتلقاها ويعتني بها، وأظهرها مع ما فيها، من الرد على أهل البدع وعيبيهم، وتكفير بعض دعائهم وغلاتهم، فإن الله قد ضمن لهذا الدين أن يظهر على الدين كله.

والمقصود: أن في هذا التفسير مواضع تحتاج إلى تحقيق، ولنذكر بعض ذلك، فمنه: أي نظرت في الكلام على آية الاستواء فرأيتك قد أطلت الكلام في بعض المواضع بذكر كلام المبتدعة النفاة كما تقدم.

ومنه: أن في الكلام تعارضاً، كقولكم في آية يونس: وظاهر الآية على أنه سبحانه إنما استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض، لأن كلمة (ثم) للترتيب، ثم قلتم في سورة الرعد: و«ثم» هنا لمجرد العطف لا للترتيب، لأن الاستواء عليه غير

مرتب على رفع السماوات. وكذلك قلتم في سورة السجدة: وليست «ثم» للترتيب، بل بمعنى الواو.

فليُنظر في هذا من وجهين:

أحدهما: أن ظاهره التعارض.

الثاني: أن القول بأن «ثم» لمجرد العطف لا للترتيب في هذه الآيات، إنما يقوله من فسر الاستواء بالقهر والغلبة، وعدم الترتيب ظاهر على قولهم. وأما السلف وأئمة السنة وأهل التحقيق فقد جعلوا اطراد الآيات في جميع المواضع دليلاً على ثبوت الترتيب، وردوا به على نفاة الاستواء، وأبطلوا به تأويلاتهم، كما هو معروف، ومقرر في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، فانظر من أين دخلت عليك هذه العبارات.

وقد رأيت للرازي عبارة في التفسير تفهم ذلك، فلعلك بنيت على قوله، وهذا الرجل وإن كان يلقب بالفخر فله كلام في العقائد قد زل فيه زلات عظيمة، وآخر أمره الحيرة، نرجو أنه تاب من ذلك ومات على السنة. فلا تغتر بأمثال هؤلاء.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «المحصل»:

وسائر كتب الكلام والمختلف أهلها مثل كتب الرازي وأمثاله، وكتب المعتزلة والشيعة والفلاسفة، ونحو هؤلاء، لا يوجد فيها ما بعث الله به رسوله في أصول الدين، بل وجد فيها حق ملبوس بباطل. انتهى من «منهاج السنة».

وقد قال بعض العلماء في «المحصل»:

محصل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله أصلاً بلا دين

أصل الضلال والشرك المبين وما فيه وأكثره وحي الشاطين

فكيف تسمح نفس عاقل أن يعتمد على مثل قول هؤلاء؟!

ومن ذلك: أنكم قلتم في سورة يونس، أيضًا: استوى على العرش استواء يليق بجلاله، وهذه طريقة السلف المفوضين. وقد تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود انتهى.

فإن كان المراد بالتفويض ما يقوله بعض النفاة وينسبونه إلى السلف، وهو: أنهم يمرون بالألفاظ، ويؤمنون بها من غير أن يعتقدوا لها معان تليق بالله، أو: أنهم لا يعرفون معانيها، فهذا كذب على السلف من النفاة.

وإذا قال السلف: كما جاءت بلا كيف، فإنما يتفون علم الكيفية ولم يتفوا حقيقة الصفة. ولو كانوا قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما لا يليق بالله لما قالوا الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، وأمروها كما جاءت بلا كيف، فلا استواء لا يكون حينئذ معلومًا بل مجهولًا بمنزلة حروف الجر.

وأيضًا فإنه لا يحتاج إلى نفس علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفس علم الكيفية إذا ثبتت الصفات.

هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ولا نشك أن هذا اعتقادك، ولكن المراد أنه دخل عليك بعض الألفاظ من كلام أهل البدع لم تتصور مرادهم، فتنبه لمثل ذلك.

وأما قول القائل: يتقدس الديان عن المكان، فهذا لم ينطق السلف فيه بنفي ولا إثبات، وهو من عبارات المتكلمين، ومرادهم به نفي علو الله على خلقه؛ لأن لفظ المكان فيه إجمال، يحتمل الحق والباطل، كلفظ الجهة والعلو.

والكلام في ذلك معروف في كتب شيخ الإسلام وابن القيم فارجع إلى ذلك تجده، ولا نطيل به، وحسب الاقتصار في هذا الباب على ما ورد في الكتاب والسنة، كما قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومن ذلك ما ذكرتم عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: ١١].

وقد قيل: إن خلق جرم الأرض مجد على السماء، ووجودها متأخر.

وقد ذكرها جماعة من أهل العلم هذا جمع جيد يجب المصير إليه.

وفي ﴿حم﴾ السجدة الجواب: أن الخلق ليس عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط، بل عبارة عن التقدير أيضًا، والمعنى ﴿قضى﴾ أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء.

والجواب المشهور: أنه خلق الأرض أولاً، ثم خلق السماء بعدها، ثم دحا الأرض وحدها، والأول أولى، ففي هذا نوع تعارض.

ومن ذلك قولكم على البسملة والرحمة: إرادة الخير والإحسان لأهله.

وقيل: ترك عقوبة من يستحق العقاب، وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحقه، فهو على الأول صفة، وعلى الثاني صفة فعل انتهى.

وهذا هو التأويل المعروف عن بعض أهل البدع، يردون هذه الصفات إلى الإرادة فرارًا مما فهموه، حيث قالوا: إن الرحمة ورقة القلب لا يصلح نسبتها إلى الله تعالى.

فقال لهم أهل السنة: هذه رحمة المخلوق، ورحمة الرب تليق بجلاله، لا يعلم كيف هي إلا هو، ويلزمهم في الإرادة نظير ما فروا منه في الرحمة؛ فإن الإرادة هي: ميل القلب، فإما أن تثبت إرادة تليق بالرب تعالى وهو الحق في جميع الصفات، وإما أن تقابل بالتأويل وهو الباطل.

والآفة دخلت على النفاة من جهة أنهم لم يفهموا من صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوق، فذهبوا لينفوا ذلك ويقابلونه بالتأويلات.

قال شيخ الإسلام: إنهم شبهوا أولاً، فعطلوا آخرًا.

وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله جميع الصفات على ما يليق بجلاله، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، فسلموا من التشبيه والتعطيل، من ذلك: أنكم أكثرتم في هذا التفسير من حمل بعض الآيات على المجاز وأنواعه، وقد علمتم أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز حدث بعد القرون المفضلة، ولم يتكلم الرب به، ولا رسوله، ولا أصحابه، ولا التابعون لهم بإحسان، والذي يتكلم به من أهل اللغة يقول في بعض الآيات: هذا اللغة، ومراده أن هذا مما يجوز في اللغة، لم يرد بهذا الحادث ولا خطر بباله ولا سيما وقد قالوا: إن المجاز يصح نفيه، فكيف يليق حمل الآيات القرآنية على مثل ذلك.

وقد أتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب «الإيمان الكبير» بما كفى وشفى، وذكر الآيات التي استدلو بها، وبعض الأمثلة التي ذكروها، وأجاب من ذلك بما إذا طالع المصنف عرف الصواب.

وقواعده أن المجاز لا يخل في النصوص، ولا يهولك إطباق المتأخرين فإنهم قد أطبقوا على ما هو شر منه، والعاقل يعرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال.

ومن عرف غربة الإسلام والسنة لم يغتر بأقوال الناس وإن كثرت، الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. ومن أبلغ الناس بحثاً في المعاني الزمخشري، وله في تفسيره مواضع حسنة، ولكنه معروف بالاعتزال، ونفي الصفات، والتكلف في التأويلات، والحكم على الله بالشرعية الباطلة، مع ما هو عليه من سبه السلف، وذمهم، والتنقص لهم، وفي تفسيره عقارب لا يعرفها إلا الخواص من أهل السنة.

وقد قال فيه بعض العلماء:

ولكنه فيه مجال لقائل وزلات سوء قد أخذن المخانقا
ويشهد في معنى القليل إشارة بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقول فيها الله ما ليس قائلًا وكان مجمًا في الخطاية وامقا
ويشتم أعلام الأئمة ضلة ولا سيما إن أولجوه المضائقا
لئن لم تداركه من الله رحمة لسوف يرى للكافرين مرافقا

والمقصود: أن الاعتماد على مثل أقوال هؤلاء لا يليق بالمحقق، لا سيما فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده. وأنت ترى مثل محمد بن جرير الطبري، وأقرانه، ومن قبله، ومن يقربه في زمانه، لم يعرج على هذه الأمور. وكذلك المحققون من المتأخرين كابن كثير ونحوهم. وكما هو المأثور عن السلف رحمهم الله تعالى وما استنبطوا منه.

نسأل الله أن يلحقنا بأئثار الموحدين، ويحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة، بمنه وكرمه.

وقد اجترأت عليك بمثل هذا الكلام نصحاء لله ورسوله، رجاء من الله أن ينفع بك في هذا الزمان، الذي ذهب فيه العلم النافع، ولم يبق إلا رسومه، وأنا أنتظر منك الجواب، ورد ما صدر مني من الخطاب.

ثم إني لما رأيت الترجمة، وقد سُمّي فيها بعض مصنفاتك، وكنت في بلاد قليلة فيها الكتب. وقد ابتليت بالدخول في أمور الناس؛ لأجل ضرورتهم، كما قيل: خلا لك الجو فيضي واصفري. والتمس من جنابك تفضل^(١) علينا بـ«بلوغ السؤل من أفضية الرسول»، و«الروضة الندية شرح الدرر البهية» و«نيل المرام شرح آيات الأحكام». فنحن في ضرورة عظيمة إلى هذه كلها، فاجعل من صالح أعمالك معونة إخوانك ومحبيك بها، وابعث بها إلينا مأجورًا إن شاء الله تعالى. وليكن ذلك على يد الأخ أحمد بن عيسى، الساكن في مكة المكرمة المشرفة، واكتب لنا تعريفًا بأحوالكم. ولعل أحدًا منكم من يتلقى هذا العلم، ويعتني به، ويحفظه عنك، وحرص على ذلك طمعًا أن يجمع لك شرف الدنيا والآخرة، ونسأل الله أن يهب لك ذلك.

ثم اعلم أني قد بلغت السبعين وأنا في معترك الأعمار، لا آمن هجوم المنية، ولي أولاد ثمانية، منهم ثلاثة يطلبون العلم، كبيرهم سعد المذكور أولاً، يليه عبدالعزيز، وتحتة عبد اللطيف، ونرجوا أنهم أهل للكتب ومن يعتز بها ويحفظها. وبقيتهم صغار منهم من هو في المكتب.

ومن دعائنا: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]. لا تنسنا من صالح دعائك كما هو لك مبذول.

(١) كذا ولعل صوابه (تفضلًا).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.
انتهى نص الرسالة.

ثناء العلماء عليه:

قال الشيخ عبد الرزاق البيطار:

كان ملياً بالعلوم، متضلعا منها بالمنطوق والمفهوم، مجتهداً في إشاعتها، مجدداً لإذاعتها مع كونه يرى ذاته الشريفة كأحد المسلمين، ويتواضع مع كل واحد من الناس لله رب العالمين، ويتحاشى كماله عن الدنيا وزخارفها، يتجافى بقلبه عن مراقبها ومطامعها، وإحياء السنة المليئة في ذلك المكان بالأدلة البيضاء من السنة والفرقان.

فهو سيد علماء الهند في زمانه، وابن سيدهم الذي برع فضلاً في عصره وأوانه، فخضعت له النواصي.

اهـ من «حلية البشر» (٢/٧٤٥).

ويقول عنه الشيخ محمد منير الدمشقي:

محبي السنة، قانع البدعة، الذي افتخرت به بهو فال. على جميع الأقطار. اهـ من كتاب «السيد صديق حسن القنوجي» لأختر جمال لقمان ص (٩٨).

وقال عنه معاصره السيد عبدالحى الحسني، كما في المرجع السابق ص (٩٩):
علامة الزمان، وترجمان الحديث والقرآن، محبي العلوم العربية، وبدر الأقطار الهندية. اهـ

مؤلفاته:

نحو مائتين وثلاثين مؤلفاً بالعربية وغيرها، منها مما هو بالعربية:

- ١- «فتح البيان في مقاصد القرآن».
- ٢- «نيل المرام في تفسير آيات الأحكام».
- ٣- «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة».
- ٤- «الخطبة في ذكر الصحاح الستة».
- ٥- «الروض البسام من ترجمة بلوغ المرام».
- ٦- «فتح العلام شرح بلوغ المرام».
- ٧- «عون الباري لحل أدلة البخاري».
- ٨- «الانتقاد الرجيع بشرح الاعتقاد الصحيح».
- ٩- «الدين الخالص».
- ١٠- «الغنة ببشارة الجنة لأهل السنة».
- ١١- «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر»، وهو هذا الكتاب.
- ١٢- «حصول المأمول من علم الأصول».
- ١٣- «الروضة الندية شرح الدر البهية».
- ١٤- «البلغة في أصول اللغة».
- ١٥- «العلم الخفاق في علم الاشتقاق».
- ١٦- «التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول».
- ١٧- «رياض الجنة في تراجم أهل السنة».

١٨ - «أبجد العلوم».

جهوده المختلفة:

لقد قام صديق بن حسن بجهود علمية مختلفة ، وأعمال متنوعة ، كلها في خدمة الإسلام والمسلمين فمنها:

الدعوة إلى الله كتابة وخطابة.

قيامه بواجب التعليم ، والتدريس ، وتشجيع طلاب العلم.

أنشأ عدة مدارس ومعاهد علمية بعد زواجه بملكة بهوبال.

أنشأ أربع مطابع في بهوبال ، ولا يخفى ما في هذا من الفائدة لنشر الكتب ، والخير للناس.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بذل جهداً مشكوراً عليه في نشر عقيدة السلف ، حتى حاربه أعداؤه بدعوى أنه ينشر المذهب الوهابي!

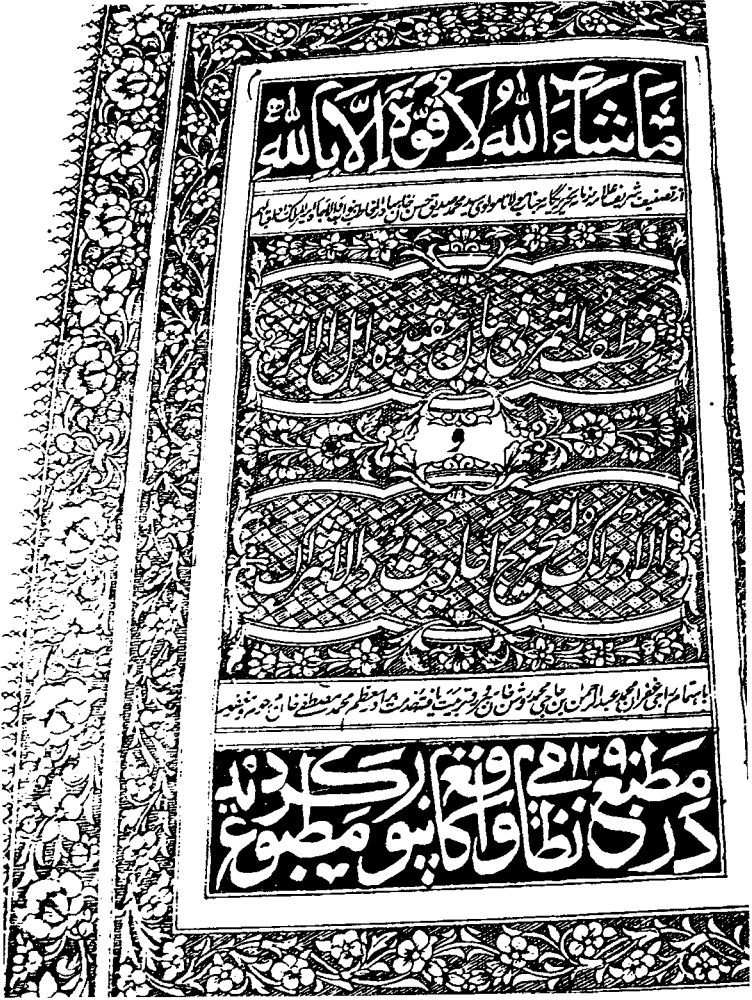
وغيرها من الأعمال الصالحة التي نرجو أن تكون في ميزان حسناته.

وفاته:

كانت يوم الأربعاء، بعد صلاة العشاء، ١٩ / جماد الآخر / سنة ١٣٠٧، وغسل يوم الخميس بعد الفجر، وصُلي عليه.

وكان قد أوصى أن يدفن على السنة، فنفذت وصيته، فرحمه الله رحمة واسعة.
مصادر ترجمته «أبجد العلوم» له نفسه (٣ / ٢٧١ - ٢٨٣)، و«الأعلام» للزركلي (٦ / ١٦٧ - ١٦٨)، وكتاب «السيد صديق حسن القنوجي» للدكتور أختر جمال لقمان، رسالة جامعية في ترجمته.

وصف المخطوط



غلاف الأصل

خاتم الط

[illegible]

الصفحة الأخيرة من الأصل

فهرس قطب الثمري في بيان عقيدة أهل الأثر	
١٧	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالجنة ولا ينقص ما وعد بالنار
١٨	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
١٩	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
١٩	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢٠	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢٠	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢٠	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢١	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢١	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢٢	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢٢	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢٣	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢٣	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢٥	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة
٢٨	أن الله تعالى لا يبدل ما وعد بالنار ولا ينقص ما وعد بالجنة

النص المشروح

البسملة

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم):

بدأ المصنف - رحمه الله - كتابه بالبسملة تأسيًا بالكتاب العزيز المنزل على النبي ﷺ، اقتداءً بالنبي ﷺ في مكاتباته للملوك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ مَنْ فِيهِ إِلَى قَال: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جِيَءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ: وَكَانَ دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ جَاءَ بِهِ، فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمٍ بُضْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمٌ بُضْرَى إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ: فَقَالَ هِرَقْلُ: هَلْ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ، فَأَجْلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ أَيْكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا، فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا لِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذَّبُوهُ.

قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْ لَا أَنْ يُؤْثِرُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَّبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فَيَكُم؟

قَالَ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟

قَالَ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: أَيَّبَعُهُ أَشْرَافُ النَّاسِ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟

قَالَ قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟

قَالَ قُلْتُ: لَا بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةٌ لَهُ؟

قَالَ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟

قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟

قَالَ قُلْتُ: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالًا يُصِيبُ مِنَّا وَنُصِيبُ مِنْهُ.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟

قَالَ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا، قَالَ: وَاللَّهِ مَا

أُمَكَّنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أَدْخُلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: لَا.

ثُمَّ قَالَ لِزُجْجَانِهِ قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسْبِهِ فَيَكُمُ، فَرَعَمْتَ أَنَّهُ فَيَكُمُ دُو

حَسْبِ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ،

فَرَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مَلِكَ آبَائِهِ، وَسَأَلْتُكَ

عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضْعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ، فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ،

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَرَعَمْتَ أَنْ لَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ لِيَدْعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ
مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخَطَةٌ لَهُ، فَرَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ
بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَرَعَمْتَ أَنَّهُمْ يُزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ
الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَرَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الْحَرْبُ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَجَالًا يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمْ
الْعَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَرَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ
هَلْ قَالَ أَحَدٌ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، فَرَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ
قُلْتُ رَجُلٌ أَتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِمِ يَأْمُرُكُمْ؟

قَالَ قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّلَاةِ وَالْعَفَافِ.

قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ وَلَمْ أَكُ أَظُنُّهُ
مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَأَخْبَيْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ
قَدَمَيْهِ، وَلَيُبَلِّغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا
فِيهِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى
مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنِّي أَذْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ
تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ إِلَى قَوْلِهِ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ اِرْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ، وَكَثُرَ اللَّعْطُ، وَأَمَرَ بِنَا فَأَخْرَجْنَا، قَالَ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَدَعَا هِرْقُلَ عُظَمَاءَ الرُّومِ، فَجَمَعَهُمْ فِي دَارٍ لَهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرَّشْدِ آخِرَ الْأَبَدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ؟ قَالَ: فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَقَالَ عَلِيُّ بِهِمْ، فَدَعَا بِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي إِنَّمَا اخْتَبَرْتُ شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمْ الَّذِي أَحْبَبْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ.

رواه البخاري برقم (٤٥٥٣)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

وقول أبي سفيان: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ: أَمْرٌ: عَظَمٌ، وَابْنُ أَبِي كَبْشَةَ: يَعْنُونَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، وَعَادَةُ الْعَرَبِ إِذَا انْتَقَصَتْ نَسَبَتْ إِلَى جَدٍّ غَامِضٍ.

ثم اختلفوا: من هو ابن أبي كبشة؟

- فقيل: أحد أجداده من قبل أمه.

- وقيل: من قبل أبيه.

- وقيل: هو أبوه من الرضاغة، واسمه الحارث بن عبد العزى، وأن له بنتاً تسمى

كبشة يكنى بها. انظر فتح الباري (١/ ٥٣) ط الريان.

وفي صحيح مسلم برقم (١٧٨٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا

النَّبِيَّ ﷺ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيِّ: «اكَتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ» قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللَّهِ فَمَا نَدْرِي مَا بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقَالَ: «أَكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ» قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَاتَّبَعْنَاكَ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ»، فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّْا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْكُتُبُ هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمُخْرَجًا».

وأما حديث أبي هريرة: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتَر».

رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٧٧/٥) وغيره، وهو ضعيف جداً في سنده أحمد بن محمد بن عمران الجندي. انظر الإرواء رقم (١).

والباء في بسم الله متعلقة بمحذوف وتقديره فعلاً خاصاً مؤخراً لاثقاً بالمقام، فإن كان في قراءة التقدير أقرأ، وإن كان في التأليف أألف، وهكذا. وتقديره فعلاً أولى من تقديره اسماً عاماً؛ لأننا لو قدرناه اسماً لكان عاماً ولكن مصدرًا والمصدر لا يعمل محذوفاً على الصحيح.

وأيضاً الخاص أولى بالمقام من العام لأنه أدل بالمطلوب. ولأن الأصل في العمل الفعل على الصحيح فيكون الجار والمجرور متعلق بالفعل، وقلنا مؤخراً لأمرين:

١- الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظاً وتقديراً، فالله تعالى مقدم ذاتاً، فقدم ذكرًا ليوافق الاسم المسمى.

٢- لإفادة التخصيص؛ لأن ما حقه التأخير إذا قدم أفاد التخصيص ففي قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] تقديم ما حقه التأخير وهو إياك فقدم ذلك تيمناً بالبدء باسم الله سبحانه وتعالى.

وأما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] فَقَدَّمَ المقصود الأهم في الآية وهو القراءة لأنها أول ما نزل عليه ﷺ فكان الأنسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء والاهتمام بها. وحذفت همزة الوصل في الاسم خطأ كما حذفت لفظاً، وكتبت الباء متصلة بالسین لكثرة الاستعمال تخفيفاً^(١).

وهي (أي الباء) للاستعانة وللتبرك. والعبد لا بد له في كل وقت وحال من منتهى يطلبه هو إلهه، ومنتهى يطلب منه مستعانه، وذلك هو صمده الذي يصمد إليه في استعانه وعبادته في الناس. وأقسام الاستعانة أربعة:

- ١- أن يعبد غير الله ويستعينه، فهذا شرك.
 - ٢- أن يعبد الله ويستعين غيره، وهذه إن كان فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك.
 - ٣- أن يستعين بالله وإن عبد غيره، وهذا شرك.
 - ٤- أن لا يعبد إلا الله ولا يستعين إلا به، وهذا هو الواجب على المسلم.
- والاستعانة: هي طلب العون والتأييد والتوفيق من الله. فإن طلبت الإعانة من غير الله فيما يقدر عليه المطلوب منه جاز.

(١) انظر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل (١/٣٧).

على أن من ترك فهو أفضل؛ لحديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَّامَ نُبَايَعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ، وَتُطِيعُوا - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ.

رواه مسلم برقم (١٠٤٣).

وأما تعريف الاسم في اللغة فهو: ما دل على مسمى.

وفي العرف: ما دل مفردًا على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان.

وأما اشتقاقه ففال البصريون مشتق من السمو وهو العلو؛ لأنه يدل على مسهباه فيعليه ويظهره.

وقال الكوفيون: من السمة وهي العلامة.

والراجح: الأول؛ لأنه يصغر على سمي، ولو كان من السمة لكان يصغر على

الوسيم.

وهل الاسم هو المسمى أم غيره؟

هذه المسألة من المسائل التي لم يتكلم فيها السلف رحمهم الله تعالى، وإنما أحدث القول فيها أهل الكلام، فاحتاج أهل السنة والجماعة إلى تبيين القول فيها، واختلف الناس فيها إلى ثمانية أقوال:

الأول: إن الاسم غير المسمى، وهذا قول الجهمية، ومرادهم أن أسماء الله غير الله، وما كان غيره فهو مخلوق، وقد اشتد نكير السلف عليهم؛ حتى قال الشافعي والأصمعي وغيرهما: إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى فاشهد عليه أنه زنديق.

الثاني: إن الاسم هو المسمى وهذا قول كثير بعض المنتسبين إلى السنة كالبعوي واللالكائي وأنكر أكثر أهل السنة هذا القول لأن الاسم لو كان هذا المسمى لكنت إذا قلت (نار) احترق لسانك وهذا ليس مرادهم بل مرادهم اللفظ فإذا قيل يا زيد مثلاً فليس المراد دعاء اللفظ بل المراد دعاء المسمى باللفظ، وذكرت الاسم فصار المراد بالاسم هو المسمى.

الثالث: إن الأسماء ثلاثة: فتارة يكون الاسم هو المسمى كاسم الوجود، وتارة يكون غير المسمى كاسم الخالق، وتارة لا يكون هذا المسمى ولا غيره كالعليم القدير وهذا القول هو المشهور عن أبي الحسن الأشعري في أحد قولي.

الرابع: إن الاسم من المسمى، وقد كان هذا في كلام الإمام أحمد.

وتارة قول: الأسماء الحسنی له أي المسمى ليس من الأسماء.

الخامس: أسماء الباري لا هي عين الباري، ولا هي غيره، وهذا قول بعض

الكلابية.

السادس: إن الاسم: يراد به المسمى تارة، كقولك قال الله اسمه الله، ويراد به

اللفظ، والదال عليه تارة أخرى كقولك الله اسم عربي والرحيم من أسماء الله تعالى،

وهذا قول ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ١٢٧).

السابع: إن القول في الاسم والمسمى من الحماقات المبتدعة التي لا يعرف فيها قول لأحد من الصحابة أو التابعين، فالواجب الإمساك والتوقف عن القول في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا، وهذا قول إبراهيم الحربي وأبي جعفر بن جرير الطبري.

الثامن: إن الاسم للمسمى، وهذا قول جمهور أهل السنة وهؤلاء وافقوا الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن السنة حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا؛ مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوِثْرَ».

رواه البخاري برقم (٢٧٣٦) ومسلم رقم (٢٦٧٧) وهذا سياقه.

ووافقوا المعقول وهو الراجح.

راجع مجموعة الفتاوى (١٨٥ / ٦ - ٢١٣) ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء

الله الحسنی.

قوله: (الله):

أي في بسم الله: هذا علم ربنا وإلهنا معبودنا، وهو أعرف المعارف على الإطلاق. حاز كل كمال على الإطلاق ومدح وثناء وكل مجد وبر وعطا، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنٍ قَدَمِيهِ - وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ - وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

رواه مسلم برقم (٤٨٦).

تكرر في كتاب الله تعالى هذا الاسم في أكثر من ألفين وخمسمائة مرة.

قال العلامة ابن القيم رحمته الله:

لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية، وساقها، ثم قال:

وأما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق عليه السلام: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وكيف نحصي خصائص اسم لمسامه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود وفضل وبر، فله ومنه.

فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنياً، ولا مستوحش إلا آتسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه. فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات.

وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط، ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عبد رب العالمين وحده، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور، وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه، فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا،

فالخلق به، وإليه، ولأجله، فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئاً منه منتهياً إليه، وذلك موجه ومقتضاه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.
اه من فتح المجيد (ص ٢٠-٢١).

مالك يوم الدين: ورب العالمين وإله الأولين والآخرين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النمل: ٤٠].
وبيده ملكوت كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٤٠]، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فيا عجباً كيف يعصى الإله	أم كيف يحجده الجاحد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه الواحد

وهل هو مشتق أم جامد؟

على قولين:

أحدهما: زعم السهيلي وتبعه ابن العربي أنه غير مشتق، وقال: لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه سبحانه قديم لا مادة له فيستحيل اشتقاقه.
ولا شك أنه إن أريد بالاشتقاق ما قاله فهو معنى باطل.

ثانيهما: قال الكسائي والفراء وسيبويه وجمهور أصحابه: أصله الإله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام فصارتا لاماً واحدة مشددة ومفخمة (أي أنه مشتق).

ولا شك أن من قال بالاشتقاق ولم يرد المعنى السابق، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي صفة الإلهية كسائر أسمائه الحسنی من العليم والقدير فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له، فما جوابكم عن هذه الأسماء؟

كان جوابهم: إننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى؛ لأنها متولدة منها تولد الفرع من أصله.

فكذلك يكون القول في هذا، والنحاة عندما يطلقون المصدر والمشتق ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

فلفظ (الله) مشتق مأخوذ من الإله وهو دائماً المألوه أي المعبود. ولكونه مستحقاً للألوهية مستلزم لصفات الكمال فلا يستحق أن يكون معبوداً لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراذبه وجهه سبحانه فهو باطل ومردود. وهو لفظ عربي على الصحيح عند الأكثر.

قوله: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ):

اسمان مشتقان من رحم بجعله لازماً بنقله إلى باب فعل بضم العين وبتنزيله منزلة اللازم إذ هما صفتان مشبهتان وهي لا تشتق من متعدد.

فالرحمن ذو الرحمة الواسعة جداً؛ لأن وزن فعلان في اللغة: يدل على الامتلاء زيادة، وهو أبلغ من الرحيم من هذه الحيشة.

الرحيم اسم يدل على الفعل وهو ذو الرحمة الكثيرة. وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع، وتصوير بليغ؛ وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول

للو صف والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا، فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُمْ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها. اهـ من بدائع الفوائد (١/٢٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١/١٤):

وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم كتب الرسائل، واختلف القدماء فيما إذا كان الكتاب كله شعراً فجاء عن الشعبي منع ذلك، وعن الزهري قال مضت السنة أن لا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم، وعن سعيد بن جبير جواز ذلك، وتابعه علي ذلك الجمهور، وقال الخطيب هو المختار. اهـ.

الحمد

قوله: (الحمد لله).

الحمد لله في اللغة: الثناء وهو ضد الذم.

واصطلاحاً: هو ذكر محاسن المحمود مع محبته وتعظيمه وإجلاله، فإن تكرر فهو الثناء.

انظر مدارج السالكين (١/ ٣٦) ط دار الحديث، وشرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٩).

وفي صحيح مسلم برقم (٣٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ - ثَلَاثًا - غَيْرُ تَمَامٍ» فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ، فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ؛ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ قَالَ: مَجَدَّنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

واللام في الحمد للاستغراق فجميع المحامد كلها لله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي

الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١].

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وقال الله جل في علاه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرُ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

وغيرها من الآيات الكثيرة.

وهذا يتضمن مدحه تبارك وتعالى بصفات الكمال المطلق، ونعوت الجلال الأعظم مع محبته وتعظيمه والخضوع له جل شأنه.

وإثبات ما أثبتته لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ فيما صح عنه من اسم أو صفة. فلا يكون حامداً لله عز وجل من جحد شيئاً من صفاته تبارك وتعالى، أو أسمائه، أو لم يحقق كمال عبوديته من خضوع وذل والتجاء، فله الحمد على أسمائه الحسنی وصفاته العلی، وعلى جميع نعم الله الظاهرة والباطنة. أما من ظن أن له إله يحمد وليس موصوفاً بصفات، فهذا يحمد معدوماً وهذا إله الجهمية.

فإذا لم يكن متصفاً بالعلم والقدرة والقوة والقهر والعلو، والكرم، وكذا جميع الصفات الثابتة، فعلام يحمد إلا إذا كانت نفي عيوب ونقائص تتضمن إثبات أضدادها من الكمالات الثبوتية، وإلا فالنفي المحض لا حمد فيه ولا مدح ولا كمال، فالحمد حقيقة تابعة لثبوت أوصاف الكمال، فالحمد مستلزم لإثبات هذه الأوصاف وإنكارها نفي للحمد.

راجع مدارج السالكين (١/ ٢٥-٢٨).

وقد ثنى المصنف رحمه الله تعالى بعد البسملة بالحمد لله اقتداءً بكتاب الله عز وجل في سورة الفاتحة، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وكذا كان النبي ﷺ يفتتح خطبه بالحمد والثناء على الله عز وجل ففي صحيح مسلم برقم (٨٦٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفْهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ

أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ قَالَ: فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءٍ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ، لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ».

قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ قَالَ فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ».

قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضَمَادٌ.

وفي الصحيحين وغيرهما جملة كبيرة من خطب الرسول ﷺ.

وأما حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع»، فضعيف لا اضطراب الرواة على الزهري، والصحيح فيه الإرسال، وراجع الإرواء برقم (٢).

والحمد يكون في مقابل النعمة، ويقال عند المحنة، ولذا فمورده اللسان والقلب.

بخلاف الشكر، فالشكر هو البذل في مقابل نعمة، قال الشاعر:

الشكر بذل العبد ما أولاه مولاه من نعماه في رضا

فالشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٨٣٧) ومسلم برقم (٢٨١٩) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَّ رِجْلَاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُضَنُّ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

ورواه البخاري برقم (٤٨٣٧) ومسلم (٢٨٢٠) عن المغيرة رضي الله عنه.
وقال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فالحمد يقتضي المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان الإحسان إلى الحامد، أو لم يكن.

والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر.

فالله سبحانه محمود على جميع أسمائه وصفاته ومشكور على نعمه، فيها عموم وخصوص وجهي.

فالحمد أعم سبباً من حيث الموجب له من نعمة، أو غيرها، وأخص متعلقاً من حيث أنه يتعلق باللسان والقلب فقط.

والشكر أعم من الحمد متعلقاً من حيث الأداة من حيث أنه متعلق باللسان والقلب والجوارح.

وأخص سبباً من حيث الموجب له وهو النعمة فقط.

وشروط الحمد ثلاثة هي:-

الأول: إذا أعطاك الله شيئاً تعرف من أعطاك: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

الثاني: أن ترضى بما أعطاك الله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

الثالث: ما دامت قوته في جسدك لا تعصيه.

انظر تفسير القرطبي (١/ ١٣٤).

قوله: (الذي هو كما وصف نفسه):

أي الله سبحانه وتعالى له أوصاف متصف بها أوصاف الكمال والجلال والتصرف المطلق، والملك التام التي من أجلها استحق سبحانه وتعالى الحمد، والصفة هي المعنى القائم بالذات.

وهذه الأوصاف وصف بها نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

قوله: (فوق ما يصفه به خلقه):

أي لا كما وصفه أهل التعطيل سواء كانوا محرفين، أم ممثلين؛ فأهل التحريف تصوروا إثبات الصفات التي أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ تصوروا في ذلك مشابهة للخلق فحرفوا صفاته تعالى، وجعلوه إلهًا لا يتصف بشيء شبيهاً بالعدم.

ومنهم من أثبت بعض الصفات على خلاف ما أثبتته السلف الصالح - أي على خلاف ما أراده الله تعالى - كالأشاعرة، وهم شر من الأولين، ومنهم أهل التمثيل الذين قالوا ثبت لله كل شيء كما في المخلوق كالكرامية.

وكلا الطرفين على طرفي نقيض، والحق الوسط إثبات الصفات التي وردت في الكتاب والسنة كما أراد الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فلا تمثيل ولا تعطيل.

قال ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (١/ ٢٠٧):

وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه، ولا تعطيل، باللبن الخالص السائق للشاربين يخرج من بين فرث (التعطيل)، ودم (التشبيه)، والمعطّل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً.

قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته:

ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه. اهـ

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

فنزّه نفسه عما تصفه به الطائفتان، وسلم على المرسلين الذين وصفوه سبحانه بصفات كما أراد الله جل وعلا.

وفي هذا إطلاق لفظ الصفة وإضافتها إلى الله تعالى كما في الآية المتقدمة، وإنما نزّه نفسه سبحانه عن وصف أهل التعطيل والتمثيل، ولم ينزّه نفسه سبحانه وتعالى عن صفاته.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:

«سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ».

رواه البخاري برقم (٧٣٧٥) ومسلم برقم (٨١٣).

وكتب أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين طائفة بذكر صفات الله.

وصفات الله تبارك وتعالى تنقسم إلى قسمين:-

الأول: صفات ذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال الله عز وجل متصفاً بها، ولا تنفك عنه هذه الصفات، وهي قسمان:

أ- صفات خبرية: وهي التي مسماها بالنسبة لنا أبعاد وأجزاء، كالوجه واليدين والعينين.

ب- صفات معنوية كالعلم والرحمة والمغفرة.

الثاني: صفات فعلية: وهي التي تتعلق بمشيئة الله متى شاء فعلها، ومتى شاء لم يفعلها، وهي قسمان:

أ- صفات لها سبب معلوم كالرضى، والغضب، والمغفرة، فهذه متى وجد سببها من المخلوق فعلها.

ب- صفات ليس لها سبب، كالنزول إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير كما في الصحيحين عن أبي هريرة، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على النزول. وصفة الفوقية ثابتة لله عز وجل بالكتابة والسنة.

فأما الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

ومن السنة أدلة كثيرة منها عروج النبي ﷺ إلى السماء وهو في الصحيحين عن أبي ذر، ومالك بن صعصعة، وجاء عن غيرهما، وستأتي ألفاظها في المعراج إن شاء الله. وفيه إثبات صفة النفس، وسيأتي الكلام علي هذه الصفة إن شاء الله تعالى.

الصلاة والسلام

قوله: (ثم الصلاة والسلام):

الصلاة لغة الدعاء، قال الله جل في علاه: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢].

والصلاة من الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى.

ومن الملائكة الاستغفار والدعاء.

ومن غيرهم التضرع، والدعاء بخير، والتعظيم لأمره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

صفة الصلاة على النبي ﷺ:

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ. إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

رواه البخاري برقم (٣٣٦٩) ومسلم (٤٠٧).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيتُ كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ

عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

رواه البخاري برقم (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا التَّسْلِيمُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ».

رواه البخاري برقم (٤٧٩٨).

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَمَكَّنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ».

رواه مسلم برقم (٤٠٥).

والمشهور من عمل أهل العلم أنهم يقولون: ﷺ في غير الصلاة، وهذا اختصار

لها لكن بعضهم أسقط (وعلى آله)، والذي ينبغي هو ذكرها.

والسلام على النبي ﷺ ذكر في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلَامُ عَلَى مِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ - فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدَ مِنَ الْكَلَامِ مَا شَاءَ».

رواه البخاري رقم (٦٢٣٠) ومسلم (٤٠٢).

وأيهما أفضل أن تقول: عليه الصلاة والسلام، أم صلى الله عليه وعلى آله وسلم

كما فهمه بعض أهل العلم؟

لا شك أن ظاهر القرآن يحتمل قوله: عليه الصلاة والسلام، وما في معناه، لكن الذي ورد في سنة رسول الله ﷺ، والسنة شارحة وموضحة للقرآن.

وهل يُصلى على غير النبي ﷺ؟

أما إذا كان على سبيل التبعية كالصلاة على آل النبي ﷺ تبعاً للصلاة عليه كقولك ﷺ، فهذا جائز بالإجماع.

كما قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤٨١ / ١):

وأما الأنبياء إذا أفردوا فالصلاة عليهم جائزة لورود الأدلة بذلك وهي كثيرة، وكذا الملائكة.

وأما من عداهم فتركه الصلاة عليهم، وقد كرهه مالك والجمهور.

أما ما استدل به من أجاز ذلك من حديث عبد الله بن أبي أوفى، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ»، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى».

رواه البخاري برقم (١٤٩٧) ومسلم (١٠٧٨).

ونحو هذا، فهو خاص بالنبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

فعن ابن عباس أنه قال: لا تصلوا صلاة على أحد إلا على النبي ﷺ ولكن يُدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار لهم.

رواه الإمام إسماعيل بن إسحاق الجهنى القاضى المالكي (١٩٩-٢٨٢) بتحقيق الشيخ الألباني رحمه الله في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، وهو صحيح.

ولم يكن السلف رضوان الله عليهم يقولون أبو بكر ﷺ، ولا عمر ﷺ وهكذا. وعمل السلف أنهم لم يكونوا يقولون هذا لا للمتصدق، ولا لغيره، يدل على أنه خاص بالنبي ﷺ، ولكن كما قال: ابن عباس يُدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار لهم.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (١٨٤/٧):
وَأَمَّا قَوْلُ السَّاعِي: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فُلَانٍ، فَكَرِهَهُ جُمْهُورُ أَصْحَابِنَا، وَهُوَ مَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمَالِكٍ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ.

وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: وَيُحْزِرُ ذَلِكَ بِلَا كَرَاهَةٍ هَذَا الْحَدِيثُ، قَالَ أَصْحَابُنَا: لَا يُصَلَّى عَلَى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا تَبَعًا؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ فِي لِسَانِ السَّلَفِ مَخْصُوصَةٌ بِالْأَنْبِيَاءِ - صَلَاةَ اللَّهِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِمْ -، كَمَا أَنَّ قَوْلَنَا: (عَزَّ وَجَلَّ) مَخْصُوصٌ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَكَمَا لَا يُقَالُ: مُحَمَّدٌ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا جَلِيلًا، لَا يُقَالُ: أَبُو بَكْرٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ صَحَّ الْمَعْنَى.

وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ هَلْ هُوَ نَهْيٌ تَنْزِيهِ أَمْ مُحَرَّمٌ أَوْ مُجَرَّدُ أَدَبٍ، عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: الْأَصَحُّ الْأَشْهَرُ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ كَرَاهَةٌ تَنْزِيهِ؛ لِأَنَّهُ شِعَارٌ لِأَهْلِ الْبِدْعِ، وَقَدْ تُهِينَا عَنْ شِعَارِهِمْ، وَالْمَكْرُوهُ هُوَ مَا وَرَدَ فِيهِ نَهْيٌ مَقْصُودٌ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَيَقَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَاتَّبَاعِهِ؛ لِأَنَّ السَّلَفَ لَمْ يَمْنَعُوا مِنْهُ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِهِ فِي التَّشَهُّدِ وَغَيْرِهِ. اهـ.

والسلام بمعنى التحية، والسلامة من النقائص والردائل.

وقيل المعنى اسم الله عليك واستدل له بقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وكلا المعنيين صحيح، وتقدمت صفة السلام.

والجمع بين الصلاة والسلام على النبي ﷺ هو الأفضل والأكمل للآية السابقة.

قوله: (على رسوله محمد):

الرسول مشتق من رسل، وهو أصل يدل على الإنبعث، وهو من أرسل من عند الله برسالة يبلغها إلى البشر يتتابع عليه الوحي.

قال الله تعالى في ذكر رسالة نبينا محمد ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿[الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ
مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

وهل هنالك فرق بين النبي والرسول؟

النبي مشتق من نبأ، وهو أصل يدل على الاتيان من مكان إلى مكان وبه سمي
النبأ: الخبر، ومعناه المنبئ عن الله المبلغ شرعه.

وأجيز ترك الهمزة تخفيفاً.

وقال سيبويه: أن الهمزة في النبي لغة رديئة.

وقيل: مشتق من النبو، وهو العلو والارتفاع.

وقيل: مشتق من النبي بمعنى الطريق، وسمي النبي؛ لأنه طريق إلى الهدى،
والأول عليه أكثر أهل اللغة، وهو أقرب.

والصحيح الذي عليه الأدلة التفريق بين النبي والرسول، وقد خاض الناس في
هذا، فمنهم من فرق ومنهم من لم يفرق.

وحاصل الفرق: هو أن النبي هو من أوحى إليه بأمر، ونهى وخبر وأمر بتبليغه لقوم يؤمنون به ويعرفون ما جاء به حقاً وأنه من عند الله كما يقول أهل الشريعة الواحدة، ويقبلون ما يبلغه العلماء من الرسول، فمهمة الأنبياء كمهمة العلماء.

وأما الرسول فهو من أوحى إليه، وأرسل إلى مخالفين كفار، لا يعرفون ما جاء به فيدعوهم إلى توحيد الله، ويكذبونه وقد يقع بينه وبينهم نزاع، وقد يكون له أتباع، وقد لا يكون.

وهذا ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير وغيرهما.

راجع مباحث المفاضلة في العقيدة (ص ١٠٣-١١١)، وتنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول للشيخ محمد الإمام.

واسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ويتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وروى البخاري برقم (٤٨٩٦) ومسلم برقم (٢٣٥٤) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي أَسْمَاءٌ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُخْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٣٥٥) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ».

ولا تعارض بين الحديثين حيث أنه اقتصر في حديث جبير على الأقل، وهو يدخل تحت الأكثر، وجاء من حديث حذيفة بنحو الحديثين المتقدمين وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣/ ٣٧١).

وقال شيخنا رحمه الله عقب الحديث:

هذا وما سرد في بعض المصاحف من أسماؤه حتى انتهوا بها إلى تسعة وتسعين فهو قول مبتدع.

العبادة

قوله: (عبده الذي تبين من كل شيء رشده وصدقه):

قال الله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].
تعريف العبادة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩-١٥٠):
العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر
الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،
والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل،
والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة وأمثال ذلك من
العبادة.

وكذلك حب الله، ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له،
والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه. اهـ.
فوصف الله جل وعلا نبيه ﷺ بالعبودية في أكمل أحواله:
الأولى: في الإسراء، كما في هذه الآية.

الثانية: في مقام الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

الثالث: في مقام الوحي، قال الله جل في علاه: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

الرابعة: في مقام النبوة، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

الخامسة: في مقام التحدي، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ووصف الله جملة من أنبيائه ورسله بالعبودية لله تعالى، فقال تعالى في وصف نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال تعالى في وصف عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

وقال تعالى في وصف الملائكة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

ووصف خيار عباده المؤمنين بالعبودية، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وأقسامها ثلاثة هي:

الأول: عبودية عامة: هي عبودية أهل السماوات، وأهل الأرض كلهم لله عز وجل، البر والفاجر، المسلم والكافر، فهذه عبودية القهر والملك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

الثاني: عبودية خاصة: هي عبودية عباد الله المؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿يَا عِبَادَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨].

الثالث: عبودية خاصة الخاصة: وهذه خاصة بالأنبياء قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١].

وأركانها اثنان: قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حبه

مع ذل عابده هما قطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله

لا بالهوى والنفس والشيطان

وأقسام الناس فيها ثلاثة:-

الأول: الذي استسلم لله فقط، ولم يستسلم لغيره، وهو في الباطن مؤمن بالله ورسوله ﷺ عن صدق وإخلاص فهذا هو المؤمن.

الثاني: الذي استسلم لله في الظاهر لكنه غير مؤمن بالباطن، وهؤلاء هم المنافقون وهم في الدرك الأسفل من النار يصلون ويصومون لكنهم غير مؤمنين بالله ورسوله ﷺ في الواقع.

الثالث: الذي استكبر عن الله، ولم يستلم الله فهذا كافر مستكبر على الله، مثل فرعون وإبليس، وإن اعترف في الباطن وصدق بالله باطنًا فظاهره غير منقاد لله، وغير متسلم.

وأفضل الخلق أعبدهم الله عز وجل وأطوعهم له، ومن زعم أنه يصل إلى مقام ينقطع عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله عز وجل وبرسوله ﷺ، وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله والانسلاخ من دينه فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، واليقين هو الموت بإجماع أهل التفسير.

والرسول ﷺ الذي اتضح له وبان وأنجلي له الرشد. والرشاد ضد الغي، ويقال راشد ورشيد إذا أصاب وجه الأمر والطريق، وأرشده الله أي هداه.

أقسام الهداية

والهداية أربعة أقسام هي:

١- الهدية العامة المشتركة بين الخلق كلهم قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

٢- هداية البيان والدلالة والإرشاد والتعريف لنجدي الخير والشر، والنجاة والهلاك، وهذه الهداية تستلزم الهدى التام، وهذه الهداية يتصف بها الأنبياء والرسل، والدعاة إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

٣- هداية التوفيق والإلهام وهي المستلزمة للاهتداء، فلا تخلف عنها، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣].

٤- غاية الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلها إليهما، قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

وقال الله تعالى عن أهل النار: ﴿اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

راجع بدائع الفوائد (٢/ ٣٥-٣٨).

الآل

قوله: (وعلى آله):

الآل مشتق من أهل، وقلبت الهاء همزة فقليل آل، ثم سهلت على قياس أمثالها
فقليل آل بدليل تصغيره على أهيل.

وأما آل النبي ﷺ فاختلف فيهم على خمسة أقوال:-

الأول: أنهم الذين حرمت عليهم الصدقة.

الثاني: أنهم ذرية الرسول ﷺ.

الثالث: أنهم أتباع الرسول ﷺ.

الرابع: أنهم الأتقياء من أمة النبي ﷺ.

الخامس: أنهم أهل الكساء.

والصحيح من هذه الأقوال القول الأول لما روى البخاري برقم (١٤٨٥) وهذا
لفظه، ومسلم (١٠٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى
بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ، فَيَجِيءُ هَذَا بِتَمْرِهِ، وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ
تَمْرٍ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً
فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَظَرَّ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ، فَقَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ».

وعند البخاري برقم (٢٠٦٩) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
بُخْبُزٍ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَا لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وَأَخَذَ
مِنْهُ شَعِيرًا لِأَهْلِهِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صَاعُ بُرٍّ وَلَا صَاعُ حَبٍّ وَإِنَّ عِنْدَهُ لَيَسْعَ نِسْوَةٌ.

وروى مسلم برقم (٢٤٠٨) عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدَّثَنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَقَدَّمَ عَهْدِي، وَتَسَيْتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَأَقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى مُحَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ».

فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَرَغَبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

فَقَالَ لَهُ حُصَيْنُ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

وكذا يدخل فيمن تحرم عليهم الصدقة آل ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب
لحديث عبد المطلب^(١) بن ربيعة بن الحارث لما بعثه أبوه والعباس هو والفضل بن
عباس إلى النبي ﷺ ليأمرهما على الصدقة فقال لهما رسول الله ﷺ: «إن الصدقة لا
تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس».

رواه مسلم برقم (١٠٧٢) ذكرته مختصراً.

ويلى هذا القول الثاني: فذريته من أهل بيته لما تقدم، لحديث عائشة أَنَّ فَاطِمَةَ
عَلَيْهَا السَّلَام أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ
ﷺ تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَفَدَكٍ، وَمَا بَقِيَ مِنْ مُحْسٍ خَيْرٍ، فَقَالَ أَبُو
بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ
هَذَا الْمَالِ»، يَعْنِي مَالَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكُلِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعِيرُ شَيْئًا مِنْ
صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا أَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَشْهَدَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَقَّهُمْ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي.

رواه البخاري برقم (٣٧١٢) ومسلم برقم (١٧٥٨-١٧٥٩).

وكذا أزواجه لهذا الحديث ولقوله تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ
إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقرن
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ

(١) الراجع أن اسمه «المطلب» كما في الإصابة (٣١٧/٤).

وَرَسُولُهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿[الأحزاب: ٣٢-٣٤].

فما قبل الآية وبعدها في زوجات النبي ﷺ فدل على أنهن داخلات في أهل بيته.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٣٦٩) ومسلم برقم (٤٠٧) عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُولُوا: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ».

وأما ما تقدم في حديث كعب بن عجرة وأنه ليس فيه ذكر الأزواج والذرية، فيحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ غيره، فالمراد بالآل في التشهد الأزواج ومن حرمت عليهم الصدقة ويدخل فيهم الذرية.

فبذلك يجمع بين الأحاديث، وقد أطلق على أزواجه ﷺ آل محمد في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ.

رواه البخاري برقم (٥٣٧٤) ومسلم برقم (٢٩٧٦)، وغيره من الأحاديث.

وانظر كلام الحافظ في الفتح (١١/ ١٦٤).

وأما قول بعضهم لو كانت الصدقة حراماً عليهن لحُرمت على مواليهن، كما أنها لما حرمت على بني هاشم حرمت على مواليهم، وفي صحيح البخاري برقم (٥٠٩٧) ومسلم برقم (١٥٠٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ فِي بَرِيرَةَ ثَلَاثُ سُنَنِ: عَتَقْتُ فَخَيْرْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ».

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبُرْمَةٌ عَلَى النَّارِ، فَقُرِبَ إِلَيْهِ خُبْزٌ وَأُذْمٌ مِنْ أَذَمِ الْبَيْتِ، فَقَالَ: «أَلَمْ أَرِ الْبُرْمَةَ؟» فَقِيلَ: لَحْمٌ تُصَدِّقُ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ، وَأَنْتَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، قَالَ: «هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ».

وقول زيد بن أرقم الذي رواه مسلم (٤ / ١٨٧٤) لما قيل له من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا. وإيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

فالجواب: أن تحريم الصدقة على أزواج النبي ﷺ ليس بطريق الأصالة وإنما هو تبع لتحريمها عليه ﷺ وإلا فالصدقة حلال لمن قبل اتصاله به، فهن فروع في هذا التحريم والتحريم على المولى فرع التحريم على سيده، فلما كان التحريم على بني هاشم أصلاً استتبع ذلك مواليهم، ولما كان التحريم على أزواج النبي ﷺ تبعاً لم يقفوا ذلك على استتباع مواليهن لأنه فرع من فروع.

اهـ من جلاء الأفهام (ص ١٢٤).

وأما قول زيد رضي الله عنه فالآية والحديث أصرح في ذلك، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، مع إجلالنا للصحابة رضوان الله عليهم.

وأيضاً أزواج النبي ﷺ هن ميزة دون غيرهن من الأزواج قال الله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فهن يعتبرن أمهات المؤمنين.

وأزواجه ﷺ محرمات على غيره على التأبيد.

وقد خصصن دون غيرهن من الأزواج بتحريم الصدقة، وعدم الميراث واستحقاق الخمس، وكذا الصلاة.

وأما بقية الأقوال فضعيفة، ففي الثالث أنهم أتباع رسول الله ﷺ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤].
وقوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

فهذا فيه أنه يقال لأتباع الرجل: آله، ولكن هذا ليس مرادنا هاهنا، والأدلة المتقدمة ترد هذا القول، فلو كان آل الرسول ﷺ أتباعه لما حلت الصدقة لأحد.
وأما القول الرابع: فأقوى ما عندهم حديث أنس أن رسول الله ﷺ سئل من آل محمد؟ فقال: «كل تقي»، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

رواه الطبراني في الأوسط، وقال: لم يروه عن يحيى إلا نوح تفرد به نعيم، وهو حديث ضعيف جداً، انظر الضعيفة للألباني برقم (١٣٠٤).

وأما القول الخامس: أنهم أهل الكساء، واستدلوا بما روى مسلم برقم (٢٤٢٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرَحَلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتِ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وهذا لا يفيد الحصر في هؤلاء، فلو كان مفيداً للحصر ما دخل أولاد هؤلاء، وأيضاً تقدم في حديث المطلب بن ربيعة ذكر غير هؤلاء في الآل، وكذا في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

فالمهم أن هؤلاء من الآل، ولا ينحصر الآل فيهم. والله أعلم بالصواب.

راجع جلاء الأفهام لابن القيم رحمه الله.

قوله: (وصحبه):

الصحب: جمع صحابي وهو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على ذلك وإن تخللت ردة.

والكلام على ما يتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين سيأتي إن شاء الله في موضعه.

أما ذكرهم في الصلاة على النبي ﷺ فليس عليه دليل نعلمه، والأفضل الاقتصار على ما ورد فيه النص بالصلاة على النبي ﷺ.

قوله: (الذين تمسكوا بهديه واتبعوا سبيله):

التمسك: هو التمسك بالشيء، وأمسك الشيء حبسه.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

أي يؤمنون به، ويحكمون بما فيه.

وهديه ﷺ طريقته وسمته.

أي الذين استمسكوا بطريقة النبي ﷺ التي رسمها لهم، وساروا عليها وطلبوا

هذا السبيل.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فهم طلبوا سبيل الله وصرط الله الذي شرعه على لسان رسوله ﷺ.

قوله: (كما كان حقه):

أي كما كان هذا هو الواجب عليهم.

وروى البخاري برقم (٢٨٥٦) ومسلم برقم (٣٠) عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

كُنْتُ رِذْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ هَلْ تَذَرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى

عِبَادِهِ، وَمَا حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا».

قوله: (وبعد):

هذا شروع في المقصود.

قوله: (فاعلم أن جملة ما عليه):

العلم: هو معرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة^(١).

فأنت عليك أن هذه الأمور التي تسمى بالأصول الثلاثة.

والجملة واحدة الجُمْل، جماعة الشيء وجامع ما تفرق بكامله وإحصاء أفراده ما يعتقدونه ويدين به الله عز وجل.

(١) قاله الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الأصول الثلاثة (ص ٦).

أصحاب الحديث

قوله: (أصحاب الحديث):

أصحاب الحديث أهل الحديث، والصاحب طويل الملازمة، وسُمُّوا أصحاب الحديث وأهل الحديث لطول ملازمتهم للحديث.

والحديث في اللغة: ضد القديم.

وفي الاصطلاح: كل ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. والحديث يشتمل على أصول التوحيد والإيمان، وما يناقضهما أو يخالفهما. وقصص الأنبياء وأخبار الجنة والنار، وما يوصل إليهما من قول أو عمل، وجميع أحكام الدين.

وأهل الحديث هم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية.

فقد روى البخاري برقم (٧٣١١) ومسلم برقم (١٩٢١) عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

رواه البخاري برقم (٣٦٤١) ومسلم برقم (١٠٣٧).

ورواه مسلم برقم (١٩٢٠) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

ورواه مسلم برقم (١٩٢٢) عن حابر بن سمرة.

ورواه مسلم برقم (١٩٢٣) عن حابر بن عبد الله.

ورواه مسلم برقم (١٩٢٤) عن عبد الله عمرو.

ورواه مسلم برقم (١٩٢٥) عن سعد بن أبي وقاص.

وذكر الحديث شيخنا الوادعي رحمه عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في

الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١/ ١١ - ١٣) هم:

قرة بن إياس، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، وعمرو بن حصين.

قال أحمد بن حنبل: وذكر حديث النبي ﷺ «تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة

كلها في النار إلا فرقة»^(١) فقال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري منهم.

وذكر ابن المبارك حديث النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق

لا يضرهم من ناوأهم حتى تقوم الساعة».

قال ابن المبارك: هم عندي أصحاب الحديث.

وقال سفيان الثوري: الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس

الأرض.

وقال يزيد بن زريع: لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث

فكأنى رأيت النبي ﷺ حياً.

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله حيث يذكره المصنف.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: ليس قوم عندي خير من أهل الحديث ليس يعرفون إلا الحديث.

وقال أيضًا: أهل الحديث أفضل من تكلم بالعلم.

وقال عثمان بن أبي شيبة - وكان رأي بعض أصحاب الحديث يضربون -: أما إن فاسقهم خير من عابد غيرهم.

وقال الإمام الأعمش رحمه الله تعالى: من لم يطلب الحديث اشتهر أن أصفه بنعلي.

وكل هذه الآثار ثابتة في شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى.

ولقد أحسن من قال في وصف أهل الحديث:

قناديل دين الله يسعى بحملها	رجال بهم يحيا حديث محمد
هم حملوا الآثار عن كل عالم	تقي صدوق فاضل معتبد
محابرهم زهر تضيء كأنها	قناديل حبر ناسك وسط مسجد
تساق إلى من كان في الفقه عالما	ومن صنف الأحكام من كل مسند

وقال بشر بن الحارث:

لا أعلم على وجه الأرض عملاً أفضل من طلب العلم والحديث لمن أتقى الله وحسنت نيته فيه.

وقال قتيبة بن سعيد: إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وذكر قوماً آخرين فإنه على السنة، ومن خالف هذا فأعلم أنه متباعد.

وهذه الآثار كلها ثابتة في شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى.

والآثار عن السلف في هذا كثيرة.

ويكفي في فضلهم قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].
وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، قَرَّبَ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ».

رواه الترمذي برقم (٢٥٥٦) وأبو داود برقم (٣٦٦٠) وغيرهما، وصححه شيخنا مقبل رحمه الله تعالى في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ٢٦٣).

قال عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد بن قريش العنبري البصري:
كل من ذهب إلى مقالة ففزع منها إلى غير الحديث فإلى الضلالة يصير.
رواه لخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص ١٠٩).

السنة

قوله: (والسنة):

السنة لغة: هي الطريقة قاله الأزهري في تهذيب اللغة (٢٨٦ / ١٢):

والسنة هي الطريقة المستقيمة المحموده، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة.

ومن قول العرب أن السنة الطريقة قول لبيد بن أبي ربيعة:

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها
ومنه قو القائل:

يارب وفقني فلا أعدل عن سنن الساعين خير سنن

وقد تطلق السنة على الطريقة الحسنة أو القبيحة، قال ابن منظور في لسان العرب

(٣٩٩ / ٦):

والسنة السيرة؛ حسنة كانت أو قبيحة، قال خالد بن عتبة الهذلي:

فلا يجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

واصطلاحاً:

قال ابن الأثير في النهاية (٤٠٩ / ٢):

قد تكرر في الحديث ذكر السنة، وما تصرف منها، والأصل فيها الطريقة

والسيرة.

وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهي عنه، وندب إليه

قولاً وفعلًا مما لم ينطق به الكتاب العزيز.

ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة أي القرآن والحديث اهـ.

وأهل الحديث هم أهل السنة، وسموا أهل الحديث لاشتغالهم بالحديث ومعرفة الصحيح من السقيم، والمعلول من السليم.

وسموا أهل السنة للزومهم السنة واستمساكهم بها.

وكما يطلق الحديث على رسول الله ﷺ كذلك يطلق على القرآن حديث كما قال الله تعالى: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣].

كذلك تطلق السنة عليهما، وتطلق على الإسلام، قال الإمام البرهاري المتوفي رحمه الله تعالى سنة (٣٢٩) في شرح السنة:

اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر اهـ.

لكن لما كثرت البدع في أهل الإسلام، وقل المستمسكون بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ اصطلاح أهل الحق على جعل هذا اللقب (وهو لقب أهل السنة) على أهل الحديث الذين هم أهل الحق وأهل الاستقامة الحققة والنجاة.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه كما في مجموع الفتاوى جمع ابن القاسم (٧/ ٢٨٤-٢٨٥):

(أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل، وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماءهم، فعلماءهم شرارهم، والمسلمون على هدى، وإنما يتبين الهدى بعلمائهم فعلماءهم خيارهم، وكذلك أهل السنة أئمتهم خيار الأمة وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب، ولهذا أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج، ونهى عن قتال الولاة الظلمة، وأولئك لهم نعمة في العلم والعبادة، فصار يعرض لهم

من الوسوس التي تضلهم وهم يظنونها هدى فيطيعونها ما لا يعرض لغيرهم، ومن سلم منهم كان من أئمة المتقين مصابيح الهدى وينابيع العلم.
كما قال ابن مسعود لأصحابه:

كونوا ينابيع العلم، مصابيح الحكمة، سرج الليل، جدد القلوب، أحلاس البيوت، خلقان الثياب، تعرفوا في أهل السماء، وتخفون على أهل الأرض اهـ.
ويرى المصنف - رحمه الله - أن المعتقد الصحيح الذي به نجاة الدنيا والآخرة هو ما عليه أهل الحديث والسنة فشرع رحمه الله يبين عقيدتهم، ويجمع شتات المفترق منها في الكتب في كتاب واحد؛ لكي يحصل المسلم عليه بسهولة أو بتعب يسير.

الإيمان بالله

قوله: (هو الإيمان بالله):

الإيمان لغة: الإقرار بالشيء عن تصديق به، بدليل أنك تقول آمنت بكذا، وأقررت بكذا، وصدقت فلاناً ولا تقول آمن فلاناً.

إذا فالإيمان يتضمن معنى زائد على مجرد التصديق، وهو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول للأخبار، والإذعان للأحكام.

راجع الصارم المسلول (ص ٥١٩) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح الواسطية للعثمين رحمهما الله (ص ٤١).

واصطلاحاً: هو قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهناك مزيد للإيمان في موضعه (فصل الإيمان).

والإيمان بالله عز وجل يقتضي الاعتقاد الجازم بأنه لا رب سواه، والخضوع لأمره تعالى وتفويض الأمر إليه، والكفر بأعدائه.

والإيمان بالله يتضمن أموراً أربعة هي:

الأول: الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وتعالى له الوجود

المطلق.

فليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء،

والباطن الذي ليس دونه شيء.

كما روى مسلم برقم (٢٧١٣) عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ». وَكَانَ يَرَوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، والآيات والمعجزات على إثبات وجود الله كثيرة جداً. الثاني: الإيمان بربوبية الله تعالى، وأنه المنفرد بذلك، وأنه لا شريك له ولا معين له.

والرب: من له الخلق والملك والتدبير، فلا خالق إلا الله سبحانه وتعالى، ولا ملك إلا هو، ولا أمر إلا له سبحانه وتعالى قال جل في علاه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

فالله هو المنفرد بالخلق وحده، أما ما ورد عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةَ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَوُبُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مَاذَا أَذُنْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ؛ لَتَقْعُدَ عَلَيْهَا، وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيَقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ».

رواه البخاري برقم (٢١٠٥) ومسلم برقم (٢١٠٧).

فأثبت لغير الله خلقاً، فالجواب أن الخلق هو الإيجاد، وهذا خاص بالله تعالى.

أما تحويل الشيء من صورة إلى أخرى فإنه ليس خلقاً في الحقيقة، وإنما يسمى باعتبار تكوينه.

ثم إن هذا الأمر ما يسميه الأصوليون أمر تعجيز، ولو كان خلقاً حقيقة لما كان فيه تعجيزاً لهم.

والله هو المنفرد بالملك وحده، فإن قلت: قد أثبت الله للمخلوق ملكاً، كقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ [النور: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦].

فالجواب: أن ملك الله عز وجل ملكاً عاماً مطلقاً يتصرف فيه كيف يشاء؛ بإيجاد وإبادة، وإحياء وإماتة، أما ملك المخلوق فملك قاصر، وفي حدود ما شرعه الله عز وجل.

ومثل هذا يقال فيما إذا أورد إشكال في التدبير أن للإنسان تدبيراً؟ فيجواب عليه كما تقدم.

وأمر الله عز وجل شامل للأمر الكوني والأمر الشرعي.

فالأمر الكوني فيما قدر الله في الكون، وحذر منه، وتوعد بالعقاب عليه، والأمر الشرعي فيما قدره الله، وشرعه للعباد، ورغب فيه، ووعد بالثواب عليه، فكما أنه سبحانه وتعالى مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرعه حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات، أو حاكماً في العبادات، فقد أشرك به، ولم يحقق الإيمان به تعالى.

والرب من أسمائه تعالى ثابت بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

وقال: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وفي صحيح مسلم برقم (٤٧٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تَرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

وأثبتته أسماً لله عز وجل جماعة من أهل العلم منهم: سفيان بن عيينة والخطابي والقرطبي وابن القيم وابن الوزير وابن حجر والسعدي وابن عثيمين وغيرهم.

ويطلق الرب بمعنى السيد، ولا يقال في غير الله رب - أي بغير الألف واللام - إلا مضافاً، كـ (رب إبله، ورب البيت)، وهكذا.

ولا يقال الرب معرفاً بالألف واللام مطلقاً إلا الله عز وجل؛ لأنه مالك كل شيء. واختلف في اشتقاقه، وهو مشتق من التربية؛ لأن الله مدبر خلقه ومربيهم ومصدر الرب الربوبية.

وهذا القسم والذي قبله مجرد الاختصار على الإيمان بهما لا يصير صاحبه مؤمناً بل لا بد أن يتوفر معهما غيرهما.

فإن الله يقول: ﴿وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

فهم مقرون بوجود الله، وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، ومع هذا لم يدخلوا في الإسلام حتى يحققوا توحيد الألوهية، ويؤمنوا بتوحيد الأسماء والصفات.

ومن العجب أنك ترى من يدعي العلم، وينتسب إليه، وصنف في هذا القسم زاعماً أنه التوحيد، وأعرض صفحاً عن توحيد الألوهية!

ولم ينقل إنكار توحيد الربوبية إلا عن الشذاذ من الناس كفرعون مع إقراره به في الباطن، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وكذا أهل الطبيعة من ملاحدة الاشتراكية الزنادقة الكفرة الفجرة الذين يقولون: لا إله، والحياة مادة، فأخزاهم الله أيًا خزي، ومزقهم كل ممزق ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣].

الثالث: الإيمان بانفراده بالإلوهية، وذلك بأن يكون عبدًا لغير الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥].

فهو المألوه أي المعبود الحق لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَالْهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقر:١٦٣].

وكل آلهة سوى الله فهي باطلة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].
والأول - أي الربوبية - إفراده تعالى في أفعاله، وهذا إفراده تعالى في أفعال العبد، فلا يصرف شيء من العبادة لغير الله تعالى.

وهذا القسم هو الذي من أجله وقع الصراع بين الإسلام والكفر، ومن أجله بُعثت الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قال الله جل في علاه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ أَخَاهُ هَارُونَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ

يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿الأحقاف: ٢١﴾.

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤].
وقال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزحرف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ آغْضِ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

ومن هذا القسم ضل المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ، واستباح دمائهم، وأموالهم، وأرضهم، وديارهم، وسبى نسائهم وذرائعهم؛ لأنهم لم يؤمنوا بالألوهية، قال الله تعالى مخبراً عنهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

ومن أخل بهذا النوع، وصرف شيئاً منه لغير الله من عبادة؛ نذراً، أو توكلاً، وما أشبهه فهو مشرك، وإن أراد بذلك القربة من الله، قال الله تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

وهذه الأقسام لا يمجدها، ولا ينكرها أحد من أهل القبلة، المنتسبين إلى الإسلام. قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٨٩-٩٠):

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن.

فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

ف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: توحيد، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: توحيد، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: توحيد، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١٧﴾ [الفاتحة: ١-٧]: الذين فارقوا التوحيد.

وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياءه ورسله. قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٨-١٩].

فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الضلال، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به. اهـ.

الرابع: الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، وهو الإقرار بكل ما أثبتته لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ من اسم، أو صفة ومعانيها، أو حكمها الواردة في الكتاب والسنة، وأن له الكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال. وهذا هو الذي كثر فيه الخوض، والأخذ والرد بين المسلمين، ولا يتم إيمان المسلم إلا بتحقيق هذا النوع، بل ومنهم من يسلب عنه الإيمان بالكلية لعدم إقراره وتصديقه به.

مع شرفه وفضله، وإن شرف كل علم بشرف معلومه. ولا شك ولا ريب أن أجل معلوم هو رب السماوات والأرض، ورب العرش الكريم.

وشرف كل شيء بشرف ما أضيف إليه، ولهذا فعلم الأسماء والصفات أجل العلوم، وأشرفها، وأفضلها؛ لأنه متعلق بالواحد الأحد الحي القيوم بالجبار المتكبر

العزیز الحمید من له الحکمة البالغة، والمشیئة النافذة، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبیاء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

فمن لم يعرف الله فكيف يعبدہ وهو یجهله؟ قال الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وكل اسم متولد عنه صفة من غير عكس.

وتقدم لنا حديث عائشة في الصفات، بل فسر بعضهم (له الأسماء الحسنی) قال:

ولله الصفات.

والصحيح أنها الأسماء وهي تتضمن الصفات كما تقدم، ودعاء الله بأسمائه أن يطلب بكل اسم ما يليق به تقول: يا رحيم ارحمني، يا رازق ارزقني، يا تواب تب علي، وإن دعوت باسم عام قلت: يا الله اغفر لي.

وأما دعاء صفاته، وكلماته فكفر باتفاق المسلمين فهل يقول: المسلم يا كلام الله اغفر لي؟، وارحمني؟، وأعني؟، أو يا علم الله يا قدر الله، أو يا عزة الله أو يا عظمة الله، أو نحو ذلك، أو سُمع من مسلم، أو كافر أنه دعاء ذلك من صفات الله وصفات غيره، أو يطلب من الصفة جلب منفعة، أو دفع مغفرة، أو إعانة، أو نصر، أو إغاثة، أو غير ذلك.

أهـ من تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام (١/ ١٨١).
فيتعبد الله على مقتضى صفاته تبارك وتعالى.

ما يقدح في توحيد الأسماء والصفات:

يقدح فيه الإلحاد في أسماء الله، وصفاته الذي حذر الله منه، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].
وهو أنواع:

الأول: أن تسمى الأصنام بها كما سمي المشركون اللات من إله، والعزى من العزيز.

الثاني: تسمية الله بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له تعالى أباً، والفلاسفة موجب الوجود بذاته، أو علة فاعلة.

الثالث: وصفه تعالى بما تقدس عنه وتنزه من النقائص كقول اليهود عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين: إنه فقير، وقولهم: يد الله مغلولة.

الرابع: تعطيل الأسماء والصفات عن معانيها وهذا أقسام:

١- نفي الأسماء والصفات مطلقاً، كمن يقول: لا موجود، ولا معدوم، ولا حي، ولا ميت... إلخ، وهو مذهب غلاة المعطلة.

٢- تعطيل الأسماء مع معانيها، مع إثباتها دون الصفات، وهذا مذهب الجهمية.

٣- إثبات الأسماء ومعانيها، دون الصفات، وهو مذهب المعتزلة.

٤- إثبات الأسماء ومعانيها، وإثبات بعض الصفات دون معانيها، وهذا مذهب الأشاعرة والماتريدية.

٥- تمثيل صفات الله بصفات خلقه كقولهم يد الله كيد المخلوق، وهذا مذهب الممثلة كالكرامية.

والذي يجب على المسلم تجاه هذا الأمر أن يحذر ما تقدم، وأن يعتقد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ على اعتقاد أهل الحديث والسنة كما قال الإمام الصابوني رحمه الله تعالى في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ٣-٤):

إن أصحاب الحديث المتكلمين بالكتاب والسنة - حفظ الله أحيائهم، ورحم الله أمواتهم - يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه، وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يتعقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه... ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليمين على النعمتين، أو القوتين تحريف المعتزلة، والجهمية أهلهم الله، ولا يكييفونها بكيف، أو يشبهونها بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومن عليهم بالتعريف، والتفهم حتى سلكوا سبيل

التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعليل، والتشبيه، واتبعوا قول الله عز وجل:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] اهـ.

ثمرات الإيمان بالله :

- ١- تحقيق توحيد الله بحيث لا يتعلق الإنسان بغير الله في رجاء، أو رغبة، أو رهبة، وبالتالي يتم إيمانه ويكمل.
- ٢- كمال محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنی وصفاته العلی.
- ٣- تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

الإيمان بالملائكة

قوله: (ملائكته):

الملائكة: جمع ملك مخفف من مالك، وقيل مَأْلِك الألوكة، وهي رسالة.

قال الله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١].

وهم عالم غيبي خلقهم الله عز وجل من نور كما روى مسلم برقم (٢٩٩٦) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».

وهم طائعون لله عز وجل لا يعصونه طرفة عين قال الله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

ولهم وظائف، وأعمال قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤].

والإيمان بالملائكة: هو الاعتقاد الجازم، والإقرار بما يأتي:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم كجبريل عليه السلام قال الله تعالى عنه: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وكذا نؤمن بمن لم نعرف اسمه إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم كجبريل، فقد رآه النبي ﷺ في صورته له

ستمائة جناح.

رواه مسلم برقم (١٥٨) والبخاري برقم (٣٢٣٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وفي حديث مسروق قال: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ -ثَلَاثٌ-
مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ
مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ:
يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي، وَلَا تَعْجَلِينِي أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ
الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ
الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي
خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمُرَتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ
إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ
لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا
يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا
مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ
يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَيْدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

رواه مسلم برقم (١٧٧) وهذا لفظه، والبخاري برقم (٣٢٣٤).

وأنه قد يأتي الملك في صورة رجل بأمر الله تعالى كما روى مسلم برقم (٨) عن
ابن بريدة، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبِدُ الْجُهَنِيِّ،

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُمَيْرِيُّ حَاجِّينَ، أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوْقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاسْتَفْتَاهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَتَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَالَ: «مَا الْمُسْتَوَلُّ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟

قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَذَرِي مَنْ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَنَا كُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

وكذلك الذين أرسلهم الله إلى إبراهيم قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغْلَامٍ عَليمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨].

الرابع: الإيذان بما علمنا من أعمالهم سواء علمنا اسمه كمالك خازن النار كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخُلُقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبَطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ».

رواه البخاري رقم (٣٢٣٩)، ومسلم (١/١٥٢).

أو من لم نعلم اسمه كملك الموت قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وسياتي فصل في الملائكة إن شاء الله ومزيد الكلام عليه هناك.

ثمرات الإيمان بالملائكة:

- ١ - العلم بعظمة الله وقوته وقدرته، فإن عظمة هذه المخلوقات تدل على عظمة خالقها.
- ٢ - شكر الله على عنايته ببني آدم؛ حيث وكل بهم الملائكة من حفظ أعمالهم والقيام على مصالحهم.
- ٣ - محبة هؤلاء الملائكة على طاعتهم لله، وامثالهم أمر الله.

الإيمان بالكتب

قوله: (وكتبه):

والكتب: جمع كتاب بمعنى مكتوب، وكتاب مصدر كتب يكتب كتابًا وكتابه وكتبًا، ومنه تكتب بنوا فلان إذا اجتمعوا، والكتيبة للجماعة، وسمي الكتاب كتابًا لجمعه، وما وضع له.

والإيمان بالكتب هو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى أنزل كتبًا من السماء على الأنبياء قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦].

ما يتضمنه الإيمان بالكتب:

والإيمان بالكتب يتضمن أمورًا:

الأول: الإيمان بأن نزوله من عند الله حقًا، قال الله جل في علاه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها كالقرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ قال الله

تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٦].
وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾

[الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

وفي صحيح البخاري رقم (٤٤٧٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمَعْلَى قَالَ: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟» فَقُلْتُ كُنْتُ أَصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾» [الأنفال: ٢٤]، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَكَرْتُهُ، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ».

والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام لحديث أنس مرفوعاً في قصة الشفاعة الكبرى، عند البخاري برقم (٤٤٧٦)، ومسلم برقم (١٩٣) «وَلَكِنْ أَتَتْهُ مُوسَى ﷺ عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ».

و روى البخاري برقم (٤٧٣٦) وهذا لفظه ومسلم (٢٠٤٣/٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «التَّقَى آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى لِآدَمَ: أَنْتَ الَّذِي أَشَقَيْتَ النَّاسَ، وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَاضْطَفَاكَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَوَجَدْتَهَا كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».

والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [المائد: ٤٦].

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ
الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ
إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، - وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ -
قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ
الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ: فَأَخَذَنِي
فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي
فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»،
فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]، فَارْجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يَرْجِفُ فُؤَادَهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: «رَمَلُونِي
رَمَلُونِي»، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ
عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ
الْكُلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ
خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ
امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ
بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ
عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا
جَدَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْخَرَجِيَّ

هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً أَنْ تُؤَيِّي، وَفَتَرَ الْوَحْيِ.

رواه البخاري برقم (٣)، ومسلم برقم (١٦٠).

والصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

والزبر على التي أنزلت على داود عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

الثالث: الإيذان بما لم نعلم اسمه منها إجمالاً، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

فهذه الأدلة تدل أن مع كل رسول كتاب، لكن لا نعرف كل تلك الكتب، ولهذا فما لم نعرفه نؤمن به إجمالاً.

الرابع: الإيذان بأن ما في هذه الكتب كلام الله حق.

الخامس: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها؛ وكلها منسوخة بالقرآن الكريم، قال الله جل في علاه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

فلا يجوز العمل بشيء من الكتب السابقة، إلا ما جاء في شرعنا وأقره شرعنا؛ لأن الكتب السابقة قد حُرِفَتْ وبُذِلَتْ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقُضُّهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال جل شأنه: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْتِهَامِ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

وأما ما جاء في الكتب السابقة فعلى قسمين:

القسم الأول: ما جاء في شرعنا (في القرآن، أو السنة)، فهذا مقبول؛ لوجوده في شرعنا، وعلى هذا يتنزل حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ». رواه البخاري برقم (٣٤٦١).

وإذا كان في الأحكام وذكر في شرعنا فإن دل عليه شرعنا عمل به لذلك، وإذا ذكر في شرعنا فقط فإن ذكر بما يدل دليل في شرعنا على عدم المنع منه فإنه يعمل به؛ لأنه ذكر كالإقرار ولو كان مخالفاً لورد ما ينهي عنه.

القسم الثاني: ما لم يأت في شرعنا فهذا على قسمين:

أحدهما: سؤال أهل الكتاب عن ما عندهم، فهذا لا يجوز؛ لحديث جابر عند أحمد (٣/٣٨٧) وغيره، أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ، فغضب، وقال: «آمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني».

وإسناده ضعيف من أجل مجالد بن سعيد الهمداني ضعيف، لكن قوى العلامة الألباني رحمه الله الحديث في الإرواء (٦/٣٤-٨٣) لشواهده.

وقال الإمام البخاري في صحيحه مع الفتح (١٣/٣٣٤) بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ».

ومما ذكر في الباب حديث ابن عباس برقم (٧٣٦٣) قَالَ: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ؟ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدُثُ تَقَرُّؤُهُ مِنْهُ مُحَضَّا

لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَلَا يَنْهَاكُم مَّا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ.

فلا يجوز العمل بشيء منها أي الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره شرعنا، أو جاء في القرآن.

ثانيها: أن يُبدأ أهل الكتاب - أو بعض جهلة المسلمين - بذكر ما في كتب أهل الكتاب، وعلى هذا يتنزل حديث أبي هريرة الذي رواه الإمام البخاري برقم (٣٧٦٢) قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»، ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٣٦].

وكلا القسمين لا يصدق فيهما أهل الكتاب، ولا يكذبوه لما تقدم من الأدلة.

ثمرات الإيمان بالكتب:

١ - العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم.

٢ - العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٢٨].

وهذا في غير التوحيد أما في التوحيد فدعوة الرسل واحدة.

٣ - شكر نعمة الله على ذلك.

الإيمان بالرسول

قوله: (ورسله):

الرسول جمع رسول وقد تقدم تعريف الرسول، والفرق بينه وبين النبي، والرسول بمعنى مرسل أي مبعوث بإبلاغ شيء.

وأولهم نوح عليه السلام قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُنِيَ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَشَّ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَذْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِأَدَمَ، فَيَأْتُونَ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ أَدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَايَ عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي،

نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمَ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ، وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَبِكَلَامِهِ، عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أَوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمَتِ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ حَمِيدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمْنِي يَا رَبَّ، أُمْنِي يَا رَبَّ، أُمْنِي يَا رَبَّ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمْتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ».

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمَيْرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

رواه البخاري برقم (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

ونحوه حديث أنس رواه البخاري برقم (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣)، وبهذا يظهر خطأ بعض المؤرخين في عدّهم إدریس عليه السلام أول الرسل.

وآخرهم نبينا محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وكذا حديث أبي هريرة الذي مضى.

والإيمان بالرسل والإقرار والتصديق أنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله عز وجل، وأنهم الواسطة بين الخلق وخالقهم في تبليغ ما أمر الله عز وجل به أو نهى عنه. وأنه لا تخلو أمة من رسول أو نبي يبعثه الله تعالى إلى قومه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١].

وألوا العزم من الرسل خمسة في أحسن الأقوال، ذكرهم الله تعالى في موضوعين من كتابه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

والرسول بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، ويأكلون ويشربون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَآتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

وأفضلهم نبينا محمد ﷺ كما روى البخاري برقم (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَشَّ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ومع ذلك يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢].

وتجري عليهم الأسقام والأوجاع التي تجري على سائر البشر؛ فقد سحر النبي

ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي أَوْ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَجِفَّ طَلْعَةَ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بئرِ ذِي أَرْوَانَ»، قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُحْرِقْتَهُ؟ قَالَ: «لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُتِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ».

رواه البخاري برقم (٥٧٦٥) ومسلم برقم (٢١٨٩) وهذا لفظه.

ويقول الله عن إبراهيم: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩-٨١].

وهم أفضل الخلق، وعباد الرحمن الذين اصطفاهم، قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨١-١٨٢].

وقد اتفقت دعوة الأنبياء والرسول إلى التوحيد:

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٨٩):

ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة^(١)، وتوحيد في الطلب والقصد^(٢).

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول الحديد، وطه، وآخر الحشر، وأول الم تنزيل السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكما لها، وغير ذلك.

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، و: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

(١) وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

(٢) وهو توحيد الألوهية.

وَيَبَيِّنُكُمْ ﴿آل عمران: ٦٤﴾، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول سورة يونس وأوسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام. اهـ

ما يتضمنه الإيمان بالرسول:

الإيمان بالرسول عليهم السلام يتضمن أموراً:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

وهم إنما جاءهم نوح وليس قبله رسول؛ وذلك لأن منهجهم في التوحيد واحد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

لا سيما نبينا محمد ﷺ؛ لأنه كما تقدم شريعته ناسخة وحاكمة على جميع الشرائع المتقدمة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ تَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ».

رواه مسلم برقم (١٥٣).

قال الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم (١٥٧):

والحديث صريح في أن من سمع بالنبى ﷺ و ما أرسل به، بلغه ذلك على الوجه الذي أنزله الله عليه، ثم لم يؤمن به ﷺ، أن مصيره إلى النار، لا فرق في ذلك بين يهودي، أو نصراني أو مجوسي، أو لا ديني.

واعتقادي أن كثيرًا من الكفار لو أُتيح لهم الاطلاع على الأصول، والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجًا، كما وقع ذلك في أول الأمر، فليت أن بعض الدول الإسلامية ترسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام، ممن هو على علم به على حقيقته، وعلى معرفة بما ألصق به من الخرافات و البدع والافتراءات، ليحسن عرضه على المدعوين إليه.

وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب و السنة الصحيحة، و معرفة ببعض اللغات الأجنبية الرائجة، وهذا شيء عزيز يكاد يكون مفقودًا، فالقضية تتطلب استعدادات هامة، فلعلهم يفعلون. اهـ.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة وأتم التسليم.

والأنبياء والرسل المذكورون في القرآن خمسة وعشرون، وهم:

١- آدم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

٢- هود، قال الله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودًا﴾ [هود: ١٥].

٣- شعيب قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ﴾ [هود: ٤٨].

٤- و٥- إدريس وذو الكفل، قال الله تعالى: ﴿وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

٦- صالح، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٣].

٧- محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد جمعوا في بيت، قال الشاعر:

في تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهم

إدريس هود شعيب صالح
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

وثمانية عشر، مجموعون في موضع واحد في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

وهم:

- | | | |
|-------------|-------------|------------------------|
| ١- إبراهيم. | ٢- إسحاق. | ٣- يعقوب. |
| ٤- نوح. | ٥- داود. | ٦- سليمان. |
| ٧- أيوب. | ٨- يوسف. | ٩- موسى. |
| ١٠- هارون. | ١١- زكرياء. | ١٢- يحيى. |
| ١٣- عيسى. | ١٤- إلياس. | ١٥- إسماعيل. |
| ١٦- اليسع. | ١٧- يونس. | ١٨- لوط، عليهم السلام. |

الثالث: الإيمان بمن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٨٧].

الرابع: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم وأنهم صادقون مصدقون.

الخامس: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ وحيث وبعضهم قد بشر به، قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وأخذ عليهم الميثاق لئن بعث واحد منهم، والآخر موجود حي ليؤمنن به قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

ولما تقدم من حديث جابر عند أحمد (٣/ ٣٨٧) وغيره، أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ، فغضب، وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية

لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني».

وإسناده ضعيف من أجل مجالد بن سعيد الهمداني ضعيف، لكن قوى العلامة الألباني رحمه الله الحديث في الإرواء (٦/ ٣٤-٨٣) لشواهده.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

السادس: الإيذان بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وسيأتي له إن شاء الله تعالى.

مسألة هل الأنبياء تجري عليهم الذنوب:

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٣/ ٥٣-٥٤):

اعْلَمَنَّ أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَغَيْرِهِمْ اخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ الْمَعَاصِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ لَحِصَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَاصِدَ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ:

لَا خِلَافَ أَنَّ الْكُفْرَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ النُّبُوَّةِ لَيْسَ بِجَائِزٍ بَلْ هُمْ مَعْصُومُونَ مِنْهُ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ.

وَأَمَّا الْمَعَاصِي فَلَا خِلَافَ أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ كُلِّ كَبِيرَةٍ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْعَقْلِ أَوْ الشَّرْعِ؟ فَقَالَ الْأُسْتَاذ أَبُو إِسْحَاقَ وَمَنْ مَعَهُ: ذَلِكَ مُتَنَبِّعٌ مِنْ مُقْتَضَى دَلِيلِ الْمُعْجِزَةِ، وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَمَنْ وَافَقَهُ: ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْإِجْمَاعِ، وَذَهَبَتْ الْمُعْتَرِزَةُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ.

كَذَلِكَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ طَرِيقَهُ الْإِبْلَاحُ فِي الْقَوْلِ فَهُمْ مَعْصُومُونَ فِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَمَّا مَا كَانَ طَرِيقَهُ الْإِبْلَاحُ فِي الْفِعْلِ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْعِصْمَةِ فِيهِ رَأْسًا، وَأَنَّ السَّهْوَ وَالنَّسْيَانَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، وَتَأَوَّلُوا أَحَادِيثَ السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا بِمَا سَنَذْكُرُهُ فِي مَوَاضِعِهِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْمُظَفَّرِ الْإِسْفَرَايِينِيِّ مِنْ أَيْمَتِنَا الْخُرَاسَانِيِّينَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَشَايخِ الْمُتَصَوِّفَةِ.

وَذَهَبَ مُعْظَمُ الْمُحَقِّقِينَ وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى جَوَازِ ذَلِكَ وَوُقُوعِهِ مِنْهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ تَنْبِيهِهِمْ عَلَيْهِ وَذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ إِمَّا فِي الْحِينِ عَلَى قَوْلِ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَإِمَّا قَبْلَ وَقَاتِهِمْ - عَلَى قَوْلِ بَعْضِهِمْ - لَيْسْتُوا حُكْمَ ذَلِكَ وَيُيَسِّنُوهُ قَبْلَ إِخْرَامِ مَدَّتِهِمْ، وَلِيَصِحَّ تَبْلِيغُهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ.

وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ أَتَاهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الصَّغَائِرِ الَّتِي تُزْرِي بِفَاعِلِهَا وَتَحُطُّ مَنْزِلَتُهُ وَتُسْقِطُ مَرْوَتَهُ، وَاخْتَلَفُوا فِي وَقُوعِ غَيْرِهَا مِنَ الصَّغَائِرِ مِنْهُمْ، فَذَهَبَ مُعْظَمُ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ إِلَى جَوَازِ وَقُوعِهَا مِنْهُمْ، وَحُجَّتُهُمْ ظَوَاهِرُ الْقُرْآنِ، وَالْأَخْبَارِ، وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالنَّظَرِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَيْمَتِنَا إِلَى عِصْمَتِهِمْ مِنَ الصَّغَائِرِ كِعِصْمَتِهِمْ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَأَنَّ مَنْصِبَ النُّبُوَّةِ يَحِلُّ عَنْ مُوَاقَعَتِهَا وَعَنْ مُحَالَفَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَمْدًا، وَتَكَلَّمُوا عَلَى الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ وَتَأَوَّلُواهَا، وَأَنَّ مَا ذُكِرَ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا كَانَ مِنْهُمْ عَلَى تَأْوِيلٍ أَوْ سَهْوٍ أَوْ مِنْ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَشْيَاءَ أَشْفَقُوا مِنَ الْمَوَاحِظَةِ بِهَا وَأَشْيَاءَ مِنْهُمْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَهَذَا الْمَذْهَبُ هُوَ الْحَقُّ لِمَا قَدَّمْنَاهُ، وَلِأَنَّهُ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ لَمْ يَلْزَمْنَا الْإِقْتِدَاءَ بِأَفْعَالِهِمْ وَإِقْرَارِهِمْ وَكَثِيرٍ مِنْ أَقْوَاهُمْ، وَلَا خِلَافَ فِي الْإِقْتِدَاءِ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ هَلْ

ذَلِكَ عَلَى الْوُجُوبِ أَوْ عَلَى النَّدْبِ أَوْ الْإِبَاحَةِ أَوْ التَّفْرِيقِ فِيمَا كَانَ مِنْ بَابِ الْقُرْبِ أَوْ غَيْرَهَا؟

قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِي هَذَا الْبَابِ فِي كِتَابِنَا (الشِّفَاء) وَبَلَّغْنَا فِيهِ الْمُبْلَغَ الَّذِي لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ، وَتَكَلَّمْنَا عَلَى الظَّوَاهِرِ فِي ذَلِكَ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ، وَلَا يَهْوُلُكَ أَنْ نَسَبَ قَوْمَ هَذَا الْمَذْهَبِ إِلَى الْخَوَارِجِ، وَالْمُعْتَرِلَةِ، وَطَوَائِفِ مِنَ الْمُتَبَدِّعَةِ؛ إِذْ مَنَزَعَهُمْ فِيهِ مَنَزَعٌ آخَرَ مِنَ التَّكْفِيرِ بِالصَّغَائِرِ، وَنَحْنُ نَتَّبِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ.

وَانْظُرْ هَذِهِ الْخُطَابَا الَّتِي ذَكَرْتُ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَكْلِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الشَّجَرَةِ نَاسِيًا، وَمِنْ دَعْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَوْمِ كُفَّارٍ، وَقَتْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكَافِرَ لَمْ يُؤْمَرْ بِقَتْلِهِ، وَمُدَافَعَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكُفَّارَ بِقَوْلٍ عَرَّضَ بِهِ هُوَ فِيهِ مِنْ وَجْهِ صَادِقٍ، وَهَذِهِ كُلُّهَا فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ لَيْسَتْ بِذُنُوبٍ، لَكِنَّهُمْ أَشْفَقُوا مِنْهَا إِذْ لَمْ تَكُنْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَتَبَ عَلَى بَعْضِهِمْ فِيهَا لِقَدْرِ مَنَزَلَتِهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى. هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْقَاضِي عِيَاضَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

مسألة: هل الأنبياء والرسل يتفاضلون؟

الجواب: نعم لا شك في ذلك أنهم يتفاضلون فالرسل أفضل من الأنبياء، وأولو العزم من الرسل أفضل ممن سواهم بلا خلاف، كما قال ابن كثير في تفسيره (٤٧/٣).

وألو العزم بعضهم أفضل من بعض، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿البقرة: ٢٥٣﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وأفضل أولي العزم نبينا محمد ﷺ بالإجماع، ثم إبراهيم عليه السلام لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

رواه مسلم برقم (٢٣٦٩)، وانظر كلام الحافظ في الفتح (٣٩٠ / ٦).
أما قول الله تعالى: ﴿كُلُّ آمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكَ بِهِ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فالمعنى لا نفرق بينهم في الإيمان بل نؤمن أن كلهم رسل من عند الله حقاً، وأنهم ما كذبوا فهم صادقون مصدقون، وأفضلهم محمد ﷺ كما تقدم.
مسألة أخرى: هل هنالك رسل من الجن؟

هذه مسألة فيها خلاف، والراجح أنه ليس في الجن رسل، قال الله جل في علاه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

ولأنه لم يأت دليل واحد يدل على جني أنه رسول.

وأما قول الله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فالمعنى من أحذكم كما قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، أي من أحدهما، وإنما يخرج من الملح دون العذب فكذاك الرسل من الإنس دون الجن.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].
أي من أحد القريتين.

وقيل معنى (منكم) في الخلق والتكليف والمخاطبة، ولكن من الجن نذر قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، والرسل من الإنس وهو قول الجمهور.

ثمرات الإيمان بالرسول عليهم السلام:

- ١- العلم برحمة الله وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.
- ٢- شكر الله تعالى على هذه النعمة على عبادة.
- ٣- محبة الرسل عليهم السلام، وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

إثبات صفات الله تعالى

قوله: (ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف نفسه المقدسة في كتابه العزيز):

تقدم الكلام في هذا في الإيمان بالله تعالى، والكلام في الصفة.

والنفس صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل

عمران: ٢٨].

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي

نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وفي صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي

إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

رواه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥)، وسيأتي إن شاء الله للنفس موضع آخر.

ومعنى (المقدسة): الطاهرة والمنزهة من العيوب، ومن كل ما يليق به، وهي صفة للنفس، ومن أسمائه تعالى القدوس قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

وفي صحيح مسلم برقم (٤٨٧) عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ أَنَّ عَائِشَةَ بَنَاتُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

قوله: (وكتابه العزيز):

هو القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

أي أعزه الله فلا يتطرق إليه باطل ممتنع على الناس أن يقولوا مثله، عزيز على الله وعزيز من عند الله ينبغي أن يعز ولا يلغى فيه.

راجع تفسير القرطبي (٣٦٧/١٥).

وكذا الإيذان بها وصفه به رسوله محمد ﷺ، أي فيما صح عن رسول الله ﷺ في صحيح السنّة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ويقول تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا مُخِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا مَحْمَلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

التحريف

قوله: (من غير تحريف):

التحريف في اللغة: التغيير والتبديل والإمالة، وقلم محرف بأحد طرفيه عن الآخر، قال الشاعر:

تخال أذنيه إذا تشوفا خافية أو قلما محرفا

والتحريف: في القرآن والسنة تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها، وهذا من فعل اليهود، حيث قال الله عنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائد: ١٣].

والتحريف قسمان:

أحدها: تحريف اللفظ: هو العدول باللفظ عن جهته إلى غيرها، وله أربع صور:

١- الزيادة في اللفظ: كقول اليهود: في (حطة) حنطة.

٢- النقصان في اللفظ، كقول اليهود: السام عليكم بدل السلام عليكم.

٣- تغيير حركة إعرابية: مثل تحريف: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى، من الرفع إلى النصب.

٤- تغيير حركة غير إعرابية مثل: (وكلم) تقرأ: (وكليم) وهذا غالباً إنما يحصل

من جاهل جهل مركب.

وكلها إنما تصدر عن جهل، لكن الجهل هنا جهل بسيط، وفي الأول جهل

مركب.

ثانيها: تحريف المعنى وهو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ على ما هي عليه، كالقول في معنى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [الرحمن: ٥] استولى مع بقاء لفظها استوى.

وهو الذي وقع فيه كثير من الناس من أهل البدع.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى التحريف وعابه، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١]. وهو صفة من صفات اليهود.

وأصحاب تحريف المعنى على قسمين:

١- الذين حرفوا آيات الله الشرعية كقول الله تعالى: (على العرش استوى) قالوا: استولى.

٢- الذين حرفوا آيات الله الكونية، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قالوا: جرائيم الطاعون.

وأن الملائكة هي القوى الروحية، وأن الجن عبارة عن جرائيم الشيطان ما هو إلا القوى الشريرة في الإنسان.

فأصحاب تحريف اللفظ أضر من أصحاب تحريف المعنى من حيث أنهم عدلوا باللفظ والمعنى جميعاً عما هو عليه، فأفسدوا اللفظ والمعنى، ما عدا من لم يكن قاصداً تحريف اللفظ والمعنى، أو المعنى فقط فلا يدخل في هذا.

وأصحاب تحريف المعنى أضر؛ من حيث أن تحريف المعنى هو الأكثر استعمالاً عند أصحاب التحريف، ولأنه أسهل زواجاً وسوقاً عند الجهلة وعوام الناس فيغترون به، ويظنونه تفسيراً وتبييناً.

وأهل التحريف يسمونه تأويلاً ترويحاً لباطلهم، والواقع أنه تحريف لأمر:

أحدها: أنه اللفظ الذي ورد به القرآن قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

ثانيها: أنه أدل على الحال، وأقرب للإنصاف والعدل؛ لأنه تأويل بغير دليل، فما كان بغير دليل فالإنصاف أن يسمى تحريفًا.

ثالثها: لأن التأويل يحمل معنى صحيحًا ومعنى فاسدًا، وهذا من المعنى الفاسد، فمن النصح للأمة أن تسميه باسمه الحقيقي لكي يحذروه؛ لأنهم إذا سمعوا التحريف نفروا عنه بخلاف التأويل.

رابعها: لأن التأويل ليس مذمومًا كله وهو على ثلاثة أقسام:
الأول: بمعنى التفسير، وكثيرًا ما يستعمله ابن جرير بقوله: تأويل قوله تعالى كذا؛ أي تفسير قوله تعالى.

الثاني: بمعنى عاقبة الشيء، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أي عاقبته.

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره وهذا على قسمين:

أ- صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يدل عليه، فهذا محمود مثل قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي تركهم، وهذا التأويل لدليل وهو قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

ب- صرف اللفظ عن ظاهره ولغيره دليل، وهو الذي درج عليه أهل التحريف.

التعطيل

قوله: (ولا تعطيل):

التعطيل لغة: مأخوذ من العطل، وهو الخلو والفراغ والترك، قال تعالى: ﴿وَيَبْرُ
مُعْطَلَةً﴾ [الحج: ٤٥]، أي مخلاة أخلاها أهلها وتركوا ووردها.

واصطلاحاً: نفي أو إنكار دلالة نصوص الكتاب والسنة على المراد بهما، وهو
أقسام:

الأول: التعطيل المحض، أو الكلي: وهو إنكار الخالق سبحانه وتعالى، وإنكار
كلامه ودينه، وإنكار عبادته وشرائعه.

وأهل هذا التعطيل هم الملاحدة الدهرية الطبائعيون الذين ينكرون ما سوى
هذا الوجود الذي يشاهده الناس، ويدخل فيهم الاشتراكيون الذين يقولون: لا إله،
والحياة مادة، وكل موجود أو ما يحصل بالطبيعة، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

الثاني: تعطيل عبادته تعالى أي ما يجب له عز وجل على عباده في حقيقة التوحيد
وإفراده بالعبادة، وهذا تعطيل أهل الشرك الذين يصرفون شيئاً من العبادة لغير الله
عز وجل.

الثالث: تعطيل الأسماء والصفات: وهو نفي صفات الإلهية، وإنكار قيامها
بذات الله تعالى أو بعضها وهذا على أقسام:

أولها: تعطيل الجهمية والفلاسفة والقرامطة، وهم أنكروا جميع الأسماء
والصفات.

ثانيها: تعطيل جزئي وهو نوعان:

أ- إثبات الأسماء مجردة عن المعاني، ونفي الصفات وهذا مذهب المعتزلة ومن جرى مجراهم ووافقهم عليه ابن حزم الظاهري.

ب- نفي بعض الصفات دون بعض، وهذا مذهب الكلابية والأشاعرة والماتريدية والكلابية، فالكلابية وقدماء الأشاعرة يشبتون الأسماء والصفات ما عدا صفات الأفعال الاختيارية فيؤولونها أو يشبتونها على أنها أزلية.

وأما الأشاعرة المتأخرون والماتريدية فهم يشبتون الأسماء وسبع صفات؛ وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والإرادة، والكلام، وقد جمعها السفاريني بقوله:

له الحياة والكلام والبصر سمع إرادة علم اقتدر

ويزيد بعض الماتريدية صفة ثامنة وهي التكوين، ويعطلون باقي الصفات.

رابعها: تعطيل النبوات وهو قسمان:

أحدها: مذهب البراهمة وهم قبلية بالهند ينتسبون إلى رجل يقال له إبراهيم ينكرون أن يكون لله رسول.

ثانيها: المنكرون لنبوة محمد ﷺ وهذا القسم قسمان:

أ- الذي أنكروا نبوة محمد ﷺ بالكلية، وهم المشركون.

ب- الذين أنكروا أن يكون مرسلًا لغير العرب، وهم اليهود.

فائدة: ما الفرق بين التحريف والتعطيل؟

الجواب: أن التحريف في الدليل والتعطيل في المدلول، فالمحرف يُغَيَّر اللفظ والمعنى، والمعطّل يُغَيَّر المعنى فقط، فمثلاً قول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

فإذا قال: معناه بل قوتاه فهذا حرف الدليل، وعطل المعنى الصحيح.
وإذا قال: معناه يده مَبْسُوطَتَانِ، لكن لا أدري أفوض الأمر إلى الله تفويض المعنى، أو أثبت يدين غير حقيقتين لله عز وجل، فهذا معطل وليس بمحرف، فالتعطيل أعم من التحريف من غير عكس.

وطريقة أهل الحديث والسنة أهل الحق والهدى والنور والرشاد الحذر من المسلكين.

التكليف

قوله: (ولا تكليف):

التكليف: هو جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيد بها بمائل، يقال: كَيْفَ الشيء جعل له كيفية معلومة.

وهذا اللفظ لم يرد في الكتاب والسنة لكن ورد ما يدل على النهي عنها؛ وذلك أنه مما استأثر الله به إذ الصفة تابعة للموصوف، والموصوف لا يعلم كيف هو إلا هو، فالصفة كذلك، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، والله لم يخبرنا عن كيفية ذاته ولا عن كيفية صفاته.

وتكفيها قول على الله بلا علم، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وليس المراد بنفي الكيفية بل المراد بنفي علمنا بالكيفية، فمثلاً يد الله عز وجل لها كيفية لكننا لا نعلم كيفيتها فالنفي هو علمنا بكيفيتها.

وقد جاء رجل إلى الإمام مالك فقال: يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

فكيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرضاء، ثم قال:

الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يخرج.

وهو صحيح، رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٢٨٠) ضمن عقائد السلف، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٨ برقم ٦٦٤)، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ١٨٠-١٨٣، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥ برقم ٨٦٧)، وفي الاعتقاد ص ١١٩، وأبونعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١).

وإنما حكم عليه مالك بالبدعة وأمر بإخراجه؛ لأنه سأل عن شيء لم يسأل عنه الصحابة الكرام؛ ولأنه أراد معرفة الكيف وهو لا سبيل إليه.

التمثيل

قوله: (ولا تمثيل):

التمثيل: جعل الشيء على حقيقة معينة مع تقيدها بما يماثل، والتمثيل غير جائز بالنص، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النمل: ٧٤].

وكذا الإجماع القديم كما في مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٧)، قال رحمه الله: وكذلك التمثيل منفي بالنص، والإجماع القديم، مع دلالة العفل على نفيه، ونفى التكيف، إذ كنه الباري غير معلوم للبشر اهـ.

والتشبيه جعل الشيء على حقيقة معينة مشابهة له.

فالتمثيل يقتضي المماثلة والمطابقة، أما التشبيه فلا، فيكفي فيه أنه يشبهه أي يساوبه في أكثر الصفات.

وقد عبر المصنف رحمه الله بالتمثيل ولم يعبر بالتشبيه وهو أولى لأمر: الأول: لأنه اللفظ الذي عبر به القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

الثاني: لأن نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح؛ لأنه لا يوجد شيان من الأعيان، أو الصفات إلا وبينهما اشتراك في بعض الوجوه، وهذا الاشتراك هو نوع التشابه، فالتمثيل أدل على المراد.

الثالث: بعض الناس يفهم أن التشبيه إثبات الصفات، ولذا يسمون أهل السنة مشبهة، فإذا سمعوا لفظ من غير تشبيه فهموا أن المراد نفي الصفات، وهذا لا يفهم من عبارة التمثيل فالتعبير بالتمثيل أولى.

والتشبيه ينقسم إلى قسمين:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق: وهو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق في أحد ثلاثة أمور:

أحدها: في الأفعال: كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقًا.

ثانيها: في الحقوق كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقًا في الألوهية؛ فعبدها مع الله تعالى، قال تعالى عنهم: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٢٣].

ثالثها: كفعل غلاة الصوفية لا رحمه الله:

إن لم تكن آخذًا يوم المعاد بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

وقال:

وإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وقال المتنبي يمدح البحري^(١):

فكن كما شئت يا من لا شبيه له وكيف شئت فما خلق يدانيك

(١) هو عبد الله بن يحيى البحري.

الثاني: تشبيه الخالق بال مخلوق كقول المشبهة: إن الله يدين كأيدينا وسمع كسمعنا.

وأول من عُرف بهذا هشام بن الحكم الرافضي الخبيث، وكذا داود الجواربي وهذه عقيدة الكرامية والهشامية وغيرهم.

وكلا القولين كفر بالله عز وجل، وكل مشبه معطل وبالعكس؛ لأن المعطل لم يفهم من صفات الله إلا ما يليق بالمخلوق فأراد بزعمه الفاسد تنزيهه، فشبهه أولاً، ثم عطل، ثم بعد ذلك شبهه بالمعدومات، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

والأربعة المتقدمة التحريف، والتعطيل، والتكيف، والتمثيل كلها حرام، ومنها ما هو كفر أو شرك.

وأهل السنة والحديث بريئون من هذه الأصناف الأربعة، فإثباتهم برئ من التكيف والتمثيل، ونفيهم برئ من التحريف والتعطيل.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح الطحاوية (٩٨-١٠٦):

اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظاً مجملاً يراد به المعنى الصحيح، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، رد على الممثلة المشبهة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، رد على النفاة المعطلة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم، ويراد به أنه لا يثبت لله شيء من الصفات، فلا يقال: له قدرة، ولا علم، ولا حياة؛ لأن العبد موصوف بهذه الصفات.

ولازم هذا القول أنه لا يقال له: حي، عليم، قدير؛ لأن العبد يسمى بهذه الأسماء، وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك، وهم يوافقون أهل السنة على أنه موجود، عليم، قدير، حي، والمخلوق يقال له: موجود حي عليم قدير، ولا يقال: هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه عاقل؛ فإن الله سمي نفسه بأسماء وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمي صفاته بأسماء وسمى ببعضها صفات خلقه، وليس المسمى كالمسمي، فسمى نفسه: حياً، عليماً، قديراً، رؤوفاً، رحيماً، عزيزاً، حكيماً، سميعاً، بصيراً، ملكاً، مؤمناً، جباراً، متكبراً، وقد سمي بعض عباده بهذه الأسماء، فقال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، ﴿وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، ﴿قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السجدة: ١٨]، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾ [غافر: ٣٥].

ومعلوم أنه لا يماثل الحي الحي، ولا العليم العليم، ولا العزيز العزيز، وكذلك سائر الأسماء، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿إِنَّ

الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿الذاريات: ٥٨﴾، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أُمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدِرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أُمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِنِي بِهِ». قال: ويسمى حاجته، رواه البخاري^(١).

وفي حديث عمار بن ياسر الذي رواه النسائي وغيره عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِينِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَى بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زِينَا بَرِيَّةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مُهْتَدِينَ»^(٢).

(١) رواه البخاري برقم (١١٦٢).

(٢) صحيح، رواه النسائي برقم (١٣٠٤)، والحاكم (١/٥٢٤).

فقد سمي الله ورسوله صفات الله علماً وقدره وقوة، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: ٥٤]، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة، ونظائر هذا كثيرة، وهذا لازم لجميع العقلاء.

فإن من نفى صفة من صفاته التي وصف الله بها نفسه، كالرضى والغضب، والحب والبغض، ونحو ذلك، وزعم أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم! قيل له: فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر، مع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيت وأثبتته الله ورسوله مثل قولك فيما أثبتته، إذ لا فرق بينهما.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً من الصفات! قيل له: فأنت تثبت له الأسماء الحسنى، مثل: حي، عليم، قادر، والعبد يسمى بهذه الأسماء، وليس ما يثبت للرب من هذه الأسماء مماثلاً لما يثبت للعبد، فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسمائه.

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى، بل أقول: هي مجاز، وهي أسماء لبعض مبتدعاته، كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة!

قيل له: فلا بد أن تعتقد أنه موجود وحق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه، وليس هو مماثلاً له.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً، بل أنكر وجود الواجب.

قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عما سواه، وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين

وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غني عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك. وقد علم بالحس والضرورة وجود موجود حادث كائن بعد أن لم يكن، والحادث لا يكون واجبًا بنفسه، ولا قديمًا أزليًا، ولا خالقًا لما سواه، ولا غنيًا عما سواه، فثبت بالضرورة وجود موجودين: أحدهما واجب، والآخر ممكن، أحدهما قديم، والآخر حادث، أحدهما غني، والآخر فقير، أحدهما خالق، والآخر مخلوق، وهما متفقان في كون كل منهما شيئًا موجودًا ثابتًا.

ومن المعلوم أيضًا أن أحدهما ليس مماثلًا للآخر في حقيقته، إذ لو كان كذلك لتماثلا فيما يجب ويجوز ويمتنع، وأحدهما يجب قدمه وهو موجود بنفسه، والآخر لا يجب قدمه ولا هو موجود بنفسه، وأحدهما خالق والآخر ليس بخالق، وأحدهما غني عما سواه، والآخر فقير.

فلو تماثلا للزم أن يكون كل منهما واجب القدم ليس بواجب القدم، موجودًا بنفسه غير موجود بنفسه، خالقًا ليس بخالق، غنيًا غير غني، فيلزم اجتماع الضدين على تقدير تماثلهما، فعلم أن تماثلهما متنفٍ بصريح العقل، كما هو متنفٍ بنصوص الشرع.

فعلم بهذه الأدلة اتفاقهما من وجه، واختلافهما من وجه، فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلًا قائلًا بالباطل، ومن جعلهما متماثلين كان مشبهًا قائلًا بالباطل، والله أعلم. وذلك لأنهما وإن اتفقا في مسمى ما اتفقا فيه، فالله تعالى مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشركه في شيء من ذلك، والعبد أيضًا مختص بوجوده وعلمه وقدرته، والله تعالى منزّه عن مشاركة العبد في خصائصه.

وإذا اتفقا في مسمى الوجود والعلم والقدرة، فهذا المشترك مطلق كلي يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه.

وهذا موضع اضطرب فيه كثير من النظائر، حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء يوجب أن يكون الوجود الذي للرب كالوجود الذي للعبد.

وطائفة ظنت أن لفظ «الوجود» يقال بالاشتراك اللفظي، وكابروا عقولهم، فإن هذه الأسماء عامة قابلة للتقسيم، كما يقال: الموجود ينقسم إلى واجب وممكن، وقديم وحادث، ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام، واللفظ المشترك كلفظ «المشتري» الواقع على المبتاع والكوكب، لا ينقسم معناه، ولكن يقال: لفظ «المشتري» يقال على كذا وعلى كذا، وأمثال هذه المقالات التي قد بسط الكلام عليها في موضعه.

وأصل الخطأ والغلط: توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتاً في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك، فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقاً كلياً، بل لا يوجد إلا معيّناً مختصاً، وهذه الأسماء إذا سمي الله بها كان مسماها معيّناً مختصاً به، فإذا سمي بها العبد كان مسماها مختصاً به، فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشاركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟

ألا ترى أنك تقول: هذا هو ذاك، فالمشار إليه واحد، لكن بوجهين مختلفين. وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى وزادوا فيه على الحق، فضلوا، وأن المعطلة أخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا، وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه، فالتفأ أحسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن

التشبيه بشيء من خلقه، ولكن أساؤوا في نفي المعاني الثابتة لله تعالى في نفس الأمر، والمشبهة أحسنوا في إثبات الصفات ولكن أساؤوا بزيادة التشبيه.

واعلم أن المخاطب لا يفهم المعاني المعبر عنها باللفظ إلا أن يعرف عينها أو ما يناسب عينها، ويكون بينهما قدر مشترك ومشابهة في أصل المعنى، وإلا فلا يمكن تفهيم المخاطبين بدون هذا قط، حتى في أول تعليم معاني الكلام بتعليم معاني الألفاظ المفردة، مثل تربية الصبي الذي يعلم البيان واللغة، ينطق له باللفظ المفرد ويشار له إلى معناه إن كان مشهودًا بالإحساس الظاهر أو الباطن، فيقال له: لبن، خبز، أم، أب، سماء، أرض، شمس، قمر، ماء، ويشار له مع العبارة إلى كل مسمى من هذه المسميات، وإلا لم يفهم معنى اللفظ ومراد الناطق به، وليس أحد من بني آدم يستغني عن التعليم السمعي، كيف وآدم أبو البشر أول ما علمه الله تعالى أصول الأدلة السمعية وهي الأسماء كلها، وكلمه وعلمه بخطاب الوحي ما لم يعلمه بمجرد العقل.

فدلالة اللفظ على المعنى هي بواسطة دلالاته على ما عناه المتكلم وأرادته، وإرادته وعنايته في قلبه، فلا يعرف باللفظ ابتداء، ولكن لا يعرف المعنى بغير اللفظ حتى يعلم أولاً أن هذا المعنى المراد هو الذي يراد بذلك اللفظ ويعنى به، فإذا عُرف ذلك ثم سمع اللفظ مرة ثانية عرف المعنى المراد بلا إشارة إليه.

وإن كانت الإشارة إلى ما يحس بالباطن، مثل الجوع والشبع والري والعطش والحزن والفرح، فإنه لا يعرف اسم ذلك حتى يجده من نفسه، فإذا وجده أشير له إليه، وعرف أن اسمه كذا، والإشارة تارة تكون إلى جوع نفسه أو عطش نفسه، مثل أن يراه أنه قد جاع فيقول له: جعت، أنت جائع، فيسمع اللفظ ويعلم ما عينه

بالإشارة أو ما يجري مجراها من القرائن التي تعين المراد، مثل نظر أمه إليه في حال جوعه وإدراكه بنظرها أو نحوه أنها تعني جوعه، أو يسمعونهم يعبرون بذلك عن جوع غيره.

وإذا عرف ذلك فالمخاطب المتكلم إذا أراد بيان معاني، فلا يخلو إما أن يكون مما أدركها المخاطب المستمع بإحساسه وشهوده، أو بمعقوله، وإما أن لا يكون كذلك. فإن كانت من القسمين الأولين لم يحتج إلا إلى معرفة اللغة، بأن يكون قد عرف معاني الألفاظ المفردة ومعنى التركيب، فإذا قيل له بعد ذلك: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨-٩].

أو قيل له: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، ونحو ذلك، فهم المخاطب بما أدركه بحسّه.

وإن كانت المعاني التي يراد تعريفه بها ليست مما أحسه وشهده بعينه، ولا بحيث صار له معقول كلي يتناولها حتى يفهم به المراد بتلك الألفاظ، بل هي مما لا يدركه بشيء من حواسه الباطنة والظاهرة، فلا بدّ من تعريفه من طريق القياس والتمثيل والاعتبار بما بينه وبين معقولات الأمور التي شاهدها من التشابه والتناسب، وكلما كان التمثيل أقوى، كان البيان أحسن، والفهم أكمل.

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه لما بيّن لنا أموراً لم تكن معروفة قبل ذلك، وليس في لغتهم لفظ يدل عليها بعينها، أتى بألفاظ تناسب معانيها تلك المعاني، وجعلها أسماء لها، فيكون بينها قدر مشترك، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والإيمان، والكفر، وكذلك لما أخبرنا بأمور تتعلق بالإيمان بالله وبالיום الآخر، وهم لم يكونوا

يعرفونها قبل ذلك حتى يكون لهم ألفاظ تدل عليها بعينها، أخذ من اللغة الألفاظ المناسبة لتلك بما تدل عليه من القدر المشترك بين تلك المعاني الغيبية والمعاني الشهودية التي كانوا يعرفونها، وقرن بذلك من الإشارة ونحوها ما يعلم به حقيقة المراد، كتعليم الصبي، كما قال ربعة بن أبي عبد الرحمن:

الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم.

وأما ما يخبر به الرسول من الأمور الغائبة، فقد يكون مما أدركوا نظيره بحسهم وعقلهم، كإخبارهم بأن الريح قد أهلكت عادًا؛ فإن عادًا من جنسهم، والريح من جنس ريحهم، وإن كانت أشد، وكذلك غرق فرعون في البحر، وكذا بقية الأخبار عن الأمم الماضية، ولهذا كان الإخبار بذلك فيه عبرة لنا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقد يكون الذي يخبر به الرسول ما لم يدركوا مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه، لكن في مفرداته ما يشبه مفرداتهم من بعض الوجوه، كما إذا أخبرهم عن الأمور الغيبية المتعلقة بالله واليوم الآخر، فلا بد أن يعلموا معنى مشتركًا وشبهًا بين مفردات تلك الألفاظ وبين مفردات ما علموه في الدنيا بحسهم وعقلهم، فإذا كان ذلك المعنى الذي في الدنيا لم يشهدوه بعد، ويريد أن يجعلهم يشهدونه مشاهدة كاملة ليفهموا به القدر المشترك بينه وبين المعنى الغائب، أشهدهم إياه، وأشار لهم إليه، وفعل قولًا يكون حكاية له وشبهًا به يعلم المستمعون أن معرفتهم بالحقائق المشهودة هي الطريق التي يعرفون بها الأمور الغائبة.

فينبغي أن يعرف هذه الدرجات: أولها: إدراك الإنسان المعاني الحسية المشاهدة. وثانيها: عقله لمعانيها الكلية.

وثالثها: تعريف الألفاظ الدالة على تلك المعاني الحسية والعقلية.

فهذه المراتب الثلاث لابدّ منها في كل خطاب، فإذا أخبرنا عن الأمور الغائبة فلا بدّ من تعريفنا المعاني المشتركة بينها وبين الحقائق المشهودة والاشتباه الذي بينهما، وذلك بتعريفنا الأمور المشهودة، ثم إن كانت مثلها لم يحتج إلى ذكر الفارق، كما تقدم في قصص الأمم، وإن لم يكن مثلها بيّن ذلك بذكر الفارق، بأن يقال: ليس ذلك مثل هذا، ونحو ذلك، وإذا تقرر انتفاء المماثلة كانت الإضافة وحدها كافية في بيان الفارق، وانتفاء التساوي لا يمنع منه وجود القدر المشترك الذي هو مدلول اللفظ المشترك، وبه صرنا نفهم الأمور الغائبة ولولا المعنى المشترك ما أمكن ذلك قط. اهـ

قال الإمام الطحاوي في عقيدته:

ومن وَصَفَ الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، من أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، علم أنه بصفته ليس كالbشر.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ١٨٨):

لما ذكر فيما تقدم أن القرآن كلام الله حقيقة، منه بدأ، نبه بعد ذلك على أنه تعالى بصفاته ليس كالbشر، نفياً للتشبيه عقيب الإثبات، يعني أن الله تعالى وإن وُصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلمًا، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه، والمعطى يعبد عمدًا، والمشبّه يعبد صنتًا، وكذا قوله: «وهو بين التشبيه والتعطيل» أي دين الإسلام، ولا شك أن التعطيل شر من التشبيه، بما سأذكره إن شاء الله تعالى، وليس ما وصف

الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً، بل صفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به.

وقوله: «فمن أبصر هذا اعتبر» أي من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف ونفي التشبيه ووعيد المشبه اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار. اهـ بتصرف

التأويل

قوله: (ولا تأويل):

التأويل مأخوذ من آل، وقد تقدم الكلام عليه، وأنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ومنها صرف اللفظ عن ظاهره لغير دليل.

وهذا مراد المصنف هنا، لكن فيما تقدم أن التعبير عن هذا بلفظ التحريف أفضل وأولى، وقد تقدم الكلام على التحريف، فكان الأولى ترك هذه اللفظة أعني (ولا تأويل)، وقد عدل عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الواسطية فلم يذكرها.

قوله: (فيؤمنون بالله سبحانه وتعالى، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العليا):

أي يقولون إقرار عن التصديق بالله وبأسمائه البالغة في الحسن غايته وأكملة.

فهي أحسن الأسماء وأكملها، فلا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها. وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرًا بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهم، وأنها تقتضي المدح والثناء بنفسها بدون متعلق، أو قيد.

وكذا صفاته العلى: فهي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

قوله: (ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه):

أي فأهل الحديث والسنة لا ينفون عن الله عز وجل شيئًا وصف به نفسه، أو سمى به نفسه كذلك من باب أولى، ويدخل في هذا ما وصفه، أو سماه به رسوله ﷺ؛ لأنه مبلغ عن الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

[النجم: ٣-٤].

فلأنهم متبعون الدليل في النفي والإثبات، فهم لا ينفون إلا بدليل، ولا يثبتون إلا بدليل.

فإذا كان سبحانه قد وصف نفسه بشيء فهم لا ينفونه عنه بعقولهم، أو أهوائهم.
قال ابن أبي العز رحمة الله (ص ٢١٦):

وشبه النفي أردأ من شبه التشبيه فإن شبه النفي رد وتكذيب لما جاء به الرسول ﷺ وشبه التشبيه غلو ومجازة للحد فيما جاء به الرسول ﷺ، وتشبيه الله بخلقه كفر؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ونفي الصفات كفر؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه.

قوله: (ولا يحرفون الكلم عن مواضعه):

الكلم: جمع كلم، والمراد به كلام الله عز وجل، وكلام رسوله ﷺ.

أي أنهم بريئون من هذا الوصف الذي هو في الحقيقة من أوصاف اليهود؛ قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

والتحريف: تبديل معنى الكلم وتغييره عن مواضعه أي عن أماكنه ومدلولاته ووجوهه الصحيحة، فكل من حرف، أو عطل في نصوص الكتاب والسنة فيه شبه باليهود في تحريفهم الكلم عن مواضعه، وتعمدهم ذلك: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

[المائدة: ١٣].

ولذلك لعنهم الله وعاقبهم بقسوة قلوبهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].
 فقلوبهم لا تلتين للحق، منزوعة الخير، مرفوعة منها التوفيق، فلا يؤمنون ولا يهتدون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

الإلحاد في أسماء الله

قوله: (ولا يلحدون في أسمائه):

الإلحاد مصدر لحد، واللحد هو الشق الذي يكون من جانب القبر موضع الميت؛ لأنه قد أُميل عن وسطه إلى جانبه.

قال ابن السكيت: الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه، يقال ألحد في الدين ولحد أي حاد عنه.

راجع لسان العرب (١٢/٢٤٦).

أقسام الإلحاد:

والإلحاد في الأسماء سبعة أقسام:

الأول: أن يسمي الله سبحانه وتعالى بما لم يسمي به نفسه كما سماه الفلاسفة علة فاعلة، وسماه النصارى أباً.

الثاني: أن ينكر شيئاً من أسمائه تعالى، وهذا عكس الأول كما يفعل غلاة الجهمية.

الثالث: أن يشتق لبعض المعبودات أسماءً من اسمه تعالى كاللات من الله، والعزى من العزيز كفعل المشركين في آلهتهم.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها كما تفعل المعتزلة تثبت أسماء مجردة عن المعاني.

الخامس: وصفه تعالى بما يتعالى ويتقدس عن النقائص والعيوب، كما قالت اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١].
السادس: أن ينكر ما دلت عليه الأسماء من الصفات، وهذا معروف عن المعتزلة.

السابع: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا الأخير من مقابل الحاد المعطلة، وأهل الحديث والسنة وسط بين ذلك.

الآيات

قوله: (وآياته):

الآيات جمع آية والعلامة المميزة للشيء عن غيره، وهي قسمان:

أحدها: الآيات الشرعية: وهي التي بعث بها الرسل عليهم السلام من الوحي، كالقرآن قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢].
وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

والإحاد في آيات الله الشرعية إما بالتكذيب بها، أو بالتحريف، أو التعطيل، أو بترك العمل بها.

ثانيها: الآيات الكونية: وهي المتعلقة بالخلق والتكوين كالشمس والقمر والليل والنهار والنجوم والكواكب ونحوها.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوُحُوشِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٢-٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

والإلحاد في هذه الآيات نسبتها إلى غير الله في الخلق أو التدبير أو التكوين سواء كان استقلالاً، أو مشاركة.

قوله: (ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، ولا يعطلونها؛ لأنه سبحانه لا سمي له):

فهم بريئون من هذه الأوصاف؛ لأن الله تعالى سبحانه - ومعنى سبحانه تنزه؛ لأن سبحانه مأخوذ من السبح وهو البعد كأنك تبعد صفات النقص عن الله تعالى - لا سمي له، قال الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وهل هنا استفهامية بمعنى النفي، ويأتي النفي بصيغة الاستفهام لفائدة عظيمة وهي التحدي.

وفي معنى السمي أقوال هي:

١ - المماثلة فالمسامي المماثل أو الشبيه أو النظير.

٢- العدل.

٣- الشريك.

٤- هل تعلم أحد يسمى الله تعالى غير الله.

وهل بمعنى لا، أي لا تعلم، وكلها لا تنافي بينها، فالرب تبارك وتعالى لا سمي له، ولتفرده لكمال هذه الصفات والأفعال.

فأما من لا صفة له ولا فعل ولا حقائق لأسمائه إن هي إلا ألفاظ فارغة من المعاني فالعدم سمي له، وكذلك قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١]. فإنه تعالى ذكرها بعد نعوت الكمال وأوصافه.

قوله: (ولا كفوله):

قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

وفي كفوا ثلاث قراءات:

١- كفؤا ساكنة الفاء مهموزة، قراءة حمزة وإسماعيل.

٢- كفؤا بضم الفاء من غير همز، حفص عن عاصم.

٣- كفؤا بضم الفاء مهموزة، وهي قراءة الأكثرين.

وكل هذه القراءات صحيحة.

وفيه تقديم وتأخير من أجل توافق رؤوس الآيات، والله أعلم، وتقديره ولم يكن له أحد كفؤا.

وفي معنى الكفو ما يأتي:

١- المماثل والشبيه.

٢- العدل.

٣- المكافئ.

٤- المساوي.

٥- الصاحبة.

وكلها لا تنافي بينها.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله، كما في بدائع التفسير (٥/٢٧٦):

ونفي الولد، والكفو عنه المتضمن النفي الأصل، والفرع، والنظير، والمماثل مما اختصت به هذه السورة، وصارت تعدل ثلث القرآن.

ففي اسمه أحد إثبات كل كمال، وفي نفي الكفو التنزيه عن التشبيه والمثال، وفي الأحد نفي كل شريك لذي الجلال، وهذه الثلاثة هي مجامع التوحيد. اهـ.

قوله: (ولا ندله):

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

وفي الند معانٍ:

١- الشريك كما في الآية.

٢- الضد والمثل كما في البيت المنسوب لحسان:

أتهجوه ولست به بند فشركما لخيركما الفداء

٣- الكفاء.

٤- النظير.

٥- الشبيه.

وكلها لا تنافي بينها، وهي بمعنى واحد، بل إن هذه الثلاثة كلها والسمي، والكفاء، والند متقاربة المعنى كما ترى، فهي تدور على معاني الكفاء، والمماثل، والعدل، والشريك، والنظير، وأنه لم تكن له صاحبه.

وهذا النفي المقصود منه إثبات الكمال المطلق لله عز وجل.

قياس الخالق بال مخلوق

قوله: (ولا يقاس بخلقه):

القياس في اللغة: التمثيل قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قياس التمثيل: وهو الذي يعرفه علماء الأصول: بأنه إلحاق فروع بأصل في علة جامعة بينهما كالإلحاق النبيذ بالخمير بعله الإسكار. وهو مبني على وجود مماثلة بين الفروع والأصل، والله عز وجل لا يجوز أن يمثل بشيء من خلقه.

الثاني: قياس الشمول: وهو المعروف بالعام الشامل لجميع أفراد؛ بحيث يكون كل فرد داخلاً في مسمى ذلك اللفظ ومعناه، وهذا القياس مبني على استواء الأفراد المدرجة تحت ذلك اللفظ، ولا مساواة بين الله عز وجل وبين شيء من مخلوقاته فلا يجوز أن يستعمل هذا النوع وأن يقاس الله على خلقه.

الثالث: قياس الأولوية: وهو أن يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل. ومضمونه أن كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به من المخلوق، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه.

كذا قال بعض أهل العلم منهم الشيخ محمد بن خليل هراس رحمه الله، وهذا القول غير صحيح، فالله سبحانه وتعالى لا يقاس على خلقه في شيء من هذه الأقيسة، قال الله جل في علاه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فلو قال قائل بقياس الأولى: الله موجود والإنسان موجود، ووجود الله كوجود الإنسان بالقياس، فنقول هذا لا يصح للفرق بين الوجودين، فوجود الإنسان ممكن ووجود الله واجب.

قال السفاريني رحمه الله تعالى:

لكنها في الحكم توقيفية لنا بهذا أدلة وفيه

وعليه فجميع أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، أي متوقفة على الدليل سواء كان في الإثبات، أو في النفي، فلا يُنفى شيء عن الله تعالى إلا بدليل، والله سبحانه وتعالى متصف بصفاته قبل أن يخلق خلقه، والخلق لا يحيطون به علمًا.

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

ومحيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه اهـ.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [نصرت: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

فكيف تقاس صفات الخالق التي لا يبلغها المخلوق، ولا يحيطون بها علمًا بصفات المخلوق العاجز الضعيف: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠].

قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (١/ ١٦٢):

ما يطلق عليه في الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفًا كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية، أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟ اهـ.

فلا يقال في الله عز وجل: الذكي، وهذه الأوصاف كمال تطلق على المخلوق.

وبعض الذين قالوا باستعمال قياس الأولى ذكروا أمثلة متعقبة، وشروطاً لذلك حتى كاد ذلك لا يكون شيئاً، أو غير موجود.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]
فالواجب الاختصار على الدليل: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣].
وقياس الله على خلقه من علامات أهل البدع.

راجع شرح الواسطية للعثيمين (ص ١٠٥-١٠٦)، وشرح الهراس (ص ٢٧-
٢٨) شرح الفوزان (ص ١٨)، والقواعد الكلية للأسماء والصفات للبريكان
(ص ٢٨٧-٢٩٥)، والكواشف الجليلة (ص ٦١).

الجمع بين النفي والإثبات

قوله: (لأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]):

ليس: فعل ماضي ناقص نافي، وهذا النفي من الصفات المنفية التي يجب معها اعتقاد كمال ضد مطلق الله تعالى، فهو لكماله لا يماثله شيء من مخلوقاته، وفي هذا رد على أهل التمثيل.

وقد اختلف النحاة في الكاف في كمثل على أقوال:

أحدها: أن الكاف صلة وتوكيد، وأن تقدير الكلام ليس مثله شيء، واستشهد له بقول الشاعر:

وصاليات ككما يؤثفين.

أي أن الكاف زائدة فيما يسميه النحاة، وهذا جائز في غير القرآن، وما بمعنى مثل.

ثانيها: أن الزائد هو مثل، ويكون التقدير ليس كهو شيء، واستشهدوا له بقول الشاعر أوس بن حجر:

وقتي كمثل جذوع النخيل تغشام مسبل منهمر
ومعنى ذلك مجذوع النخيل.

وقول الشاعر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما إن كمثلهم في الناس من أحد

ثالثها: أن مثل بمعنى صفة، والمعنى ليس كصفة شيء، واستدلوا له بقوله تعالى:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]، أي صفة الجنة التي وعد المتقون.

رابعها: أنه لا حاجة إلى تقدير في الآية، وهي على ظاهرها، والمعنى نفي المثل لله تعالى، وإذا كان ليس للمثل مثل صار الموجود واحداً، وهو الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال ابن جرير (١٣/٢٥): يقول جل ثناؤه: واصفاً نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء عنه منه، وهو محيط بجميعه مُحْصٍ لصغيره وكبيره، قال تعالى: ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢]، من خير أم من شر. اهـ

وفي الآيات إثبات صفتين لله عز وجل وأسمين:

السميع: وهي صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة، ومن أسماؤه السميع الذي يسمع الأصوات كلها بمعنى المجيب قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

أوعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٍ؟

قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَنَتْنِي، فَظَنَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِرِيرُلٌ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

رواه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

وقالت الكلابية والأشاعرة: إن الله عز وجل يسمع بسمع واحد قديم، وأنه لا يتجدد عند حدوث المسموعات، وإنما يتجدد التعلق، وهكذا يقولن فيما يثبتونه من الصفات، وهو مبني على أصلهم في امتناع قيام الحوادث لذاته؛ لأنه لا يخلو من الحوادث يكون حادثاً كما زعموا، وهو أصل فاسد التزموا بسببه نفي قيام الأفعال الاختيارية بذات الله تعالى كالاستواء والنزول وغيرهما.

وهذا مخالف لطريقة السلف فإن السلف يثبتون لله تعالى سمعاً أزلياً؛ يسمع كل مسموع عند حدوثه، وهذا هو الحق وعليه الأدلة من الكتاب والسنة. راجع منهج الحافظ بن حجر العسقلاني في العقيدة (٢/ ٨٥٩-٨٦٠).

والسمع بمعنى إدراك الصوت ينقسم إلى عدة أقسام:

١- سمع يراد به عموم إدراك سمع الله تعالى:

وهذا مثله قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

قالت عائشة الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكمله وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

رواه أحمد (٤٣/٦) والبخاري تعليقا (٣٨٤/١٣).

هذا حديث صحيح، وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول لشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله (ص ٢٣٧).

٢- سمع يراد به النصر والتأييد.

كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وهذه من الصفات الفعلية لله عز وجل.

٣- سمع يراد به التهديد والوعيد.

كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

والبصر صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

ومن أسمائه البصير الذي يرى كل شيء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو المدرك لجميع المبصرات، والبصير بمعنى العليم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨].

وروى البخاري برقم (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٤٠٧) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَرْنَا، فَقَالَ: «ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا».

فالله تعالى يسمع ويبصر.

والعينان تثبتان لله عز وجل لدليل خارج لا لهذا الدليل، و سيأتي الكلام على صفة العين إن شاء الله تعالى.

وروى أبو داود رحمه الله برقم (٤٧٢٨) عَنْ أَبِي يُونُسَ سُلَيْمِ بْنِ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٥]، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَالتَّيَّ تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُهَا وَيَضَعُ إِبْصَعِيهِ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ عَقِبَهُ:

وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ.

قلت: هذا حديث صحيح.

وفي هذه الآية رد على طائفتي من أهل البدع، وهم أهل التمثيل وأهل التعطيل، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] رد على الممثلة، وفي قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] رد على المعطلة.

ورد على هؤلاء الذين سموا تعطيلهم تنزيها، وسموا ما وصف به نفسه تشبيها، وجعلوا ما يدل على إثبات صفات الكمال دليلا على نفيها وتعطيلها.

وراج ذلك على من لم يجعل الله له نورًا، واغتر به من شاء الله، وهدى الله أهل الحق فإثباتهم برئ من التمثيل، وفيهم بريء من التعطيل، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقالت الكلابية والأشعرية ما تقدم في صفة السمع؛ قالوا يبصر ببصر قديم لا يتجدد لا يصير له حدوث عند المبصرات.

وهذا بسبب أصلهم الذي أصلوه أن الله لا يكون محلاً للحوادث، وهذه العبارة تحتمل معنى حقًا، ومعنى باطلاً، فإن أرادوا إن الله تعالى لا يحل في ذاته شيء من مخلوقاته المقدرة فحق، وإن أرادوا نفي الصفات الاختيارية فباطل، والذي عليه السلف إن الله بصر أزليًا يبصر كل مبصر عند حدوثه وهو الذي تدعمه الأدلة.

قوله: (فهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره):

قال الله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ

الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وقال: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢].

قوله: (وأصدق قِيلًا، وأصدق حديثًا):

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ

حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعًا، أو يدفع به عنها

ضرًا، والله تعالى ذكره خالق الضر والنفع، فغير جائز أن يكون منه كذب؛ لأنه لا

يدعوه إلى اجتلاب نفع إلى نفسه، أو دفع ضرر عنها سواء تعالى ذكره، فيجوز أن يكون له في استحالة الكذب منه، نظيراً ومن أصدق من الله حديثاً وخبراً، قاله ابن جرير الطبري رحمه الله (٥/ ١٩١-١٩٢).

وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، فلا أحد أصدق من الله تعالى في الحديث، وكان النبي ﷺ يقول في خطبه: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

رواه مسلم برقم (٨٦٧) عن جابر رضي الله عنه.

فلا أحد أحسن حديثاً من الله؛ فألفاظه أفصح الألفاظ، وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها.

ومعانيها أشرف المعاني قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

قوله: (ورسله صادقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون):

أي فالرسل صادقون فيما قالوا، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

والصدق هو: مطابقة الخبر للواقع، فهم عليهم السلام صادقون فيما أتوا به عن الله، إذ هو الحق الصدق المطابق للواقع قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

فلو لم يكونوا صادقين ما رأيت دعوتهم تقوى، بل تنصر وتؤيد بالمعجزات والآيات والرسالات الدالة على صدقهم والدامغة للمعاندين لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وقد بلغوا البلاغ المبين، ونصحوا لأهمهم بأبلغ عبارة، وأوضح أسلوب، وليس في كلامهم لغز ولا تدليس ولا تورية ولا شيء يخالف باطنه ظاهره، وأن لديهم من القدرة على التعبير، وكمال العلم، والشفقة على قومهم، وتحمل الأذى والصراع بالحق والإنصاف والعدل، والتجرد لله ما ليس عند غيرهم، فاستحقوا أن يكونوا بينوا الحق لقومهم أكمل بيان.

فمن المحال أن يتركوا باب الإيثار بالأسماء والصفات ملتبسا بل بينوه غاية البيان، ووضحوه غاية الوضوح، فلم يبق فيه شك ولا إشكال.

ولذلك وجب تصديقهم فيما جاءوا به من الوحي الكريم، قال الله تعالى: ﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال عز وجل: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فيجب الإيثار بجميع الأنبياء والمرسلين، ولا يفرق بين أحد منهم، فلا يصح من أحد قول ولا عمل إلا باعتقاد صدقهم، وأمانتهم وتصديقهم، وأن ما جاءوا به حق وصدق وأعظم ما جاء به خاتمهم نبينا محمد ﷺ هو الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، ومعرفته وصفاته.

وهذا بخلاف المخالفين لطريق الرسل من أهل التحريف والتعطيل، أو التمثيل الذين يقولون على الله بغير علم، وبغير نور من الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]، والذين قالوا بعقولهم الفاسدة وتخيلاتهم

الكاسدة، فهؤلاء ضالون مضلون لغيرهم لقولهم على الله بغير علم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

قال الشيخ محمد بن خليل هراس رحمه الله في شرح الواسطية:

تعليل لصحة مذهب السلف في الإيمان يجمع الصفات الواردة في الكتاب والسنة، فإنه إذا كان الله عز وجل أعلم بنفسه وبغيره، وكان أصدق قولاً وأحسن حديثاً، وكان رسله عليهم السلام صادقين في كل ما يخبرون به عنه معصومين من الكذب عليه، والاخبار عنه بما يخالف الواقع وجب التعويل إذ في باب الصفات نفياً وإثباتاً على ما قاله، وقاله رسوله ﷺ الذي هو أعلم خلقه به، وأن لا يترك ذلك إلى قول من يفترون على الله الكذب ويقولون عليه ما لا يعلمون اهـ من التنبيهات السنية (ص ٣٢-٣٤).

قوله: (ولذلك قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الصافات: ١٨٠-١٨٢]:

قوله: سبحانه تقدم بيانه.

وإضافة الربوبية إلى محمد ﷺ من باب إضافة الخالق إلى المخلوق، وهذه ربوبية خاصة.

ورب العزة: من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، ورب هذه بمعنى صاحب أي صاحب العزة.

والعزة: صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل، ومن أسمائه العزيز، ومعنى العزة الغلبة والمنعة، وتكون بمعنى امتناع على من يرومه من أعدائه، وتكون بمعنى القوة والصلابة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [يونس: ٦٥] وقال تعالى ﴿وَنُعِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَنُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَخْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٢٠) عَنْ هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكَرْبَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذْبَتُهُ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُلْقَى فِي النَّارِ، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ، وَيَزُوي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ».

رواه البخاري برقم (٦٦٦١). ومسلم (٢٨٤٨)

قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

هو العزيز فلا يرام جنبه	أنى يرام جنب ذى السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم	يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه	فالعر حيثئذ ثلاث معاني
وهي التي كملت به سبحانه	من كل وجه عادم النقصان

وهذه معان العز الثلاثة:

فنزّه نفسه عما يصفه به المشركون، والمحرفون، أو المشبهون على ما سيذكره المصنف.

قوله: (فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوا من النقص والعيب والخلل والزلل):

قال الشيخ العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص ١١٤):

معنى هذه الجملة واضح، وبقي أن يقال: وحمد نفسه لكمال صفاته بالنسبة لنفسه وبالنسبة لرسالة، فإنه سبحانه محمود لكمال صفاته، وعلى إرسال الرسل؛ لما في ذلك من رحمة الخلق والإحسان إليهم اهـ.

وتقدم معنى هذا ما عدا قوله العالمين، وهي: جمع عالم وهو كل ما سوى الله سمي بذلك؛ لأنه علامة على وجود الله خالقه وموجده ووحدانيته وأنه المتسحق للعبادة.

قوله: (وقد جمع الله سبحانه وتعالى فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات):

بين المصنف رحمه الله في هذه الجملة أن الله جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات، وهذه هي طريقة الكتاب والسنة في أسماء الله تعالى وصفاته.

والجمع: هو الضم أي ضم في هذا الوصف النفي والإثبات.

واعلم أن كلاً من النفي والإثبات قسمان مجمل ومفصل:

أما النفي المجمل: فهو أن ينفي عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من العيوب

والنقائص، كالند والمثيل والسمى، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

[الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وليس في الكتاب ولا في السنة نفي محض، فإن النفي المحض (الصرف) لا مدح فيه وإنما يراد به إثبات ضدها من الكمال المطلق لله عز وجل، والآية التي ذكرها المصنف دليل على هذا.

وأما النفي المفصل: فهو تنزيه الله تعالى عن كل واحد من العيوب والنقائص بخصوصه كنفي السنّة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والنسيان: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، والعبث قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

والصفات المنفية عن الله أو المنفية نوعان:

الأول: نفي النقائص والعيوب المتصلة، وذلك مثل الموت قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، والتعب والإعياء قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ١١].

النوم والسنّة: قال الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، وغيرها.

الثاني: نفي النقائص والعيوب المنفصلة، كالولد والصاحبة، قال الله تعالى: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣]، والظهير قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في النونية:

سلب النقائص والعيون جميعها	عنه هـا نوعان معقولان
سلب لمتصل ومنفصل هـا	نوعان معروفان أما الثاني

وكذلك سلب الزوج والولد الذي
نسبوا إليه عابدوا الصلبان
سلب الشريك مع الظهير مع الشـ
سفيح بدون إذن الخالق الديان
وكذلك نفى الكفو أيضًا والولي
لناسوى الرحمن ذي الغفران
والأول التنزيه للرحمن عن
وصف العيوب وكل ذي نقصان
كالموت والإعياء والتعب الذي
ينفى اقتدار الخالق المنان

والإجمالي في الإثبات: فمثل إثبات الكمال المطلق، والمدح المطلق، والمجد المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦].

وأما التفصيل في الإثبات: فهو الإثبات على سبيل التعيين والإفراد للأسماء والصفات كل منها بذاته، فهو يتناول كل اسم، أو صفة ورد في الكتاب أو السنة أو فيهما معًا، وسواء علمناه كالسميع، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وكذا البصير والعزیز قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وهكذا.

أو ما لم نعلمه مما استأثر الله بعلمه كما في حديث عبد الله بن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ؛ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَخُرْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا».

قَالَ: فَيَقِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

رواه أحمد (١/ ٣٩١)، وغيره، وهو حسن.

والإجماع على عدم حصر أسماء الله تعالى، وشذ ابن حزم فخالف إجماع الأمة؛ فقال بحصرها، وأخطأ، وهو متأخر.

قوله: (فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون):

العدول: هنا معناه الانصراف والانحراف ومنه قوله تعالى ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، أي يعدلون بالله غيره وينصرفون إلى غيره. وقولهم: عدل عن الطريق إذا مال عنها.

قال أبو خراش:

على أنني إذا ذكرت فراقهم تضيق على الأرض ذات المعادل

أي ذات السعة التي يعدل فيها يميناً وشمالاً من سعتها.

وتقدم الكلام على لفظ أهل السنة والجماعة، سمو بذلك لاجتماعهم على السنة والحق، والمراد بهم أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، وتقدم مزيد بيان عند ذكر أهل الحديث.

وقوله: (عما جاءت به المرسلون):

قال الشيخ هراس رحمه الله في شرح الواسطية (٣٣):

هَذَا مُتَرْتَّبٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ بَيَانٍ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، وَلَا يَصِحُّ الْعُدُولُ عَنْهُ؛ وَقَدْ عُلِّلَ بِأَنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، يَعْنِي: الطَّرِيقَ السَّوِيَّ الْقَاصِدَ الَّذِي لَا عَوَجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ.

وراجع ما تقدم في مسألة هل شرع من تقدم شرع لنا في باب الرسل.

الصراط:

قوله: (فإنه الصراط المستقيم):

الضمير في (فإنه) يعود على ما جاءت به الرسل، وهو الطريق الذي عليه أهل السنة والجماعة، ولا يعدلون عنه.

الصراط: الطريق الواسع المستقيم، وقرئ السراط من استرط بمعنى الابتلاع، كان الطريق يسترط من يسلكه، وقرئ بالزاي الزراط من الزرط، وهو البلع بسرعة، لأن الطريق إذا كان واسعاً لا يكون فيه ضيق، ولا يتعثر فيه الناس، فهو إذاً كل طريق واسع ليس فيه صعود ولا نزول، ولا اعوجاج.

وهو الطريق الذي وصف الله جل ثناؤه صفته، وذلك الطريق، وهو طريق الذين وصفهم الله بها وصفهم به في تنزيله، ووعد من سلكه فاستقام فيه طائعاً لله ولرسوله ﷺ أن يوردهم مواردهم، والله لا يخلف الميعاد، وهو طريق محمد ﷺ، والذي أمره الله أن يسأله ربه من الهداية للطريق المستقيم هو وأمهته من تفسير ابن جرير (٧٦/١) بتصرف.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

المستقيم: الطريق الواسع الذي لا اعوجاج فيه إذاً فهو صفة كاشفة للصراط، والصراط المذكور في الكتاب والسنة ينقسم إلى قسمين:

١- معنوي: وهو هذا الذي نحن بصددده الآن.

٢- حسي: وهو المنصوب على متن جهنم، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله

تعالى.

فبحسب استقامة الإنسان على هذا الصراط الذي ذكره المؤلف - أي في الدنيا - تكون استقامته على ذلك الصراط المنسوب على متن جهنم حذو القدوة بالقدوة جزاءً وفاقاً: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

قال الشيخ هراس رحمه الله في شرح الواسطية (٣٣):
وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ لَا يَكُونُ إِلَّا وَاحِدًا؛ مَنْ زَاغَ عَنْهُ أَوْ انْحَرَفَ وَقَعَ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الضَّلَالِ وَالْجُورِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. اهـ.
قوله: (صراط الذين أنعم عليهم):

وصراط بدل الصراط المستقيم، والنعمة كل فضل وإحسان من الله به على عباده فهو نعمة، وهذه النعمة على أقسام:

١ - عامة: وهذه يشترك فيها المؤمن والفاجر والمسلم والكافر، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

٢ - خاصة وهي قسمان:

أ - خاصة بالمؤمنين: وهي نعمة الإسلام قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وهذه يشترك فيها المؤمنون والأنبياء.

ب - خاصة الخاصة: وهي نعمة النبوة والرسالة، وهذه خاصة بالأنبياء والرسل قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

والمراد بالنعمة الخاصة والناس يتفاوتون فيها.

فائدة:

قال ابن القيم رحمه الله كما في بدائع التفسير (١/١١٩-١٢٠):

وفي تخصيصه لأهل الصراط المستقيم بالنعمة ما دل على أن النعمة المطلقة هي الموجبة للفلاح الدائم، وأما مطلق النعمة على المؤمن والكافر فكل الخلق في نعمة. وهذا فصل النزاع في مسألة: هل لله على الكافرين نعمة أم لا؟

فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان، ومطلق النعمة يكون للمؤمن والكافر، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. والنعمة من جنس الإحسان، بل هي الإحسان، والرب تعالى إحسانه على البر والفاجر والمؤمن والكافر، وأما الإحسان المطلق فللذين اتقوا والذين هم محسنون. اهـ.

قوله: (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين):

تقدم الكلام على النبيين.

الصَّديق:

والصديقون جمع صديق على وزن فعيل صفة مبالغة في الصدق.

والصديقون: هم الذين صدقوا أقولهم بأفعالهم، والصديق أبلغ من الصدوق

فالصدق في العقيدة، الإخلاص، ومن المقال بأنه لا يقول إلا ما طابق الواقع.

والصدق في الأفعال: أن تكون أفعاله مطابقة لما جاء به رسول الله ﷺ، ومن

صدق الأفعال أن تكون بإخلاص، فالصديق من حاز هذه الخصال.

الشهيد:

والشهداء: جمع شهيد وهو من قُتِلَ في سبيل الله، وقيل إنه سمي شهيداً لأن الله شهد له بالجنة، وأن ملائكة الرحمة تشهده كما قال النبي ﷺ في عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْهَانِي، فَجَعَلْتُ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ».

رواه البخاري برقم (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١)، وبوب البخاري في كتاب الجهاد باب ظل الملائكة على الشهيد.

الشهداء ثلاثة أقسام:

والشهداء ثلاثة أقسام:

الأول: شهيد في الدنيا والآخرة: وهو المقتول في سبيل الله تعالى في المعركة مع الكفار وكان قصده إعلاء كلمة الله.

فهذا لا يغسل، ويكفن في ثيابه، ولا يصلى عليه.

الثاني: شهيد في الآخرة: وهو من مات بالطاعون، أو الغريق، أو الهدم وما أشبه مما ورد في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الشَّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمُطْعُونُ، وَالْمُبْطُونُ، وَالْغَرَقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

رواه البخاري برقم (٢٨٢٩) ومسلم برقم (٤٣٧).

فهؤلاء (عدا الأخير) تجري عليهم أحكام الدنيا من الغسل والتكفين والصلاة عليه.

الثالث: شهيد في الدنيا: وهذا الذي قاتل الكفار في المعركة لكنه لم تكن نيته خالصة لله عياداً بالله، فهذا تجري عليه أحكام الشهيد في الدنيا من عدم غسله، وتكفينه والصلاة عليه، وهو في الآخرة ليس بشهيد.

راجع شرح النووي على مسلم (٢/٣٤٣).

والرابع: من لم يتصف بصفة من هذه الصفات، فهذا ليس بشهيد لا في الدنيا ولا في الآخرة.

الصالح:

قوله: (والصالحين):

جمع صالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق عباده، ولفظ الصالح ضد الفاسد فإذا أطلق لفظ صالح فهو الذي صلح جميع أمره قال الله تعالى في هؤلاء: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فأفضل الخلق الأنبياء، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ولذا قدم الأفضل فالذي يليه، فغير هؤلاء الأصناف لا يمشون على ما جاءت به الرسل.

قوله: (ومن هذه الجملة):

أي المجموعة وهذا شروع منه رحمه الله في ذكر النصوص من الكتاب والسنة، وتفصيلها الداخلة في الإيذان بالله، وإثباتها على ما تقدم من الشروط.

وقوله (ومن هذه): دليل على أنه بقيت نصوص غيرها لم يذكرها، لكنه جمع ما لم يجمعه غيره فيما أعلم.

سورة الإخلاص

قوله: (ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن على لسان محمد ﷺ فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾):

كما في صحيح البخاري برقم (٥٠١٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّمَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

والمرفوع نحوه عند مسلم برقم (٨١١)، هذا حديث أبي الدرداء، وبرقم (٨١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في الآية إثبات اسم الأحد لله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْنًا أَحَدٌ».

رواه البخاري برقم (٤٩٧٤)، وكذا يؤخذ منه صفة الأحد لله تعالى، والأحد

بمعنى الواحد ومعناه:

١ - الذي لا شبيه له ولا نظير.

٢ - الفرد.

٣- الذي لا نظير له ولا وزير ولا شبيه، وهذا الاسم لا يطلق في الإثبات إلا على الله عز وجل، ولكن يقال ليوم من أيام الأسبوع الأحد. وكذا الصمد.

والصمد: اسم ثابت لله عز وجل بالكتاب والسنة. أما الكتاب فهذه الآية، وأما السنة للحديث المتقدم آنفاً، وفيه إثبات صفة الصمدية لله عز وجل، وفي معنى الصمد معاني:

- ١- السيد الذي يصمد إليه الذي لا أحد فوقه كذا تسميه العرب.
- ٢- المصمت الذي لا جوف له.
- ٣- الدائم الباقي.
- ٤- الذي لا يأكل ولا يشرب.
- ٥- الكامل في علمه وفي قدرته وفي حكمته وفي عزته، وسودده، وفي كل صفاته.

- ٦- الذي لا يخرج منه شيء ولم يلد ولم يولد.
 - ٧- الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.
- وأقربها الأول، ومنه قول الأسدي:

ألا بكر الناعي بخير بني أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد

قوله: (لم يلد ولم يولد):

وهذه من الصفات المنفية فلم يلد؛ لأن الوالد محتاج إلى الولد بالخدمة والنفقة، ولأنه ليس بفان لم يلد فيورث، فلا شيء يلد إلا وهو فان بئد، وفي هذا رد على اليهود الذين قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

ولم يولد: أي ليس بمحدث بعد إن لم يكن ولد فكان؛ لأنه تعالى فليس له ولد ولا يولد، وهو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، وقد تقدم الحديث فهو دائم لم يبد ولا يزال ولا يفني.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

هو باطن هي أربع بوازن	هو أول هو آخر هو ظاهر
شيء تعالى الله ذو سلطان	ما قلبه شيء كذا ما بعده
شيء وذا تفسير ذي البرهان	ما فوقه شيء كذا ما دونه

قال ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (١٣٢):

ولما كان يرد على الذهن فرض أئمة يكون الشيء لا والد ولا ولد ولا مولوداً، لكنه متولد؛ نفي هذا الوهم الذي قد يرد فقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

قوله: (ولم يكن له كفواً أحد):

تقدم الكلام على هذا بما يغني عن إعادته هنا.

تفسير آية الكرسي

قوله: (وما صف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله):

لما في صحيح مسلم برقم (٨١٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

قوله: (حيث يقول: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» [البقرة: ٢٥٥]).

في هذه الآية عشر جمل كل جملة مستقلة:

الأولى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»:

أي لا معبود بحق إلا هو سبحانه تعالى، وفي هذه حصر الألوهية الحققة في الله تعالى، وهذه أبلغ من قوله: (الله هو الإله)، ومعنى هذا النهي أن يعبد شيء غير الله.

الثانية: «الْحَيُّ الْقَيُّومُ»:

الحي ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع أوصاف الكمال، ولم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا يعترها نقص بوجه من الوجوه، والحي من أسماء الله تعالى كما في هذه الآية وقول الله تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ» [الفرقان: ٥٨].

وفي صحيح البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) وهذا لفظه عن ابن عباسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».

وفيه إثبات صفة الحياة لله تعالى.

﴿الْقِيُومُ﴾: من الفيعول من القيام، وأصله القيوم وهو القائم بنفسه المستغني عن كل شيء، وقائم بالموجودات كلها خلقها ورزقها وأمدّها بكل ما تحتاج إليه. والقيوم اسم ثابت لله عز وجل قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وفيه إثبات صفة القيومية لله عز وجل.

قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (٢/ ١٨٤):

مدار الأسماء الحسنى كلها وإليهما مرجع معانيها جميعها، وهو اسم الحي القيوم؛ فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة، وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة، وبهذا الطريق العقلي أثبت متكلمو أهل الإثبات له تعالى صفة السمع، والبصر، والعلم، والإرادة، والقدرة، والكلام، وسائر صفات الكمال. وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه، وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره.

فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال، والغنى التام، والقدرة التامة. اهـ.

قال ابن أبي العزرحم الله في شرح الطحاوية (ص ١٢١-١٢٢):

واعلم أن هذين الاسمين - أعني: الحي القيوم - مذكوران في القرآن معًا في ثلاث سور، وهما من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنها الاسم الأعظم، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدق، ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ما لا يدل عليه لفظ القديم، ويدل أيضًا على كونه موجودًا بنفسه، وهو معنى كونه واجب الوجود.

و القيوم أبلغ من القيّام؛ لأن الواو أقوى من الألف، ويفيد قيامه بنفسه، باتفاق المفسرين وأهل اللغة، وهو معلوم بالضرورة، وهل تفيد إقامته لغيره وقيامه عليه؟ فيه قولان، أصحهما: أنه يفيد ذلك، وهو يفيد دوام قيامه وكل قيامه، لما فيه من المبالغة، فهو سبحانه لا يزول ولا يأفل، فإن الآفل قد زال قطعًا، أي لا يغيب ولا ينقص ولا يفنى ولا يعدم، بل هو الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال.

واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على دوامها وبقائها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلاً وأبدًا.

ولهذا كان قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أعظم آية في

القرآن، كما ثبت ذلك في الصحيح^(١) عن النبي ﷺ.

(١) صحيح مسلم برقم (٨١٠) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها.
فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا
لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل
كمال يضاد نفيه كمال الحياة.

وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج
إلى غيره بوجه من الوجوه المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان
الاسمان صفات الكمال أتم انتظام. اهـ
الثالثة: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾:

السنة: النعاس وهو مقدمة النوم، والنوم واضح، وتفسير الواضح فاضح.
وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ﴾؛ لأن النوم يكون باختيار، والأخذ يكون بالقهر، والسنة
تكون في العين، والنوم يكون في القلب.

وفي صحيح مسلم برقم (١٧٩) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بَارِزًا: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ
النَّهَارِ بِاللَّيْلِ وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ».

وهذه الصفة نفى السَّنة والنوم من صفات النفي، والتي تتضمن إثبات العزة لله
عز وجل، وهو تأكيد لما تقدم من كمال قيوميته سبحانه وتعالى.

الرابعة: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾:

أي أنه هو المالك لجميع ما في السماوات وما في الأرض بغير شريك ولا معين،
وخالقه جميعه دون كل آلهة ومعبود آخر.

الخامسة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾:

من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه قال ابن كثير في تفسير الآية:

وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة، ومن استفهامية أي لا أحد يستطيع أن يشفع إلا بإذنه. والشفاعة سيأتي لها فصل إن شاء الله.

وقوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: أي إذنه له.

قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]

وفي الآية إثبات صفة الإذن لله عز وجل بمعنى الاستماع.

راجع صفات الله عز وجل الوارد في الكتاب والسنة، للسقاف (ص ٤٥-٤٧).

السادسة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾:

يعني أنه محيط بكل ما بين أيديهم المستقبل والدنيا، (وما خلفهم) من الماضي والآخرة، وفي هذا إثبات صفة العلم لله تعالى.

السابعة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾:

أي لا يعلم أحد من علم ذاته وصفاته، ولا شيء مما يعلمه إلا بما شاء هو أن يُعَلِّمَهُ، فَعَلِمَهُ.

وقد أخبرنا الله عز وجل عن أمور كثيرة من هذه، ومع هذا يقول تعالى: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وفي هذا إثبات صفة المشيئة لله عز وجل قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩].

الثامنة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾:

أي ملأ وأحاط كرسيه بالسموات والأرض، وهذا فيه دليل على كبر هذا الكرسي، والكرسي سيأتي الكلام عنه إن شاء الله في موضعه.

التاسعة: ﴿وَلَا يَتَّوَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾: أي لا يشق عليه ولا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض.

وهذا من الصفات المنفية عن الله فيثبت مقابلها كمال القدرة لله عز وجل، والقوة والرحمة بعباده.

العاشرة: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾:

العلي على وزن فعيل، وهي صفة من قولك علا يعلو علواً؛ لأن علوه عز وجل لازم لذاته، والفرق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل أن اسم الفاعل طارئ حادث يمكنه زواله، والصفة المشبهة لازمة لا ينفك عنها الموصوف.

راجع شرح الواسطية للعثيمين (ص ١٤٠).

و(ال) في قوله: ﴿الْعَلِيُّ﴾ للشمول والاستغراق، فالله سبحانه وتعالى له العلو الكامل والارتفاع المطلق على خلقه. والعلو ثلاثة أقسام هي:

الأول: علو ذات فهو فوق كل شيء بذاته فليس فوقه أو بمقابله حتى يقاربه شيء من مخلوقاته، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].
الثاني: علو الصفات، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦].
وصفات الله كلها عليا.

الثالث: علو قهر: وهو بمعنى الغلبة والأخذ من فوق، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وكلها ثابتة لله عز وجل.

وفي هذا إثبات اسم العلي لله عز وجل وصفة العلو.

﴿الْعَظِيمُ﴾: على وزن فعيل وهي صفة مشبهة أي المعظم الذي يعظمه خلقه ويخافونه ويتقونه فهو ذو العظمة والقوة والكبرياء.

فالله سبحانه وتعالى لا مثله ولا أعظم منه لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، وفي هذا إثبات اسم العظيم لله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦].

وكذا صفة العظمة لله عز وجل.

قوله: (ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح):

الحديث صحيح، ذكره البخاري تعليقا برقم (٢٣١١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا زَفَعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ فَخَلَيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةَ شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ سَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَخْتُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَا زَفَعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةَ شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَخْتُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَا زَفَعَنَكَ إِلَى رَسُولِ

الله ﷻ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنْتَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمَكَ
كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ:
﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَحْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ
مِنْ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي
رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْلَمُنِي
كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ؟» قُلْتُ: قَالَ لِي إِذَا أُوَيْتَ إِلَى
فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَحْتِمَ الْآيَةَ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾،
وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا
أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ
تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ».

وذكره البخاري برقم (٣٢٧٥ و ٥٠١٠) مختصراً، ووصله النسائي في «عمل
اليوم والليلة» برقم (٩٥٩) قال: أخبرنا إبراهيم بن يعقوب قال: حدثنا عثمان بن
الهيثم، به، وابن خزيمة في «صحيحه» برقم (٢٤٢٤) قال: حدثنا هلال بن
بشر البصري بخبر غريب غريب، حدثنا عثمان بن الهيثم، فذكره.

والبيهقي في «الشعب» (٤٥٢ / ٢) برقم (٢٣٨٨) من طريق السري بن خزيمة،
وفي «دلائل النبوة» (١٠٧ - ١٠٨) من طريق محمد بن غالب، كلاهما عن عثمان،
به، والبخاري في «شرح السنة» برقم (١١٩٦) من محمد بن إسماعيل عن الهيثم، به.
وهذا حديث صحيح، غير أن عثمان بن الهيثم، وهو: أبو عمرو البصري قال
أبوحاتم: كان بآخره يتلقن، وهذا يدل على تغيره.

وقد رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٩٥٨)، وفي «فضائل القرآن» برقم (٨٠١٧) من «الكبرى» من طريق إسماعيل بن مسلم وهو العبدى عن أبي المتوكل عن أبي هريرة، نحوه، فصح الحديث، والحمد لله.

وجاء من حديث أبي بن كعب:

رواه البخاري «التاريخ الكبير» (٢٨/١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٩٦٠)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٧٨٤)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٧٦٥/٢) برقم (٥٤٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٠٨-١٠٩)، والبغوي في «شرح السنة» برقم (١١٩١) كلهم من طريق الأوزاعي قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير قال: حدثني ابن أبي بن كعب: أن أباه حدثه: أنه كان لهم جرن، فذكر نحوه.

وروى البخاري في «التاريخ» (٢٧-٢٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٩٦١) من طريق حرب بن شداد قال: حدثني يحيى، حدثنا الحضرمي بن لاحق التميمي قال: حدثنا محمد بن أبي بن كعب قال: كان لجلي جرن، فذكره. ورواه الحاكم في «المستدرک» (١/٥٦٢) من طريق حرب بن شداد، به، إلا أنه قال: عن محمد بن عمرو بن أبي كعب عن جده (أبي)، فذكره.

ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٩٦٢) من طريق شيبان عن يحيى عن الحضرمي بن لاحق عن محمد قال: كان أبي بن كعب (جد محمد) قال: كان لأبي جرن من طعام، فذكره.

فتبين أن ابن أبي بن كعب هو: محمد بن عمرو بن أبي بن كعب، وهو مجهول حال. ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٠ / ٨)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكر في الرواة عنه محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة فقط. فحديث أبي ضعيف.

وجاء من حديث معاذ رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠ / رقم ١٩٧)، وفي «مسند الشاميين» برقم (١٦١٢) قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرق الحمصي، ثنا محمد بن مصفى، ثنا بقية بن الوليد، ثنا عقيل بن مدرك عن لقمان بن عامر عن الحسن بن جابر القرشي عن معاذ، فذكره.

وإبراهيم بن محمد بن عرق، قال الذهبي في الميزان (١ / ٦٣): (غير معتمد). وعقيل بن مدرك، وهو السلمي أبو الأزهر: مجهول حال كما في ترجمته من «التهذيب».

والحسن بن جابر، مجهول حال، ترجمته في «التهذيب». فحديث معاذ ضعيف.

وجاء من حديث أبي أيوب رواه الترمذي برقم (٢٨٨٠)، وأبونعيم في «دلائل النبوة» (٢ / ٧٦٦) برقم (٥٤٥) من طريق سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي أيوب: أنه كانت له سهوة فيها تمر، فكانت تجئ الغول فتأخذ منه، فذكره.

وابن أبي ليلى، هو: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعيف.

وجاء عن أسيد الساعدي عند الطبراني، رواه الطبراني في «الكبير» برقم (٥٨٥).

وفي سنده عبدالله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص، قال الأزدي: منكر الحديث، يرويه عن جده لأُمّه (مالك بن حمزة بن أبي أسيد) عن أبيه عن جده. وجده مالك بن حمزة، ذكر له البخاري حديثاً، وقال: لا يتابع عليه، كما في «تهذيب التهذيب».

وجاء عن بريدة بن الحصيب، رواه البيهقي في «الدلائل» (١١٠١١١/٧) من طريق مالك بن مغول عن عبدالله بن بريدة عن أمية، فذكره. وقال البيهقي عقبه: كذا قال عن عبدالله بن بريدة عن أبيه، وهذا غير قصة معاذ فيحتمل أن يكونا محفوظين. اهـ وفي سنده: حامد السلمي لم أجد له ترجمة. فلا يصح الحديث إلا عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن فضل هذه الآية ما رواه النسائي في عمل اليوم والليلة عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت».

رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٩٩٢٨). وهو حسن، كما في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٣٤٢/١) وقوله: (شيطان): سيأتي إن شاء الله الكلام على الشيطان في موضعه. وإنما ذكره المصنف هذه الآية هنا لاشتغالها على النفي والإثبات، فإن فيها شواهد لما ذكر سبحانه جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات. قوله: (ومنه):

أي مما وصف الله بنفسه فجمع بين النفي والإثبات.

آيات أخرى جمعت بين صفات النفي والإثبات

(قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]):

تقدم حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم برقم (٢٧١٣) عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ».

كَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وفي هذه الآيات إثبات ما يأتي:

١- إثبات اسم الأول لله عز وجل، ومعناه كما في الحديث الذي ليس قبله شيء وكذا صفة الأولية.

وأدخل أهل الكلام القديم أسماء الله وليس كذلك.

٢- إثبات اسم الآخر ومعناه كما في الحديث الذي ليس بعده شيء، والمعنى أنه لأنها لا نهاية لآخريته.

ويؤخذ منه صفات الآخرية.

٣- إثبات اسم الظاهر لله عز وجل وتفسيره بالحديث أولى وأجدر، وفيه إثبات صفة الظاهرية لله عز وجل.

٤- إثبات اسم الباطن لله عز وجل وقد فسره رسول الله ﷺ وكذا صفة الباطنية.

والأول - والآخر - والظاهر - والباطن، من الأسماء المزدوجة، وضابط هذه الأسماء إن الاسم لا يطلق على الله بمفرده بل بمقابله؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم منها بما يقابله.

فهذه الأسماء تجري من الأسماء مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لا تطلق عليه إلا مقترنة اهـ. بتصرف

راجع معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات (ص ٢٦٤).

(وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢]:

العليم من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم، وتقدم كلام في العلم في معنى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

وفي هذا إثبات اسم العليم لله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

وكذا إثبات صفة العلم لله عز وجل، وهي من الصفات الذاتية وعلمه سبحانه شامل لكل شيء ومحيط به، فيعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨].

والحكيم على وزن فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، فلا يحصل فيها تفاوت ولا اضطراب.

والإحكام هو الإتقان، وهو وضع الشيء في موضعه.

وإن كانت من حكم فهي بمعنى الحاكم بين خلقه بأمره الشرعي والكوني، فالله سبحانه وتعالى هو الحاكم وأن الحكم إلا الله.

والحكم ثلاثة: كوني قدري، ديني شرعي، حكم قضائي.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿فَلَنُأْتِيَنَّكَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

ومن الثالث وفي هذا إثبات اسم الحكيم لله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، وإثبات صفة الحكمة لله تعالى. وحكمة الله تعالى قسمان:

١ - حكمة في خلقه وهي نوعان:

أ- إحكام هذا الخلق، وإيجاده في غاية الإحكام.

ب- صورة لأجل غاية محمودة مطلوبة له سبحانه التي أمر لأجلها، وخلق لأجلها.

٢ - الحكمة في شرعة، وتنقسم أيضًا إلى قسمين:

أ- كونها في غاية الإحسان والإتقان.

ب- كونها صدرت لغاية محمودة حكمة عظيمة يستحق عليها الحمد.

والحكمة حكمتان:

١- علمية: وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقًا وأمرًا قدرًا وشرعًا.

٢- عملية: وهي وضع الشيء في موضعه.
راجع مدارج السالكين (٢/٤٧٨).

(وقوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١]):

الحكيم قد تقدم.

والخبير: هو العليم ببواطن الأمور وخفاياها كما أحاط بظواهرها.

والفرق بين العليم والخبير: أن الخبير هو العليم بكنه المعلومات على حقائقها ففيه معنى زائد على العلم.

وفيه إثبات اسم الخبير لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

[الأنعام: ١٨].

(وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ

فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]):

تقدم الكلام على العلم.

(ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ): ما اسم موصول يقبل العموم، وكل الذي يلج يدخل في

الأرض من مطر، وحب، والموتى، والدود، والنمل، والحيوانات، ونحوه.

(وما يخرج منها): أي من النبات، والمعادن، والماء، وما أشبهه.

(وما ينزل من السماء): من الأمطار والثلوج والبرد والأرزاق والوحي والملائكة

وأمر الله وأقداره.

(وما يعرج فيها): من الملائكة، والأعمال الصالحة، والأرواح، والدعاء، ففي الآية توضيح لمعنى الخبر السابق بعموم علم الله عز وجل.

علم الغيب:

(وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]):

مفاتيح الغيب جمع مفتاح قال القرطبي رحمه الله: هذه اللغة الفصيحة. اهـ.

ومن قال مفتاح جمعه مفاتيح: ابن جرير (٢١٢/٧).

والمفتاح عبارة عن كل ما يحل غلقاً محسوساً كالقفل على البيت، أو معقولاً كالنظر.

وفي حديث أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ؛ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ».

رواه ابن ماجه برقم (٢٣٧).

وجاء عن غير أنس، وهو في السلسلة الصحيحة (١٣٣٢).

ومعنى مفاتيح الغيب: أي عند الله وحده خزائن الغيب، ومبادئ الغيب؛ لأنه إذا كان مفاتيحه عند الله فكذلك هو.

ولا يعلم أحد الغيب إلا الله قال، الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ١٧٩]

وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

وروى البخاري في صحيحه برقم (٤٦٢٧) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٨٥٥) ومسلم برقم (١٧٧) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي بِمَا قُلْتُ! أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَ هُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية [المائدة: ٦٧]، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ.

فهذه خمس لا يعلمها إلا الله تعالى وهي:

الأول: علم وقت الساعة.

الثاني: وقت نزول الأمطار (الغيث).

الثالث: علم ما في الأرحام.

الرابع: علم ما في الغد.

الخامس: علم مكان الموت.

قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٣٩٩):

علم الغيب والإيمان بالغيب وهو كل ما غاب عن العيون، وسواء كان محصلاً في القلوب، أو غير محصل تقول: غاب عنه غيباً وغيبة. اهـ.
والغيب قسمان:

أحدها: غيب مطلق: وهذا هو الذي اختص الله تعالى به، ومن ادعى علمه فهو كافر بالله تعالى.

ثانيها: غيب نسبي: وهذا يعلمه البعض دون غيره، فمثلاً ما في حوزتلك المخزونات ومما تخفي هذا معلوم لديك لكنه بالنسبة لغيرك يعتبر غيباً نسبياً أما بالنسبة لك فلا.

قال زيد بن فياض في الروضة الندية (ص ٧٢):

والعلم صفة ذاتية لازمة لله تعالى لا يخلو منها في وقت من الأوقات، ولا يتصور انفكاك ذات الله عنها، وقد أنكر غلاة القدرية علم الله القديم، وأنه لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها.

وقد اشتد إنكار السلف عليهم وقالوا: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحد به كفروا، قال الإمام أحمد في رده على الجهمية والزنادقة^(١):

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (ص ٣٠٥-٣٠٦).

فإن قال الجهمي ليس له علم كفر، وإن قال لله علم محدث كفر، حيث زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علم فعلم، فإن قال: الله أعلم وليس مخلوقاً ولا محدثاً رجع عن قوله كله، وقال يقول أهل السنة. اهـ.
قوله: (ويعلم ما في البر والبحر):

ومع علم الله عز وجل الذي لا يعلمه أحد غيره كذلك يعلم جميع ما يعلمه خلقه وزيادة، فيعلم ما في البر (اليابس) من الأشجار، والأحجار، والناس، ونحوه. (والبحر) بما فيها من الحيوانات... وغيرها.

قوله: (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس):

وأيضاً ما تسقط من ورقة من أي شجرة كانت في البر والبحر صغيرة، أو كبيرة إلا يعلمها، وزمان ومكان سقوطها؛ لأنه مكوّنها ومسقطها، ويعلم كم تدور في الهوى.

ولا حبة صغيرة لا يدركها الطرف، أو كبيرة من حبوب الثمار، أو اللقاح من ظلمات الأرض أي في الأمكنة المظلمة، أو في باطن الأرض ولو كانت غائصة في قاع البحر في ليلة مظلمة مطيرة إلا يعلم متى تنبت وكم تنبت وكيف تنبت ومن يأكلها.
قوله: (ولا رطب ولا يابس):

هذا عام بعد خاص، فالمخلوقات إما رطب، وإما يابس.

قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]:

تقدم الكلام على لفظ كتاب، والمراد هنا اللوح المحفوظ، والكلام على اللوح سيأتي إن شاء الله تعالى.

(وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]):
ما نافية.

والأنثى سواء كانت آدمية أو غير آدمية كالحیوان، أو الطیر الذي يحمل البيض فهو يسمى حملاً.

فما يحمل شيء في هذا العالم الغيبي حتى ولو نطفة إلا والله سبحانه وتعالى عالم بحملها ووضعها، وهذا من الخمس التي لا يعلمها إلا هو.

وقوله: (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير):

هذا لتعلموا علم اليقين كمال قدرته تعالى، وفي الآية إثبات اسم القدير لله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

والقدير على وزن فعيل، وفعيل من أبنية المبالغة، وكل ما جاء على هذا الوزن فهو للمبالغة في الوصف، فهو قدير على إيجاد عدم، وإعدام ما وجد، فجميع الأشياء منقادة لقدرته فلا يعجزه شيء.

ويتفرع عن الإيذان بربوبيته تعالى؛ الإيذان بأنه قدير على كل شيء، وفيه إثبات صفة القدرة لله تعالى، وهي صفة ذاتية تليق به تعالى، ويدخل في قدرته أفعال العباد من الطاعات والمعاصي، فهي داخلة تحت قدرة الله، خلافاً للقدرية الذين أنكروا دخول أفعال خلقه تحت قدرته ومشيتته، وقد حرفت المعتزلة المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

فقالوا: إنه قادر على ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها عندهم.

وتنازعوا هل يقدر على مثلها أم لا؟ ولو كان المعنى على ما قالوا لكن هذا بمنزلة أن يقال: هو عالم بكل ما يعلمه، وخالق لكل ما يخلقه ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها فسلبو اصفة كمال قدرته على كل شيء.

أما أهل السنة فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا. انتهى من شرح الطحاوية (ص ١٣٦-١٣٧) لابن أبي العزرحم الله تعالى.

معلوم مذهب الأشاعرة في صفات الله عز وجل الذاتية أنهم يقولون في مثل هذه مثلاً: صفة قديمة لله عز وجل لا يتجدد لله عند حدوث ما يقتضي ذلك.

والصواب أنها صفة أزلية لله تعالى تتجدد عند حدوث ما يقتضي ذلك، وهي قائمة بالله تعالى على ما يليق به عز وجل.

وقال صاحب تفسير الجلالين في آخر سورة المائدة:

وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر.

وهذا من الهوس الذي ترد به نصوص الكتاب والسنة، وقد تعقبه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية.

(قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]):

المحيط: هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً.

انتهى من الحجة في بيان المحجة (١/١٦٣-١٦٤).

قال ابن جرير (٥/٢٩٨):

ولم يزل الله محصياً لكل ما هو فاعله عباده من خير وشر، عالماً بذلك لا يخفى عليه شيء منه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة. اهـ

وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد إحاطة عظمته، وسعة علمه وقدرته، وأنها بالنسبة إلى عظمته كالخردلة.

اهـ من شرح الطحاوية (١/ ٣٧٤).

ففي الآية إثبات صفة الإحاطة لله عز وجل، ويثبت اسم المحيط لله عز وجل من دليل آخر؛ لأن الصفات لا يشتق منها أسماء.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤].

التوكل

(وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]:

التوكل مأخوذ من وكل إذا سلم الأمر إلى غيره.

والتوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار ثقة

بالله عز وجل مع العمل بالأسباب الشرعية.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في المدارج (١١٣/٢):

التوكل هو الاستعانة، والإنابة: هي العبادة، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ﴾.

والتوكل على غير الله ثلاثة أقسام.

١- أن يتوكل على غير الله اعتمادًا أو تعبدًا، فهذا شرك أكبر.

٢- أن يتوكل على غير الله بشيء من الاعتماد، كمن يتوكل على أمير أو سلطان

فما أقدره الله عليه من رزق أو دفع ضرر، فهذا شرك أصغر.

٣- أن يوكل شخصًا يقوم بعمل من الأعمال الجائزة، كبيع أو شراء، فهذا جائز.

انظر التنبيهات السنية، وشرح الواسطية للعثيمين.

وتقدم الكلام على الحي.

قوله: (الذي لا يموت):

هذا توكيد لقوله: (الحي) بأن هذه الحياة كاملة لا يلحقها فناء ولا موت، وفي

الآية صفة منفية وهي أن الله لا يموت.

الرزق

(وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥١]):

والرزاق صفة مبالغة من الرزق بفتح الراء وسكون الزاي، وهو العطاء وبالكسر الحظ والنصيب، وهو ما ينفع من حلال أو حرام وهو قسمان:
الأول: مطلق الرزق العام: وهذا لجميع الخلائق برها وفاجرها وحيوانها وطيورها، وهذا قد يكون حلالاً وقد يكون حراماً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

الثاني: الرزق المطلق أو الرزق الخاص: وهو المستمر نفعه في الدنيا والآخرة من الرزق الحلال المعين على الطاعة والعلم النافع والعمل الصالح.

وفي هذا إثبات اسم الرزاق لله تعالى، وصفة الرزق كما يليق به تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [النحل: ١١٤].

تنبيه: قول بعض العامة إذا أنكرت عليه في شيء حرام: هذا رزق!

نعم هو رزق، لكن هل هو حلال؟

فيجب تحري الحلال، وترك الحرام.

(ذو القوة): أي صاحب القوة، وهذا من إضافة الموصوف إلى صفته، والقوة

صفة ثابتة لله عز وجل، فهو تعالى لا يعتريه ضعف بوجه من الوجوه.

قال الغنيان في شرح كتاب التوحيد (١ / ٩١):

ذو القوة أي: القوة العظيمة التي لا تُضاهى، ولا تقاس بقوة مهما بلغت قوتهم،

فهو تعالى على كل شيء قدير لا يمتنع عليه شيء. اهـ.

ومن أسمائه القوي لدليل آخر، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

(المتين): قال البغوي (٢٣٦/٤): ذو القوة المتين وهو القوي المبالغ في القوة والقدرة.

وليست القوة بمعنى القدرة بل بينهما فرق كما قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى وغيره.

والمتانة هي القوة الشديدة.

وأما ما رواه بن جرير (١٣/٢٥) عن ابن عباس في قوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، يقول: الشديد.

لكنه من طريق على بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو لم يسمع التفسير من ابن عباس فهو ضعيف.

لكن رأيت عبارات أهل التفسير تدور بمعنى هذه الكلمة الشديد القوة، وفي هذا إثبات اسم المتين لله عز وجل وصفة المتانة كما يليقان به سبحانه عز وجل.

(وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]):

تقدم الكلام عليها.

(وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]):

وتقدم الكلام على السمع والبصير.

(وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تُرْنِي أَنَا أَقَلُّ

مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٩١]):

(لولا): أي هلا حين دخلت بستانك قلت هذه الكلمة.

(ما شاء الله): ويجوز في ما أن تكون موصولة بمعنى الذي، ويكون التقدير هذا الذي شاء الله، فعلى هذا فهي خبر لمبتدأ محذوف ويكون المعنى هذا ليس بإرادتي وحوالي وقوتي ولكنه بمشيئة الله.

ويجوز أن تكون شرطية وفعل الشرط شاء وجوابه محذوف، والتقدير ما شاء الله كان، وكلاهما صحيح.

وفي هذا الاعتراف بالمعجزة أن كل ما في هذه الجنة بمشيئة الله إن شاء أبقاها، وإن شاء أفناها، وفي هذا إثبات صفة المشيئة لله تعالى.

(لا قوة إلا بالله):

لا: نافية للجنس أي تنفي جميع جنس القوة، وقوة ذكر في النفي؛ فيفيد أنه لا قوة لأحد أي كان، وأي قوة كانت صغيرة أو كبيرة إلا بالله، فلولا أن الله أعطى المخلوق قوة لم يكن قويا.

فكل ما اجتمع لك من مال، أو علم، أو جاه، أو صحة وما أشبه هذا فإنما بقوة الله وقدرته لا بقوة أحد ولا بقدرة أحد غير الله.

وليس معنى هذا أن المخلوق لا قوة له البتة، فهو مجبر على أفعاله؛ كما قالت الجبرية، لا، بل له قوة مخلوقة أعطاه الله إياها لكنها خاضعة لقوة الله وقدرته، وفي هذا إثبات صفة القوة لله تعالى كما يليق به.

الإرادة

(وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائد: ١]):

تقدم الكلام على الحكم.

وقوله: (ما يريد): أي الذي يريده فما اسم موصول، وفي الآية إثبات صفة الإرادة لله تعالى كما يليق به، وهذه إرادة شرعية إذا كان الحكم شرعياً، وأما إذا كان الحكم كونياً فتكون إرادة شرعية كونية.

قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَا بِصَعْدٍ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]:

فـ(من) اسم شرط جازم، و(يرد) مجزوم على أنه فعل الشرط.

والإرادة هنا الإرادة الكونية.

وأما الهداية فقد تقدم الكلام عليها، والمراد هنا هداية التوفيق والإلهام.

قوله: (يشرح صدره للإسلام):

أي يوسع صدره للإسلام والإيمان؛ بأن يقذف في قلبه حبهما فيقبل كل شيء جاء منها، وهو أي (يشرح صدره للإسلام) مجزوم بجواب الشرط.

قال ابن أبي العزرحم الله في شرح الطحاوية (ص ١٤٤-١١٧):

فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة

لجميع الحوادث.

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ

يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَا بِصَعْدٍ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقوله تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُثَبِّتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح هذا يفعل ما لا يريده الله، أي لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به.

وأما الإرادة الكونية فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غيره أن يفعل.

فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة معلقة بفعله، وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة لفعل الغير، وكلا النوعين معقول للناس، والأمر يستلزم

الإرادة الثانية دون الأولى، فالله تعالى إذا أمر العباد بأمر فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به وقد لا يريد ذلك، وإن كان مريدًا منه فعله.

وتحقيق هذا مما يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى: هل هو مستلزم لإرادته أم لا؟ فهو سبحانه أمر الخلق على السنن رسله عليهم السلام بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم، ولكن منهم من أراد أن يخلق فعله، فأراد سبحانه أن يخلق ذلك الفعل ويجعله فاعلاً له، ومنهم من لم يرد أن يخلق فعله، فجعله خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات، غير جهة أمره للعبد على وجه البيان لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة. وهو سبحانه إذا أمر فرعون وأباهب وغيرهما بالإيمان، كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم، بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه وجه مفسدة من حيث هو فعل له، فإنه يخلق ما يخلق لحكمة، ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحة للمأمور إذا فعله - أن يكون مصلحة للأمر إذا فعله هو أو جعل المأمور فاعلاً له، فأين جهة الخلق من جهة الأمر؟ فالواحد من الناس يأمر غيره وينهاه مريدًا النصيحة ومبينًا لما ينفعه، وإن كان مع ذلك لا يريد أن يعينه على ذلك الفعل، إذ ليس كل ما كان مصلحة في أن أمر به غيري وأنصحه يكون مصلحة في أن أعاونه أنا عليه، بل قد تكون مصلحة في إرادته ما يضاذه.

فجهة أمره لغيره نصحًا غير جهة فعله لنفسه، وإذا أمكن الفرق في حق المخلوقين فهو في حق الله أولى بالإمكان.

والقدرية تضرب مثلاً بمن أمر غيره بأمره، فإنه لا بد أن يفعل ما يكون المأمور أقرب إلى فعله، كالبشر والطلاقة وتهئية المساند والمقاعد ونحو ذلك.

فيقال لهم: هذا يكون على وجهين: أحدهما: أن تكون مصلحة الأمر، تعود إلى الأمر كأمر الملك جنده بما يؤيد ملكه، وأمر السيد عبده بما يصلح ملكه، وأمر الإنسان شريكه بما يصلح الأمر المشترك بينهما، ونحو ذلك.

الثاني: أن يكون الأمر يرى الإعانة للمأمور مصلحة له، كالأمر بالمعروف، وإذا أعان المأمور على البر والتقوى فإنه قد علم أن الله يثيبه على إعانته على الطاعة، وأنه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فأما إذا قُدِّرَ أن الأمر إنما أمر المأمور لمصلحة المأمور، لا لنفع يعود على الأمر من فعل المأمور، كالنصح المشير وقُدِّرَ أنه إذا أعانه لم يكن ذلك مصلحة للأمر، وأن في حصول مصلحة المأمور مضرّة على الأمر، مثل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وقال لموسى: ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُتْرَوْنَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، فهذا مصلحة في أن يأمر موسى عليه السلام بالخروج، لا في أن يعينه على ذلك، إذ لو أعانه لضره قومه، ومثل هذا كثير.

وإذا قيل: إن الله أمر العباد بما يصلحهم، لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به، لاسيما وعند القدريّة لا يقدر أن يعين أحدا على ما به يصير فاعلا.

وإذا عللت أفعاله بالحكمة، فهي ثابتة في نفس الأمر، وإن كنا نحن لا نعلمها. فلا يلزم إذا كان في نفس الأمر له حكمة في الأمر أن يكون في الإعانة على فعل المأمور به حكمة، بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه على ذلك، فإنه إذا أمكن في المخلوق أن يكون مقتضى الحكمة والمصلحة أن يأمر لمصلحة المأمور، وأن تكون الحكمة والمصلحة للأمر أن لا يعينه على ذلك، فإمكان ذلك في حق الرب أولى وأحرى.

والمقصود: أنه يمكن في حق المخلوق الحكيم أن يأمر غيره بأمره ولا يعينه عليه، فالخالق أولى بإمكان ذلك في حقه مع حكمته، فمن أمره وأعانه على فعل المأمور كان ذلك المأمور به قد تعلق به خلقه وأمره إنشاءً وخلقاً ومحبة، فكان مراداً بجهة الخلق ومراداً بجهة الأمر.

ومن لم يعنه على فعل المأمور كان ذلك المأمور قد تعلق به أمره ولم يتعلق به خلقه، لعدم الحكمة المقتضية لتعلق الخلق به، ولحصول الحكمة المقتضية لخلق ضده. وخلق أحد الضدين ينافي خلق الضد الآخر، فإن خلق المرض الذي يحصل به ذل العبد لربه ودعاؤه وتوبته وتكفير خطاياہ ويرق به قلبه ويذهب عنه الكبرياء والعظمة والعدوان - يضاد خلق الصحة التي لا تحصل معها هذه المصالح، ولذلك كان خلق ظلم الظالم الذي يحصل به للمظلوم من جنس ما يحصل بالمرض يضاد خلق عدله الذي لا يحصل به هذه المصالح، وإن كانت مصلحته هو في أن يعدل. وتفصيل حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره، يعجز عن معرفته عقول البشر. والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة: مثلوا الله فيها بخلقه ولم يشبوا حكمة تعود إليه. اهـ

قوله: (ومن يرد أن يظله):

مثل ما تقدم في الإعراب والمعنى إلا أن جواب الشرط هنا المصدر.

معاني الضلال:

للضلال ستة معاني:

الأول: الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

الثاني: الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].
الثالث: غير المهتدي، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥].

الرابع: الخطأ والسهو، قال تعالى عن موسى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾
[الشعراء: ٢٠].

الخامس: النسيان، قال تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾
[البقرة: ٢٨٢].

السادس: الضياع كضالة الإبل، والبقرة.

راجع مفردات القرآن للراغب الأصفهاني.

قوله: (يجعل صدره ضيقًا حرجًا):

أي شديد الضيق، فلا يقبل شيئًا من الخير ولا ينتفع به، وإن وجد فيه شيء من
الإسلام ضاق به أشد الضيق فلا تسكن نفسه إليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ
وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِّرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

أي: كأنها يتكلف الصعود إلى السماء بمشقة وكلفة، فهذا حين يعرض عليه
الإسلام يعاني من قبول ذلك معاناة من يتكلف الصعود إلى السماء بتلك المشقة، فلا
يستطيع ذلك، وكذلك لا يقبل الهدى.

وفي الآية إثبات صفة الإرادة لله تعالى.

والإرادة قسمان:

إحدهما: إرادة كونية قدرية مرادفة للمشئنة تمامًا، وتشمل جميع المخلوقات كما

في هذه الآية، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وهذه الآية متعلقة بما يحبه الله وبما لا يحبه، وهذه الإرادة لا بد أن تقع سواء كان

فيما يحبه الله كإسلام أبي بكر، أو ما لا يحبه ككفر أبي لهب.

الثانية: الإرادة الشرعية الدينية وهي مرادفة للمحبة، وهذه تتعلق بأمر الله تعالى، وقد

تقع كإسلام أبي بكر، وقد لا تقع كإسلام أبي لهب؛ فإن الله أراد شرعاً أن يسلم، لكنه

لم يسلم، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

[البقرة: ١٨٥].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦].

وضل في هذا الجبرية والقدرية، حيث سوا بين المشئنة والإرادة.

فقال الجبرية: الكون كله بقضاء الله وقدره، فجميع ما يحدث في الكون محبوباً

لله ومرضياً له.

وكذا القدرية النفاة إلا أنهم خالفوهم في المعاصي، فقالوا ما يحدث في الكون

ليست محبوبة لله، ولا مرضية له، ولا مقدرة ولا مقضية، وليست بمشيئته تعالى، ولم

يخلقها.

وأهل الفهم الصحيح الذين تدبروا الأدلة وجمعوا بينها وهم السلف الصالح

وأتباعهم فرقوا بين الإرادتين، فهدوا سواء السبيل.

وفي هذه الآية إثبات صفة الهداية لله تعالى، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

وهل من أسمائه الهادي؟

نعم، لهذا الدليل، قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].
وقد أثبتته جماعة، كما في معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص ٢٢١).

الإحسان

(وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]):

في هذه الآية وبعدها خمس آيات إثبات صفة المحبة لله تعالى، وهي صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

أما الكتاب فلهذه الأدلة، وأما السنة فلما رواه البخاري برقم (٣٠٠٩) ومسلم (٢٤٠٦) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». والإحسان ضد الإساءة.

والإحسان في معاملة الخلق: كف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه، وأما في عبادة الله فكما في حديث عمر الذي رواه مسلم برقم (٨): «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

ولذا فالإحسان أعلى مرتبة من مراتب الدين كما في الحديث السابق.

(وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]):

المقسطون جمع مقسط، ومصدره القسط بكسر القاف وسكون السين، وهو العدل اسم الفاعل منه مقسط.

وبينه فرق وبين قاسط؛ وهو الجائر فمصدره القَسْط بفتح القاف وسكون السين والجمع منه قاسطون أي جائرون.

فإذا قيل في الرجل: قسط أي جار، وإذا قيل: أقسط أي عدل، وقد مدح الله المقسطين كما ترى، ودم القاسطين، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

فالقسط مطلوب في كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النمل: ٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ١٩].

التوبة

(وقوله: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]):

التواب صفة مبالغة من التوبة أي كثير الرجوع إلى الله عن ذنبه، وشروط التوبة

خمس:

الأول: الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله جل في علاه: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْنَ بِهَمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].
وعن أبي أمامة الباهلي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ، وَالذِّكْرَ، مَا لَهُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغَىٰ بِهِ وَجْهَهُ».

رواه النسائي برقم (٣١٤٠)، وهو حديث حسن.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِأَمْرِي مَا نَوَيْتُ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوُّهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

رواه البخاري برقم (٦٩٥٣)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

الثاني: الندم على ما فات، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ قَدْ لَ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، قَدْ لَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟

انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنَسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ».

رواه البخاري برقم (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) وهذا لفظه.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: جَاءَ مَا عَزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ» قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهَّرْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَتُبْ إِلَيْهِ»

قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهَّرْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «فِيمَ أَطَهَّرُكَ؟» فَقَالَ: مِنَ الزَّنَى، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبِهَ جُنُونٌ» فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: «أَشْرَبَ خَمْرًا» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنَكَّهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَنْيْتَ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فُرِجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةُ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ» قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ».

قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ: «وَنَحْيُكَ ازْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزَّنَى، فَقَالَ: «أَنْتِ» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَضْعِي مَا فِي بَطْنِكَ» قَالَ: فَكَفَّلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَ: «إِذَا لَا نَرْجُئُهَا وَنَدْعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مِنْ يُرْضِعُهُ» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: «فَرَجَمَهَا».

الثالث: الإقلاع عن الذنب، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

الرابع: العزم على ألا يعود، قال الله تعالى: ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

الخامس: أن تكون قبل وقت الغرغرة، عَنِ ابْنِ عُمرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ».

رواه أحمد (١٣٢/٢) والترمذي برقم (٣٥٣٧) وفي سننه عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول، وفي هذه الطريق ضعف.

وجاء عند الطبري (٨٨٥٧) عن بشير بن كعب بن أيوب، وهو مرسل صحيح. وجاء من حديث عبادة، رواه الطبري (٨٨٥٨) والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٨٥) وفي سننه قتادة لم يدرك عبادة.

وجاء عن الحسن مرسلًا عند الطبري (٨٨٧٩).

فالحديث حسن.

السادس: أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها: عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَنْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

رواه مسلم برقم (٢٧٥٩).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

رواه مسلم برقم (٢٧٠٣).

السابع: إذا كانت التوبة تتعلق بحقوق الآخرين يجب ردها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمَفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمَفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمَفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

رواه مسلم (٢٥٨١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ».

رواه مسلم (٢٥٨٢).

وتجب التوبة على الفور، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وكذا الأدلة الأخرى الدالة على المسارعة بالأعمال، كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وتصح التوبة من ذنب دون آخر، فمثلاً إذا تاب من السرقة وعنده كذب، تقبل توبته من السرقة، ويجب عليه التوبة من الكذب، وهكذا.

والطهارة لغة: النظافة والنزاهة من الأقدار الحسية كالنجاسات الحسية، أو المعنوية كالذنوب والمعاصي بشتى أنواعها.

وقد جمع الله في الآية بين طهارتين؛ حيث ذكر التوبة قبل وهي طهارة الباطن والطهارة تشمل الطهارتين.

المحبة

(وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]:

جعل الله سبحانه وتعالى دليلاً على محبتهم الصادقة متابعتهم للنبي ﷺ.

ولهذا تسمى هذه الآية آية المحنة، ويُعنى بذلك اختبار من ادعى محبة الله باتباعه

للنبي ﷺ.

(وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]):

الآية أولها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ

لَوْمَةً لَا يُمِ﴾ [المائدة: ٥٤].

أي إن حصل ارتداد من أحد فإن هذل لا يضر الدين فسوف يأتي الله بقوم أحسن منهم.

(وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:

٤]):

أي أن الله سبحانه وتعالى يحب الذين يجاهدون في سبيله لإعلاء كلمته، فهم كالصف

الواحد في قتالهم لا يتقدم أحد ولا يتأخر أحد، ولا يزولون عن أماكنهم.

وكونهم كالصف هذا يزيدهم قوة وتماسكاً وصلابة في وجه العدو.

(وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]):

الغفور من أبنية المبالغة وهو الساتر لذنوب عباده المتجاوز عنها، وأصل المغفرة

التغطية والستر، ومنه المغفر الذي يغطي الرأس مما قد يصيبه.

وفيه إثبات اسم الغفور لله عز وجل، وصفة المغفرة وهي صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالكتابة والسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وفي صحيح مسلم برقم (٤٨٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ؛ دِقَّةً وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ».

والودود: مأخوذ من الود وهو خالص المحبة والطفها وأرقها، وفي الآية إثبات اسم الودود لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

وكذا إثبات صفة المودة لله تعالى كما يليق به.

أسباب محبة الله تعالى:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ١٧ - ١٨):
الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه، وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد، ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل، والحال فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إثثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسليم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبادئها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة براه وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته. السابع: وهو من أعجبها: انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة. التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم، كما ينتقى أطياب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل. فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران:

استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة وبالله التوفيق.

الرحمة

(وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]:

تقدم الكلام عليها مستوفي في أول الكتاب.

(وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]:

هذا خبر عن الملائكة الذين قال الله عنهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

وقد تقدم الكلام على (الرب).

والوسع في اللغة: ضد الضيق.

والواسع: الممتلئ الكثير العطاء الذي يسع لما يسأل فيسع كل شيء مع إحالة وقدرة.

والمعنى أن علم الله ورحمته وسعا كل شيء، ووصلا إلى كل شيء، فكل مخلوقات الله تعالى مكلف أو غير مكلف، مسلم أم كافر، وصله وأحاط به علم الله تعالى، وكذا وصلته رحمة الله تعالى العامة إن كان كافرا، أو غير مكلف، والعامة والخاصة إن كان من المؤمنين المكلفين، ونصب رحمة وعلمًا على أنه حال، وفي الآية إثبات صفتي العلم والرحمة لله تعالى كما يليق به.

وكذا صفة الرحمة في الآية التي قبل هذه الآية، وكذا في الخمس الآيات بعدها.

قوله: (وقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]:

تقدم الكلام على الرحمة والنفس.

والكتابة كتابتان: شرعية أمرية، وكونية قدرية.

فالشرعية الأمرية كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وكما في الحديث عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ».

رواه مسلم (١٩٥٥).

والكونية القدرية كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ

اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخُلُقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ

فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

رواه البخاري (٣١٩٤) مسلم (٢٧٥١).

وكتب في هذه الآية بمعنى أوجب على نفسه الرحمة، والكرم، وفضله وجوده

إحساناً منه من غير أن يوجبها عليه أحد.

خلافاً للمعتزلة الذين زعموا أنه واجب على الله بالقياس على المخلوق.

فانظر أخي إلى سفه هؤلاء، وسخافة عقولهم! كيف ردوا الأدلة الصحيحة

الصريحة في إثبات صفات الله للتنزيه بزعمهم، وهنا شبهوا لغير ما دليل ولا برهان،

تعالى الله عن ذلك.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا وَزُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا».

رواة البخاري برقم (٦٤٦٣) ومسلم برقم (٢٨١٦).

واعلم أن الناس في هذا انقسموا إلى ثلاث طوائف:

الأولى: طائفة منعت أن يجب عليه شيء، أو يحرم عليه بإيجابه وتحريمه، وهم كثير من مثبتي القدر الذين ردوا أقوال القدرية النفاة، وقابلوهم أعظم مقابلة نفوا لأجلها الحكم والأسباب والتعديل، وأن يكون العبد فاعلاً أو مختاراً.

الثانية: طائفة في مقابل هؤلاء، أوجبوا على الرب تعالى، وحرموا شيئاً بعقوبهم وجعلوها شريعة له يجب عليه مراعاتها من غير أن يوجبها هو على نفسه ولا حرمة، وأوجبوا عليه من جنس ما يجب على العباد، وحرموا عليه من جنس ما يحرم عليهم، وهؤلاء هم المعتزلة.

الثالثة: وهم الوسط وأهل الحق اثبتوا ما أثبتته الله تعالى لنفسه، أو رسوله ﷺ فقالوا بوجوب ما أوجه الله على نفسه بكرمه وفضله، وكذا قالوا بتحريم ما حرمه الله على نفسه كالظلم.

فقالوا عن الله عز وجل ما قال عن نفسه، أو رسوله ﷺ وما لم يرد فيه إيجاب ولا تحريم أمسكوا عن الخوض فيه، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة.

راجع بدائع الفوائد (٢/١٦٣-١٦٥).

وفي الآية إثبات صفة الكتابة لله تعالى كما يليق به على ما تقدمت به الأدلة.

(وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]:

قوله: (خير حافظًا):

فحافظًا قِيلَ: تمييز، وقيل حال.

وهذا الكلام قاله يعقوب لبنيه حين أرسل معهم أخا يوسف بعد أن طلب منهم

أن يأتوا به إن أرادوا الكيل.

وكانوا قد وعدوا بحفظ يوسف، قال الله عنهم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[يوسف: ١٢].

فلم يحفظوه وضيعوه، والمعنى فالله حفظه خير من حفظكم.

وفي الآية إثبات صفة الحفظ لله تعالى، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

حَفِيفٌ﴾ [هود: ٥٧].

وكذا في حديث ابن عباسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ

إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَحْذِهِ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ

اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ

لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ

إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

رواه الترمذي برقم (٢٥١٦) وأحمد (٢٩٣/١)، وهو حديث صحيح بمجموع

طرقه.

وإثبات اسم الحافظ في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد أثبتته جماعة منهم البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٧٥).

وقال: ومنها الحافظ.

قال الحليني: ومعناه الصائن عبده عن أسباب الهلكة في أمور دينه ودنياه. اهـ.

الغضب

وقوله: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].

وقد تقدم في حديث الشفاعة: أن الله يغضب يوم القيامة غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله.

واللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، والملعون هو المطرود.

واللعن صفة فعلية اختيارية لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

وفي صحيح مسلم برقم (١٩٧٨) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ؛ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أُرْبِعُ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدَّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ».

(وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٧]):

في الآية إثبات صفة السخط لله تعالى، وسيأتي الكلام عنه إن شاء الله.

(قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]):

وفي الآية إثبات صفة الأسف لله تعالى كما يليق به، وهي بمعنى الغضب وشدة الغضب والسخط وهو المراد هنا.

وتأتي بمعنى الحزن، كما قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿يَا أَسْفَى عَلَى

يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]. وهذا ممتنع في حق الله.

وفي هذه الآية رد على من فسر الأسف بالانتقام، أو إرادته؛ لأن الشرط غير المشروط، فلو كان الانتقام هو المراد، لكان معنى الآية: فلما انتقمنا منهم انتقمنا على تقصيرهم ولما كان لها معنى، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿انْتَقَمْنَا﴾ الانتقام هو شدة العذاب.

وفي الآية إثبات صفة الانتقام لله عز وجل، وأنه ينتقم من المجرمين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

بعض الأسماء غير الثابتة لله تعالى

وقال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وأما المنتقم فلم يثبت اسماً لله تعالى، وأما ما ورد عند الترمذي برقم (٣٥٠٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وذكر فيه: الْقَابِضُ، وَالْخَافِضُ، وَالرَّافِعُ، وَالْمُعِزُّ، وَالْمُذِلُّ، وَالْعَدْلُ، وَالْجَلِيلُ، وَالْبَاعِثُ، وَالْمُخْصِي، وَالْمُبْدِي، الْمُعِيدُ، وَالْمُخَيِّ، وَالْمُمِيتُ، وَالْوَاجِدُ، وَالْمَاجِدُ، وَالْوَالِي، وَالْمُنْتَقِمُ، وَالْمُقْسِطُ، وَالْمُغْنِي، الْمَانِعُ، وَالضَّارُّ، وَالنَّافِعُ، وَالْبَاقِي، وَالرَّشِيدُ، وَالصَّبُورُ.

فالحديث ضعيف، تفرد الوليد بن مسلم، وقد أعل الحديث بالاضطراب.

وقد قال الترمذي عقبه:

هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ؛ حَدَّثَنَا بِهِ غَيْرٌ وَاحِدٌ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ، وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ.

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا نَعْلَمُ فِي كَبِيرِ شَيْءٍ مِنَ الرُّوَايَاتِ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ ذَكَرَ الْأَسْمَاءَ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

وَقَدْ رَوَى آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَّاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ بِإِسْنَادٍ غَيْرِ هَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَذَكَرَ فِيهِ الْأَسْمَاءَ وَلَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

وقد رده الحاكم وابن حبان.

والحديث رواه البخاري برقم (٢٧٣٦) ومسلم برقم (٢٦٧٧) من حديث أبي

هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا؛ مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرْتُ يُحِبُّ الْوِثْرَ».

ولم يذكر فيه الأسماء؛ فأعراض الشيخين عن إخراجه يجعل في النفس منه شيء،
سيما وقد أُعل.

وراجع أحاديث معلة ظاهرها الصحة لشيخنا مقبل رحمه الله برقم (٤٥٩).

الكرهية

(قوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

وَعَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ثَلَاثًا وَنَهَى عَنْ ثَلَاثٍ، حَرَّمَ عُقُوقَ الْوَالِدِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَلَا وَهَاتِ، وَنَهَى عَنْ ثَلَاثٍ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ».

رواه البخاري برقم (٢٤٠٨) ومسلم برقم (٥٩٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ».

رواه مسلم برقم (١٧١٥).

الإتيان

(وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ١١]):
هل نافية بمعنى ما.

أي ما ينتظرون هؤلاء الكفار.

وقلنا إن ينظرون بمعنى ينتظرون؛ لأنها معداة بنفسها فإذا كان معداة بنفسها
فمعناها الانتظار كما في قوله تعالى: ﴿فَنَظَرُوهُ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].
أما إذا أعدت بـ«إلى» فمعناها النظر بالعين قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾
[القيامة: ٢٣].

وإذا عدى بـ«في» فمعناه التفكير والاعتبار قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي
مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]
أي إلى إتيان الله عز وجل يوم القيامة لفصل القضاء، فـ«في» بمعنى مع.
ظل: جمع ظلة وهو ما أظل وستر.

من الغمام: الغمام وهو السحاب الأبيض.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].
وفي الآية إثبات صفة الإتيان لله تعالى، وكذا في الآية التي بعدها.

(وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨])

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]):

في الآية إثبات صفة المجيء لله تعالى وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله.

(وقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]:

في الآيتين إثبات صفة الوجه لله تعالى، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى.

(وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٤].

وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٣]:

في الآيتين إثبات صفة اليدين لله تعالى، وسيأتي الكلام عليهما إن شاء الله تعالى.

(وقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وقوله: ﴿وَلَتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]:

في الآيات إثبات صفة العينين لله تعالى، وسيأتي الكلام على هذا إن شاء الله

تعالى.

الرؤية

(وقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]:

الكلام على المعية سيأتي إن شاء الله تعالى.

وتقدم الكلام على صفة السمع.

وفي الآية هذه وآيتين بعدها إثبات صفة الرؤية لله تعالى كما يليق به، وفي صحيح مسلم برقم (٨) عن عُمَرَ، قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

(وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]:

قال الرشيد في التنبيهات السننية (ص ١٠٠):

أي أما علم هذا الناهي عن الهدى أن الله يراه، ويسمع كلامه، وسيجازه على فعله أتم الجزاء، وهذا وعيد. اهـ.

والرؤية المضافة إلى الله لها معنيان:

الأول: العلم.

الثاني: الرؤية.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَتَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧].

والثاني كثير، وهذه الآية صالحة للمعنيين، ولا تنافي بينهما.

وراجع كلام ابن عثيمين على الواسطية ص (٢٧٥-٢٧٦).

(وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨]:

أمر الله تعالى نبيه فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

وبعد هذه الآية (الذي يراك حين تقوم) أي الذي ينظر إليك ويبصرك عند قيامك للصلاة وغيرها، فهو سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية.

(وقوله: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]):

قال الأصهباني في الحجة بيان المحجة (١/ ١٨١-١٨٢):

وليس رؤية الله تعالى أعمال بني آدم كروية رسول الله ﷺ والمؤمنين، وإن كان

اسم الرؤية يقع على الجميع قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٣].

جل تعالى عن أن يشبهه صفة شيء من خلقه صفته، أو فعل أحد من خلقه فعله، فالله تعالى يرى ما تحت الثرى، وما تحت الأرض السابعة السفلى، وما في السماوات العلى لا يغيب عن بصره شيء من ذلك، ولا يخفى يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى في السماوات، وبنو آدم يرون ما قرب من أبصارهم، ولا تدرك أبصارهم ما يبعد منهم لا يدرك بصر أحد من الآدميين ما يكون بينه وبينه حجاب، وقد تتفق الأسماء وتختلف المعاني. اهـ.

المكر والكيد

(وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]:

المحال المكر والكيد، قال الشاعر:

محلوا محلهم بصرعتنا العام فقد أوقعوا الرّحى بالثفال

فالله شديد محاملته أي مكره وكيده في عقوبة من عتى في كفره، وفي هذه الآية وآيتين بعدها إثبات صفتي المكر والكيد، وهما صفتا مقابلة تثبت لله تعالى على ما يليق به تثبت في مقابلة من يفعلها.

وكذا صفة الشدة بمعنى القوة.

(وقوله: ﴿وَمَكْرُنا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥].

وقوله: ﴿وَأكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٦]:

في الآيتين إثبات صفتي المكر والكيد لله تعالى، وهما صفتان لا يوصف الله بهما مطلقاً إلا مقيداً في مقابلة مكر وكيد المخلوق.

(وقوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفْوَاً قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]:

تقدم الكلام على ما في هذه الآية.

العزة

(وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨]):

وفي هذه الآية إثبات العزة لله تعالى كما يليق به، والعزة القوة والغلبة والشدة والامتناع والقهر.

فعز يعز بكسر العين إذا صار عزيزاً، وبفتح العين إذا اشتد وقوي والعزة صفة ذاتية لله تعالى.

وللعزة ثلاث معاني:

الأول: عزة القدر: أي إن الله عزيز القدر فليس له نظير.

الثاني: عزة القهر: فهو غالب لكل شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْحِطَابِ﴾ [ص: ٣٢] يعني غلبني.

الثالث: عزة الامتناع: أي ممتنع الجنب أن يناله سوء، أو يصل إليه ضرر.

قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

هو العزيز فلا يرام جنباه	أنى يرام جنب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم	يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه	فالعزيز حيثئذ ثلاث معاني
وهي التي كملت به سبحانه	من كل وجه عادم النقصان

وكذا اسم العزيز ثابت لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:

وللرسول ﷺ عزة وللمؤمنين كما في الآية نفسها، لكن عزة الرسول ﷺ ليست كعزة الله تعالى، وكذا من باب أولى عزة المؤمنين.

فعزة المخلوق يعتريها الذل، أو الضعف لحكمة أرادها الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].
وقال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

أما عزة الله فلا يعتريها ضعف، أو نقص بوجه من الوجوه، فلا تماثلها عزة المخلوق.

قوله: (وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]):

قال ابن جرير (١٨٧/٣٢):

قال إبليس: فبعزتك: أي بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك (لأغوينهم أجمعين) يقول لأضلن بني آدم أجمعين. اهـ.
والفاء عاطفة.

والباء حرف جر وقسم.

قال العثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص ٢٩٣):

لكنه اختار القسم بالعزة دون غيرها من الصفات؛ لأن المقام مقام مغالبة، فكانه قال: (بعزتك التي تغلب بها من سواك لأغوين هؤلاء).

وفي هذه الآية دليل على جواز الحلف بصفات الله، فإن قال قائل إنها هذا من فعل إبليس قلنا وخاطب به رب العالمين فلم ينكره.

وفي هذا دليل على أن صفات الله تعالى غير مخلوقة إذا لو كانت مخلوقة لكان هذا الحلف شركاً.

والعزة المضافة إلى الله تعالى عزتان:

١ - العزة المضافة إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وهذا مثالها.

٢ - العزة المضافة إلى الله تعالى من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهي العزة

المخلوقة التي يعتز بها رسله وعباده الصالحين.

(وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]):

تقدم الكلام على هذه الآية بما أغنى عن إعادته.

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا:

(وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]):

أي لا تحكموا لله بحكم باطل وهو الأنداد في المحبة والتعظيم، أو العبادة

عموماً، وقد تقدم معنى الأنداد وهي جمع ند.

(وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ١٥٦]):

من: تبعية أي بعض الناس يجعل له من دون الله (أي غير الله) أنداداً يحبونهم

كمحبة المؤمنين لله.

ويجوز أن يكون المعنى وبعض الناس يجعل له مع الله أنداداً يحبونهم كمحبتهم لله

وكلاهما شرك.

واتخاذ الند قسمان:

الأول: اتخاذ ند يدعو، ويخافه، ويذبح له، وينذر له، أو يحبه كمحبة الله، وما

أشبهه فهذا شرك أكبر، كما روى البخاري برقم (٦٨١١) ومسلم (٨٦): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

ابن مَسْعُودٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ

خَلَقَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

الثاني: كقول الرجل ما شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان لكان كذا، والكعبة، فهذا شرك أصغر.

ففي حديث قتيلة: امرأة من جهينة أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: «إنكم تنددون إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولن والكعبة».

فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة، ويقولوا ما شاء الله ثم شئت». رواه أحمد (٣٤٧/١).

وجاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يراجعه الكلام، فقال: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندا، قل: ما شاء الله وحده».

رواه أحمد (٣٤٧/١).

وجاء عن حذيفة عند أحمد (٣٩٣/٥).

فالحديث بطرقه صحيح.

حمد الله على كماله

(وقوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]):

قوله: (قل)، قيل المراد به رسول الله ﷺ، وكل ما كان للنبي ﷺ من خطاب الشرع فهو عام لأتمته إلا ما خصه الدليل.

(الحمد لله الذي):

تقدم معنى الحمد.

(لم يتخذ ولداً):

لكمال صفاته وغناه عن غيره، وعدم احتياجه إلى أحد؛ لأنه لو كان له ولد لكان مثله، والله ليس كمثله شيء، وإذا أشبهه أحد من خلقه لكان ناقصاً، تعالى الله عن ذلك.

وفي هذا رد على اليهود والنصارى حيث قال الله عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

ورد على المشركين الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ * أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٥-١٦].

نفى الولد يشمل الذكر والأنثى؛ لأن الولد يطلق عليهما قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

وهذه من الصفات المنفية عن الله عز وجل (أي نفي الولد).

قوله: (ولم يكن له شريك في الملك):

أي لم يكن عاجزاً إلى من يعينه في الملك، أو الخلق أو التدبير، بل هو وحده المنفرد بذلك كله.

وفي هذا رد على الثنوية الذين قالوا: إن للعالم صانعين النور والظلمة، ورد على القدرية القائلين: إن الله خلق الخير ولم يخلق الشر، ورداً على الدهرية. (ولم يكن له ولي من الدل):

أي ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي، أو وزير، أو مشير؛ لأنه سبحانه وتعالى عزيز لا يفتقر إلى ولي يحميه ويمنعه من الدل، فنفي الولاية على هذا المعنى؛ لأنه غني عنها، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة من يشاء من عباده، فلم ينفي الولي مطلقاً نفيًا عامًا مطلقاً، بل نفى أن يكون له ولي من الدل، وأثبت في موضع آخر أن له أولياء بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٢٦]. فهذه مولاة محبة وإحسان، والمولاة المنفية مولاة حاجة وذلل. اهـ من التنبيهات السنينة (ص ١١٥).

وفي صحيح البخاري (٦٥٠٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

قوله: (وكبره تكبيرًا):

كَبُرَ: أي عَظُمَ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]. أي عظمت.

والمعنى عظمة تعظيمًا من قولك، وفعلك في امتثال أمره، واجتناب نهيه.

بخلاف الظالمين المخالفة للرسول الذين ما قدرُوا الله حق قدره.

وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

تقدم الكلام على الملك.

والملك صفة ذاتية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥١٩) ومسلم (٢٧٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟».

وله الملك والعظمة والسلطان المتصرف في جميع المخلوقات النافذ أمره كيف

شاء، ومن أسماء الله تعالى الملك، كما في الحديث السابق، وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

التَّبَرُّكُ

(وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]):

قوله: (تبارك):

من البركة وهو في اللغة النماء والزيادة.

ومعنى تبارك: تعالى وتعاظم^(١)، وهذا فعل ماضي مختص بالله تعالى، لم تنطق له العرب بمضارع. راجع المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٧٧).

ويخطئ بعضهم فيقول: نذهب نبارك لفلان، والصواب أن يقال: نذهب نبرك لفلان أي نطلب البركة بقولنا بارك الله لك وبارك عليك.

وخطأ آخر قول بعضهم لبعض: مبروك عليك، ومعنى هذه الكلمة أن القائل أبركه غيره على ركبته على المدعوله؛ لأن مبروك اسم مفعول.

والصواب أن يقال: مبارك، قال الله تعالى عن عيسى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١].

قوله: (الذي نزل الفرقان على عبده): هو الله، والفرقان هو القرآن الكريم، سمي فرقاناً؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل.

وفي الآية دليل على علو الله؛ لأن الإنزال يكون من أعلى إلى أسفل، وعبده هو محمد رسول الله ﷺ.

(١) هذا إذا وصف بها الله إما إن وصف بها اسم من أسماء فالمعنى أن البركة تكون باسم الله أي إذا ذكر اسم الله مع شيء سارت فيه البركة.

قوله: (ليكون للعاملين نذيرًا):

اللام لتعليل. وللعالمين: أي الجن والإنس.

ونذيرًا: الإنذار هو الإعلام بأسباب المخالفة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

قوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]:
تقدم الكلام على هذا كله.

قوله: (وخلق كل شيء فقدره تقديرًا):

وخلق كل شيء: الخلق الإيجاد والإنشاء على وجه معين، فالله خلق كل شيء مخلوق، فدخل في ذلك أفعال العباد فهي مخلوقة لله تعالى، وفعل للعبد، ولا يدخل في ذلك أسماء الله وصفاته؛ لأن الكلام فيها فرع عن الكلام في ذات الله سبحانه وتعالى. وعموم كل في كل مقام بحسبه فكما نقول في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الحاثية: ٢٥]. أي كل شيء أمرت بتدميره.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. أي من كل شيء يصلح للملوك كذلك نقول هنا خلق كل شيء مخلوق.

ففي هذارد على الجهمية حيث استدلوا بالآية على خلق القرآن.

ومن يك ذا فم مريض يجد مرًا به الماء الزلال

قوله: (فقدره تقديرًا):

أي سوى كل ما خلق الله، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الاعلى: ٢]. وأمدّه برزقه وكتب أجله وحياته وموته وما يصلح له.

والفاء في (فقدره) عاطفة، وهي لا تفيد الترتيب، بل قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « كَتَبَ اللَّهُ مُقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ».

رواه مسلم برقم (٢٦٥٣).

كمال غنى الله تعالى في ملكه

(وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢]:
(ما اتخذ الله من ولد):

تقدم الكلام على هذا.

قوله: (وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعل بعض بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون):

نفى الله سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في الإلهية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢].

وهذا الكمال ألوهيته، وربوبيته، وكمال أسمائه وصفاته.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كما في مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٣ - ٤٦٤):

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره وتفرد بالألوهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضاً بممالكهم.

إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

١- إما إن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

٢- أن يعلوا بعضهم على بعض.

٣- وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد ومليك واحد يتصرف فيهم، ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم عليه، ولا يمتنعون من حكمه عليهم، فيكون وحده هو الإله الحق، وهم العبيد المربوبون المقهورون.

وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض، وحركاته على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره كما دل دليل التمايز أن خالقه واحد لا رب له غيره، فذاك تمايز في الفعل والإيجاد، وهذا تمايز في العبادة والألوهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان يستحيل أن يكون له إلهان مبعودان. اهـ.

قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

(عالم الغيب والشهادة):

تقدم الكلام على الغيب، وهو ما غاب عن خلقه من الأشياء، والشهادة: ما يشاهده الناس.

قوله: (فتعالى عما يشركون):

الفاء عاطفة تعطف الجملة على قوله سبحانه الله عما يصفون.

ومعنى تعالى: ترفع، وتقدس، وتنزه عما يشاركه في آلهيته.

(وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]):

قال ابن جرير (١٤/١٤٨): يقول فلا تضربوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له

الأشياء، فإنه لا مثيل له ولا شبيهه. اهـ.

قلت: لأنه ليس له شبيه ولا مثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الشورى: ١١]

والله يعلم أنه ليس له مثيل، وأنه لا يجوز ضرب الأمثال، والله المثل الأعلى فلا يماثل بأحد، وأنتم تجهلون ذلك.

الاستواء

(وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وفي سورة يونس [٣] مثله):

أوجد وأنشأ الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض من عدم، وأحكمهما وأتقنهما في ستة أيام.

واليوم من طلوع الشمس إلى غروبها.

والصحيح أن هذه الستة الأيام من أيامنا هذه إذ لا دليل يدل على خلاف ما هو معروف، وهذا المتبادر إلى الذهن.

خلق الأرض في أربعة أيام والسماء في يومين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُنتَكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

فالخاص أن خلق الأرض كان في يومين، وتقدير الأقوات فيها في يومين، فخلق الأرض مع تقدير الأقوات في أربعة أيام، وخلق السماء في يومين، فالجملة ستة أيام.

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره (٧/٢١٩):

وذكر هذه المدة ولو أراد خلقها في لحظة لفعل إذ هو القادر على أن يقول لها كوني فتكون، ولكنه أراد أن يعلم العباد الفرق والتثبت في الأمور، ولتظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء، وهذا عند من يقول خلق الملائكة قبل خلق السماوات والأرض.

وحكمة أخرى خلقها في ستة أيام؛ لأن لكل شيء عنده أجلاً، وبين هذا ترك معالجة العصاة بالعقاب؛ لأن لكل شيء عنده أجلاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٨-٣٩]، بعد أن قال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ [ق: ٣٦] اهـ.

وهنا إشكال وهو:

أن في آية فصلت السابقة أن خلق الأرض قبل خلق السماوات وفي سورة النازعات يقول الله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمُكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٣٠].

الشاهد: الأرض بعد ذلك دحاها أي أن دحو الأرض بعد خلق السماء، فما

الجمع؟

الجواب: أن الله خلق الأرض قبل السماء غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء فسواها سبع سماوات في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك، ومعنى دحاها: أخرج منها ماءها ومرعاها كما هو تفسيرها بعدها، وهذا جمع ابن عباس رضي الله عنهما.

إشكال آخر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]. فكيف تقول: إن الدحو بعد خلق السماء، وفي الآية التصريح بخلق جميع ما في الأرض؟
الجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: المراد بخلق جميع ما في الأرض قبل السماء تقدير لقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾.

قال الشاعر:

وأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

الثاني: أنه تعالى خلق الأرض غير مدحوة وهي أصل لكل ما فيها، فكان كل ما فيها كأنه خلق لوجود أصله فعلاً.

راجع دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للإمام الشنقيطي (ص ١٤-١٦)، وهو ضمن أضواء البيان المجلد العاشر.

الثالث: إن كان ما فيها خلق قبل السماوات حقيقة، لم يخلقه بعد خلق السماء إنما أخرجه، ومعنى الدحو: إخراج الماء والمراعي من الأرض، وقد خلق قبل خلق السماء والله أعلم.

وفي هذه الآية إثبات صفة الاستواء لله تعالى كما يليق به، وكذا في ست آيات بعدها، ويأتي الكلام إن شاء الله على الاستواء بعد تفسير هذه الآيات.

قوله: (وفي الرعد [٢]: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾):

العمد محرك العين والميم بالفتح، وبعضهم يقول: بضم عُمْد، وهو القياس؛ لأن كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف الثالث منها حرف علة فجميعه مضموم الحروف؛ لأن مفرد عَمْد عمود، ولكن هذه الكلمة سمعت بالفتح، قال النابغة:

وخيس الجن إني قد أذنت لهم
والقرآن خير دليل على ذلك، لكن قراءة حمزة عُمْد.

والعمد جمع عمود، وهو ما يعمد به الشيء، أو البناء.

ويقال لها سوارٍ ودعائم.

وقوله: (ترونها):

فيها قولان:

الأول: أن السماوات ليس لها عمد لا مرئية ولا غير مرئية، وأن هنالك تقدير في الآية، وتقديرها رفع السماوات ترونها مرفوعة بغير عمد.

قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/ ٦٤): ولا ملجئ إلى مثل التكلف. اهـ.

فترجح أي أن معنى الآية رفع السماوات بغير عمد، وتكون (ترونها) جملة مستأنفة، وهذا قول الجمهور: أن الله رفع السماوات بغير عمد.

الثاني: أن لها عمدًا لكن لا ترونها، وهو مروي عن الضحاك وعطاء ومجاهد وعكرمة، وعن ابن عباس قال: لها عمد على جبل قاف، والصحيح الأول، وجملة ترونها تأكيد للنفي.

راجع تفسير ابن جرير، وتفسير القرطبي، وغرائب القرآن، وزاد المسير.

قوله: (وفي سورة طه [٥]: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾).

وفي سورة الفرقان [٥٩]: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

وفي سورة السجدة [٤]: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

وفي سورة الحديد [٤]: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: قد تقدم الكلام على معاني الآيات.

قوله: (فهذه سبعة مواطن أخبر فيها بأنه سبحانه استوى على العرش): يعني من القرآن.

قوله: (وفي هذه المسألة أدلة من السنة):

من ذلك ما رواه البخاري برقم (٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخُلُقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ أخذ بيدي فقال: يا أبا هريرة إن الله خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش.

رواه النسائي في الكبرى برقم (١١٣٩٢)، وفي التفسير (٤١٢) و(٤٢٧/٦)، وسنده حسن.

قال ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٠٧-١٠٨):

وروى الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري عن قتادة بن النعمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه».

قال الذهبي كما في مختصر العلو (ص ٩٨): رواه ثقات.

ونقل الألباني كلام ابن القيم مقرّاه.

وفي صحيح البخاري برقم (٣١٩٢) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ».

وجاء في صحيح البخاري برقم (٧٤١١) ومسلم برقم (٩٩٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةُ سَحَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ». وَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ». وَقَالَ: «عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْآخَرَى الْمِيزَانُ؛ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ».

وفي صحيح مسلم (٥٣٧) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ، فَاطْلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّبُّ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ لِكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ: «اِئْتِنِي بِهَا فَأَتِيْتُهَا بِهَا، فَقَالَ لَهَا «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «أَعْتِقُهَا فَإِنَّهَا مُؤَمَّتَةٌ».

قوله: (والآثار الصحيحة الكثيرة):

منها ما رواه الأجرى في الشريعة برقم (٦٦٦) عن ابن عباس قال: «إن الله عز وجل استوى على عرشه، قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنها يجري الناس في أمر قد فرغ منه».

هذا أثر صحيح.

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ وَأْمِسْكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ».

قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَيِّ شَيْءٍ لَكْتَمَ هَذِهِ.

قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.
رواه البخاري برقم (٧٤٢٠).

وعن ابن مسعود قال: العرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

انظر مختصر العلو للألباني برقم (٧٥)، وصحح إسناده.

وقال مالك بن أنس في قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]:
الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.
وهو صحيح، رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٢٨٠) ضمن عقائد السلف،
واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٨ برقم ٦٦٤)،
والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٨٠-١٨٣)، والبيهقي في
الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥ برقم ٨٦٧)، وفي الاعتقاد (ص ١١٩)، وأبونعيم في
الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦).

وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة مرفوعاً وموقوفاً، ولكن ليس في إسناده ما
يعتمد عليه. انتهى من مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥).

وقد حشد الأدلة والآثار في هذا الإمام ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية بما لا تكاد تراه في كتاب مثله، فجزاه الله خيرًا، ورحمه الله ورضي عنه، وانظر مختصر العلو للألباني، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي وغيرها.

قوله: (يطول بذكرها الكتاب):

لولا خشية الإطالة لذكرتها كاملة، لكن يرجع للمراجع المتقدمة.
أما معنى الاستواء: فتفاسير السلف في معاني الاستواء تدور على ثلاثة معاني.
١- علا.

٢- ارتفع.

٣- صعد.

وعلى هذا أجمع أئمة الإسلام، وذكر ابن القيم في النونية أربعة قال:

فلهم عبارات عليها أربع	قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك	ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذلك صعد الذي هو رابع	وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره	أدرى من الجهمي بالقرآن

قلت: وأبو عبيدة معمر بن المثنى، والشيباني عمرو بن العلاء.

لكن الإمام الذهبي لم يرتضِ استقر من معاني الاستواء، قال كما في مختصر العلو (ص ٢٨٠)، قلت: لا يعجبني قوله استقر، بل أقول كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم.

وقال الألباني (ص ٤١) في معرض الرد على من قال: إن ابن تيمية يثبت الاستقرار

على العرش:

فأين رأيت ابن تيمية يقول بالاستقرار على العرش، علمًا بأنه أمر زائد على العلو، وهو مالم يرد به الشرع، ولذلك رأينا مؤلفنا الحافظ الذهبي فقد أنكر على بعض القائلين بصفة العلو التعبير عنها بالاستقرار. اهـ.

ومعنى لفظ استوى في اللغة العربية التي خوطبنا بها نوعان:

الأول: مطلق لم يوصل معناه بحرف، وهذه بمعنى كمل وتم كقوله تعالى: ﴿لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القص: ١٤].

الثاني: مقيد بحرف، وهو ثلاثة أقسام:

أحدها: مقيد بـ (إلى)، وذكر في القرآن في موضعين:

أ- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

ب- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وهذا المقيد بـ (إلى) بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

ثانيها: مقيد بـ (على)، وهذا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣].

ثالثها: مقرون (بالواو التي تعدي الفعل إلى المفعول معه)، وهذا بمعنى ساوى، ومثاله: استوى الماء والخشبة يعني ساواها^(١).

فلفظ استوى في عبارات السلف، واللغة كلها بمعنى الصعود والارتفاع العلو.

(١) راجع مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٢٦-١٢٧).

فصفة الاستواء صفة حقيقية فعلية ثابتة لله تعالى كما يليق به بإجماع السلف الصالح، ولم يقع اختلاف في هذه الصفة في زمن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

المخالفون للسلف في الاستواء:

وإنما ظهر الخلاف في إنكار هذه الصفة في أوائل القرن الثاني الهجري حين أظهر الجعد بن دهم إنكار هذه الصفة، فقالت الجهينة والمعتزلة والحرورية والماتريدية^(١) إن معنى استوى في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إنه استولى وملك وقهر وغلب.

واستدلوا ببيت الأخطل:

قد استوى بشر على العراق
والرد عليهم من أوجه عديدة:

الأول: أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من الصحابة والتابعين.

الثاني: الذين قالوا هذا التفسير لم ينقلوه عن اعتمد، وإنما هو محض تخمين، ولو كان معقولاً في اللغة التي نزل بها القرآن لعلم في القرآن، بل قد أنكر الخليل أن يكون في اللغة استوى بمعنى استولى.

الثالث: أن هذا البيت الذي استدلوا به لم يثبت في نقل صحيح أنه من شعر العرب، فهو مصنوع، وأنكره أهل اللغة، وهو غير معروف من دواوين العرب وأشعارهم.

(١) انظر الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (٢/ ٣١٨).

الرابع: إذا كنا في حديث رسول الله ﷺ لا نحتج به إلا إذا صح، فكيف بيت شعر مخالف للكتاب والسنة واللغة؟!

الخامس: العجيب كيف يحتج هؤلاء بمثل هذا البيت المصنوع، وهم في حديث رسول الله ﷺ لا يقبلون خبر العدل الثبت الثقة (الآحاد)؟ وأيضًا البيت منسوب لرجل نصراني!

السادس: وقيل أصل البيت: بشر قد استولى على العراق، وهذا إن ثبت وشتان! وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في لاميته ردًا عليهم: قبحًا لمن نبذا القرآن وراءه وإذا استدل يقول قال الأخطل السابع: والاستواء خاص بالعرش، وأما الاستيلاء فهو عام في سائر المخلوقات.

الثامن: إن أتى بلفظة (ثم) التي معناها الترتيب حيث قال: (ثم استوى على العرش).

أي بعد أن خلق السماوات والأرض، والعرش موجود قبل ذلك كما تقدم الدليل، فلو كان المعنى استولى، فهل ما كان الله مستوليًا على العرش قبل ذلك؟! قال ابن القيم في نونيته:

نون يهـود ولا م جهـ هما في وحي رب العرش زائدتان
فاليهود قال الله لهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا

وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ، فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ».

رواه البخاري برقم (٣٤٠٣) ومسلم برقم (٣٠١٥).

أي حنطة، وهؤلاء الجهمية فعلوا كفعلهم قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وهم قالوا استولى.

التاسع: الغالب أن لفظة الاستيلاء تكون بعد مغالبة، فمن ذا الذي يغلب الله، وأين التمثيل، أو التشبيه الذي يفر منه هؤلاء؟

انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤٣/٥-١٤٩)، ومختصر الصواعق

المرسلة (١٢٦/٢-١٥٢)، والتنبيهات السننية (ص ١٢٨-١٣١)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٣١٦-٣٢٧).

موقف الأشاعرة من الاستواء:

وأما الأشاعرة فتأولوا الاستواء بأحد تأويلين:

أحدهما: الاستيلاء كقول الجهمية وغيرهم، وهو تأويل نفاة العلو من متأخريهم.

ثانيها: أنه فعل فعله الله في العرش سماه استواءً، وهذا قول الأشعري، وكثير من أصحابه الذين يثبتون العلو، ولكن ينفون قيام الصفات الفعلية به، ومعنى الاستواء عند هؤلاء: إن الله يحدث في العرش قريباً فيصير مستوياً عليه من غير أن يقوم بنفسه فعل اختياري... إلخ.

فهؤلاء اثبتوا الاستواء دالاً على العلو فقط، ولذا جعلوه من صفات الذات، ولم يثبتوا صفة فعل تقوم بالله.

والرد عليهم:

أما الفريق الأول فيما تقدم من الرد على الجهمية والمعتزلة والحرورية.

وأما الثاني فمن وجوه:

الأول: أنه تحريف اللفظ عن مدلوله المراد في الشرع.

الثاني: خلاف فهم السلف الصالح.

الثالث: خلاف معناه في اللغة.

مسألة تتعلق بالاستواء:

هل يلزم من إثبات استواء الله على عرشه أن يكون له جسمًا؟

١- فمن قائل: هو فوق العرش وهو جسم.

٢- ومن قائل: هو فوق العرش، ولا أقول هو جسم ولا بجسم، وهؤلاء منهم

من يسكت عن النفي والإثبات؛ لأن كليهما بدعة في الشرع.

ومنها من يستفصل عن مسمى الجسم، فإن فسر بما يجب تنزيه الرب عنه نفاه،

وبين أن علوه على العرش لا يستلزم ذلك، وإن فسر بما يتصف الرب به لم ينفي ذلك

المعنى.

وهذه المسألة من المسائل التي لم يخض فيها السلف الصالح رضوان الله عليهم، فترك

طرقها كان أولى، وكذا عدم التعرض له، لكن بما أنه قد اضطر إليها أهل البدع، وقد

كره الإمام أحمد أن ترد البدعة بالبدعة.

لكن إن كان معنى الجسم بما يليق بالله تعالى فينفي هذا، وإن كان معنى الجسم

اتصاف الله تعالى بما يليق به من غير أن يماثل أحدًا من المخلوقين فلا بأس، وتركه

أولى.

راجع مجموع الفتاوى (٤١٨/٥ - ٤٢٩).

مسألة أخرى: هل استواء الله تعالى على العرش بحدٍّ أم بغير حدٍّ؟

الناس في الحد ثلاثة أقسام:

مثبت وناق ومفصل.

رأي المفصل الذي قال: إن أُريد بالحد بينونه الله تعالى عن خلقه فيثبت.

وإن أُريد به أن الله يحويه شيء، أو يدركه، أو يحيط به، وهكذا فهو فضول ومعنى باطل، وهذا قول المتبعين للسلف، وهذا كافٍ. والله أعلم.

راجع شرح الطحاوية ص (٢١٨-٢٢٣)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١٢١٤-١٢١٩).

العلو

قوله: (فمن أنكر كونه سبحانه في جهة العلو بعد هذه الآيات والأخبار فقد خالف الكتاب والسنة):

لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].
ويقول عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].
ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَهَنَنْتَنِي قُرَيْشٌ؛ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ؛ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرَّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَٰلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَوْمَأَ بِأَصْبُعِهِ إِلَيَّ فِيهِ فَقَالَ: «اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ».

رواه أبو داود (٣٦٤٦) وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين لشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله تعالى (١/ ٥٢٩-٥٣٠)

وكلامه عربي فصيح: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، لا يحتمل التجهيل، يفهمه كل عربي، ومعناه واضح ليس فيه تعمية، أو تخليط.

فكل من يسمع هذه الآيات والأخبار وهو ذو فهم صحيح وعقل صريح يفهم منها أن لله صفة الاستواء، وهي كما تليق به تعالى.
والاستواء من أدلة العلو.

وأما الجهة: أي إثبات صفة الجهة لله تعالى فلم ترد في الكتاب ولا في السنة نفيًا، ولا إثباتًا.

وهذا محال لا يوافق أحد على إثباته، أو نفيه حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًا قبل وإن أراد باطلًا رُد ولا كرامة.

فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلًا في المخلوقات؟ فهذا لا يثبت لله، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فليس هنالك إلا الله وحده؟ وهو فوق العالم مباين للمخلوقات؟ فهذا الاعتبار تثبت الجهة لله تعالى. ومثلها الحيز، والله أعلم.

انظر مجموع الفتاوى (٣/ ٤١-٤٢)، وشرح الطحاوية (ص ٢٢١).

قوله: (وقد ثبت بالأدلة الصحيحة أن الله خلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض):

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣].

وفي أحاديث المعراج أن جبريل عليه السلام أتى إلى السماء الدنيا، فاستفتح، فقيل له: من هذا؟ فقال جبريل، قيل له: هل معك أحد؟ قال محمد ﷺ، وهكذا في الثانية والثالثة إلى السابعة... الحديث بمعناه في الصحيحين، وغيرهما، عن أبي ذر، ومالك بن صعصعة، وجاء عن جماعة من الصحابة، وإنما لم نذكر الحديث كاملاً لطوله، وسيأتي إن شاء الله تعالى في بابه.

عن صهيب أن رسول الله ﷺ لم يكن يرى قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الرياح وما ذرين، ورب الشياطين وما أضللن، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها».

رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، وصححه شيخنا مقبل بن هادي الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ٣٦٩-٣٧٠).

وفي صحيح البخاري برقم (٢٣٢١) ومسلم (١٦١٢) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنَّاسٍ خُصُومَةٌ، فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الْأَرْضَ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوْقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ». وجاء من حديث سعيد بن زيد، رواه البخاري برقم (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).

وعن ابن عمر عند البخاري برقم (٢٤٥٤).

وعند مسلم (١٦١١) عن أبي هريرة.

قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٨/ ١٧٤-١٧٥):

ولا خلاف في السماوات أنها سبع بعضها فوق بعض دل على ذلك حديث الإسراء وغيره، ثم قال: «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»: يعني سبعة، واختلف فيهن، وعلى قول الجمهور أنها سبع أرضين طبقاً بعضها فوق بعض، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء، وفي كل أرض سكان من خلق الله^(١).

(١) لا أعلم دليلاً ينص على القول بأن في كل أرض سكان، كما لا أعلم دليلاً يمنع منه، وهو قول قتادة كما

وقال الضحاك: ومن الأرض مثلهن أي سبعاً من الأرضين، ولكنها مطبقة بعضها على بعض من فوق، بخلاف السماوات.

والأول أصح؛ لأن الأخبار دالة عليه في الترمذي، والنسائي وغيرهما اهـ.

قال ابن العربي في عارضة الأحوذى (١٢/ ١٨٤):

ذكر أنه سمع أرضين، وقد أنكر ذلك الملاحدة، والجهلة من الأمة، وقالوا إنها أرض واحدة؛ لأنهم يعتقدون أنها المركز وغرهم في ذلك أن الله حين ذكر السماوات ذكرها جميعاً، وأتبعها بذكر الأرض واحدة.

وقد بينا ^(١) في آية أخرى فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، وهذا عموم لا يخصه إلا دليل شرعي، ولم يرد، أو عقلي ولم يوجد. اهـ.

قوله: (وبين الأرض العليا والسواء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء إلى السماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، والله عز وجل على العرش):

صحيح، وقد جاء هذا عن عبد الله بن مسعود موقوفاً:

رواه ابن خزيمة برقم (١٤٩ و ١٥٠)، والدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ٤٢٢)، وفي «الرد على الجهمية» (ص ٢٧٥)، والطبراني في «الكبير» (٩/ برقم ٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٨٨-٦٨٩)، وابن عبد البر في «التمهيد»

(١٣٩/٧) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود، به موقوفاً.

وهو حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود إمام في القراءة، لكنه حسن الحديث.

ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٩٠/٢) برقم (٨٥١) من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة، به، إلا أنه ذكر بدل «العرش» «الكرسي» وإبدال «الكرسي» بدل «العرش» يعتبر شاذاً، إذ أن عبد الرحمن بن مهدي خالف يزيد بن هارون وأسد بن موسى عند ابن خزيمة، وموسى بن إسماعيل عند الدارمي، وهذبة بن خالد عند الطبراني.

ورواه ابن خزيمة (٢٤٣/١-٢٤٤)، والطبراني في «الكبير» برقم (٨٩٨٦) عن حماد عن عاصم عن المسيب بن رافع عن وائل بن ربيعة عن عبد الله قال: «بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام».

وقد رواه عن حماد، يزيد بن هارون عند ابن خزيمة، وهذبة بن خالد عند الطبراني، وقد خالفا الذين رواه عن حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود وهم: يزيد بن هارون نفسه عند ابن خزيمة وابن عبد البر، وأسد بن موسى وهذبة بن خالد نفسه عند الطبراني، وموسى بن إسماعيل عند الدارمي.

فطريقهم هذه شاذة.

زد على ذلك: أن وائل بن ربيعة ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤٣/٩) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» مختصراً برقم (٦٥٩) من طريق الحسن بن أبي جعفر عن عاصم، به. والحسن ضعيف.

ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/١٠٤٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/٢٩١-٢٩٢) من طريق المسعودي (وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة) عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود، فذكره. وزاد أبو الشيخ عن أبي وائل وزر بن حبيش والمسعودي اختلط.

ورواه الخطيب في «موضح أوهام والتفريق» (٢/٤٧) من طريق أبي عمر حفص بن سليمان البزار عن عاصم فذكره، إلا أن في روايته «والعرش والكرسي فوق الماء، والله تعالى فوق العرش وبكل مكان». وأبو عمر حفص بن سليمان: متروك.

فالراجح الطريق الأولى وهي الوقف.

وجاء مرفوعاً عن أربعة من الصحابة:

الأول: حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

رواه أحمد في «المسند» (١/٢٠٧)، وأبو يعلى برقم (٦٧١٣)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» برقم (١٠)، والحاكم في «المستدرک» (٢/٣٧٨) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي، من طريق سهاك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن العباس، مرفوعاً فذكر نحوه. وهو الحديث المشهور بحديث الأوعال.

وأخرجه أحمد (٢/٢٠٧) وقال: نحوه، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» رقم (٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٧٧)، وأبو داود برقم (٤٧٢٣)،

والترمذي رقم (٣٣٢٠)، وابن ماجه رقم (١٩٣)، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص (٢٧٣)، وابن خزيمة برقم (١٤٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٦٥٠ و ٦٥١)، والآجري في «الشرعة» رقم (٦٦٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٨٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٠٤)، وابن منده في «التوحيد» رقم (٦٤٢)، والحاكم في «المستدرک» (٢/ ٥٠١)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (٦)، والجوزقاني في «الأباطيل» برقم (٧٢) وقال عقبه: هذا حديث صحيح.

كلهم من طريق سماك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس، فذكره. إلا أن فيه: «بعدما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة...».

وسماك بن حرب صدوق، لكنه قال الحافظ في التهذيب: إذا انفرد بأصل لم يكن حجة.

وعبدالله بن عميرة الكوفي، مجهول عين، وقال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس كما في تهذيب التهذيب.

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

رواه أحمد (٢/ ٣٧٠)، والترمذي برقم (٣٢٩٨) وقال: حديث حسن غريب، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٧٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» برقم (٢٠١) و (٢٠٢)، والجوزقاني في «الأباطيل» برقم (٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»

رقم (٨٤٩)، وابن أبي حاتم البزار كما في «تفسير ابن كثير» أول «سورة الحديد» (٢٦٦/٤).

كلهم من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة، مرفوعاً فذكره.
وقال الجوزقاني عقب الحديث: هذا حديث باطل... والعلة فيه إرسال الحسن عن أبي هريرة، فإنه لم يسمع من أبي هريرة شيئاً. اهـ
وأخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/٢٩٩-٣٠٠)، وابن جرير في «التفسير» (٢٨/١٥٤) عن معمر عن قتادة، فذكره مرسلًا.
قال ابن كثير رحمه الله:

ولعل هذا هو المحفوظ، والله أعلم.

وهذه الطريق من إرسالها، فرواية معمر عن قتادة ضعيفة، كما في «شرح علل الترمذي» لابن رجب (٢/٥٠٨-٥٠٩).

الثالث: حديث أبي ذر رضي الله عنه:

رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» رقم (١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٨٥٠)، والجوزقاني في «الأباطيل» رقم (٦٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» رقم (٧) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي نصر عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره. وفيه زيادة: «ولو حفرتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجدتم الله عز وجل...». ولعل قول ابن كثير في «التفسير» (٢٦٦/٤): لكن في إسناده نظر، وفي متنه غرابة ونكارة، من أجل هذه اللفظة.

ورواه البزار كما في «كشف الأستار» رقم (٢٠٨٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» برقم (٢٠٠)، والجوزقاني في «الأباطيل» رقم (٦٤) من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي نصر عن أبي ذر، فذكره.

قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد، وأبو نصر أحسبه حميد بن هلال، ولم يسمع من أبي ذر.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث منكر، رواه عن الأعمش فخالف فيه بأبامعاوية. فقال عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي نصر، وكان الأعمش يروي عن الضعفاء ويدلس. اهـ

الرابع: حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما:

رواه نعيم بن حماد في «زوائد الزهد» لابن المبارك برقم (٢٩٠)، وأحمد في «المسند» (١/١٩٧)، وهذا لفظه، والطبري في «التفسير» (٢٩/٦٤)، والترمذي برقم (٢٥٨٨)، والحاكم في «المستدرک» (٢/٤٣٨-٤٣٩).

من طريق سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن عيسى بن هلال الصدي عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل جمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمس مائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار، قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها».

وفي سنده أبو السمح، وهو دراج بن سمعان المصري: ضعيف الحديث، وهو يصلح في الشواهد والمتابعات.

وإن كان الحديث المراد به جهنم كما بوب عليه الترمذي، لكنه في الباب.
وبهذا يكون الحديث صحيحًا والحمد لله.

قوله: (والكرسي موضع قدميه):

صحيح موقوفًا على ابن عباس، رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» رقم (٦١)، وابن خزيمة رقم (١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦)، والدارمي في «الرد على المريسي» (١/٣٩٩-٤٠٠ و ٤١٢ و ٤٢٣)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٨٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/٤٩١)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٢٤٠٤)، والحاكم في «المستدرک» (٢/٢٨٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٥٨)، والخطيب البغدادي في «التاريخ» من طرق (٩/٢٥١-٢٥٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.

كلهم من طريق سفيان عن عمار عن الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، موقوفًا. بزيادة: «والعرش لا يقدر أحد قدره» وهو صحيح. ورواه ابن جرير في «تفسيره» (١/١٠) من طريق سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين قال: الكرسي موضع القدمين.

رواه عن سفيان أبو أحمد الزبيري فخالف وكيعًا عند عبدالله بن أحمد وابن خزيمة والدارمي، وأباعاصم عند ابن خزيمة والحاكم والخطيب والبيهقي والطبراني، وأحمد بن يونس عند ابن خزيمة.

وهو نفسه (أبو أحمد الزبيري) عند ابن أبي حاتم رواه كرواية الجماعة عن ابن عباس.

ورواه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٩٦ و ٢١٦) فتابع سفيان، يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي وقيس كرواية الجماعة.

ورواه شجاع بن مخلد الفلاس في «تفسيره» كما عند الخطيب في «التاريخ» (٢٥١/٩) عن أبي عاصم عن سفيان، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٦/١). فذكره مرفوعاً.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢٦٨/١): كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس، فذكره. وهو غلط.

وقال الخطيب عقبه: رواه أبو مسلم الكجي وأحمد بن منصور الرمادي عن أبي عاصم فلم يرفعه، وكذلك رواه عبد الرحمن بن مهدي ووكيع جميعاً عن سفيان موقوفاً على ابن عباس من قوله غير مرفوع. اهـ

وقال ابن الجوزي (٧/١): هذا الحديث وهم شجاع بن مخلد في رفعه، فقد رواه أبو مسلم الكجي وأحمد بن منصور والرمادي كلاهما عن أبي عاصم فلم يرفعه، ورواه عبد الرحمن بن مهدي ووكيع كلاهما عن سفيان فلم يرفعه، بل وقفاه على ابن عباس، وهو الصحيح. اهـ

وقد رواه ابن مردويه من طريق الحاكم بن ظهير الفزاري الكوفي وهو متروك، عن السدي عن أبي هريرة مرفوعاً، ولا يصح أيضاً. انتهى من «تفسير ابن كثير» (٢٦٨/١).

وجاء موقوفاً على أبي موسى الأشعري:

رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٨٨)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» رقم (٦٠)، وابن جرير في «تفسيره» (١/ ٩١٠)، وأبو الشيخ في «كتاب العظمة» رقم (٢٤٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٥٩) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا أبي عن محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن عمار بن عمير عن أبي موسى، فذكره. وزاد: «وله أطيظ كأطيظ الرحل». وهو منقطع، عمار بن عمير لم يدرك أبا موسى.

فلا يصح إلا عن ابن عباس موقوفاً عليه، وهذا هو القول الصحيح في تعريف الكرسي.

وأما معنى الكرسي في اللغة:

قال الراغب الأصفهاني:

الكرسي في تعارف العامة اسم مما يقعد عليه قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

وهو في الأصل منسوب إلى الكرسي أي المتلبد أي المجتمع. اهـ

هذا في اللغة، وفي الاصطلاح الصواب ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وهنالك أقوال أخرى ضعيفة في الكرسي:

الأول: أن المراد بالكرسي العلم، وهذا قول الجهمية، واستدلوا بأثر عن ابن عباس قال: كرسيه علمه، ورواه ابن جرير وغيره وهو ضعيف.

في سنده جعفر بن أبي المغيرة يرويه عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال ابن منده كما في الميزان (١/ ٤١٧): ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير. اهـ.

وذكر الحديث الذهبي في الميزان في ترجمة جعفر، وقال قال ابن منده لم يتابع عليه.
الثاني: أن المراد بالكروسي هو العرش نفسه.

وهذا القول روي عن الحسن، ورواه بن جرير (٣٩٩/٥)، ط شاكر.
وفي سنده جوير وهو ابن سعيد أبو القاسم البلخي، وهو متروك، ولبس هنالك ما يدل على هذا القول والأدلة تدل على الفرق بينهما.
الثالث: أن المراد بالكروسي قدرة الله التي يمسك بها السماوات والأرض، وهذا القول فاسد لمخالفته الظاهرة.

الرابع: أن المراد بالكروسي الفلك الثامن، وهذا قول بعض المتكلمين الذين قالوا:
إن العرش هو الفلك التاسع كابن سينا.

وما ذكره المصنف من أن الكروسي موضع القدمين، هو الصواب، وهو الثابت عن
ابن عباس، وعليه عمل السلف ويدل عليه القرآن، وكذا اللغة.

والكروسي يعتبر مخلوقاً من مخلوقات الله، وهو أكبر المخلوقات عدا العرش قال الله
تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي أحاط وشمل السماوات والأرض.

والكروسي بين يدي العرش كالمراقبة إليه، كما قاله غير واحد من السلف. انتهى من
شرح الطحاوية لابن أبي العز (٣١٧/٢) بتصرف.

راجع كتاب محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وكتابه العرش دراسة وتحقيق للدكتور
محمد بن خليفة التميمي.

قوله: (وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما
في قعر البحر):

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨].

والأدلة كثيرة جداً في هذا، وقد تقدم شيء منها.

قوله: (ومنبت كل شجرة وشجرة، وكل زرع ونبات، وما تسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الرمل والحصى والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم):

قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقول النبي ﷺ لبني سلمة: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم».

رواه مسلم برقم (٦٦٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قوله: (ويعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء من ذلك شيء):

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وفي صحيح البخاري برقم (١٣٨٤)، ومسلم برقم (٢٦٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب قال يا رب وما أكتب قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

رواه رواه أحمد (٣١٧/٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١٤/١٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧) وأبوداود الطيالسي كما في مسنده برقم (٥٧٧) والترمذي رقم (٣٣١٩ و ٢١٥٥) والآجري في الشريعة برقم (١٨٠) وهو صحيح.

قوله: (وهو على العرش فوق السماء السابعة):

تقدم هذا فيما يتعلق أنه على العرش.

وأما كون العرش فوق السماء السابعة فلا دلة، منها:

أدلة المعراج الثابتة في الصحيحين وغيرهما عن مالك بن صعصعة، وأبي ذر، وغيرهما أن النبي ﷺ لما انتهى من السماء السابعة مع جبريل، وفي حديث ابن عباسٍ وأبي حبة الأنصاريَّ كانا يقولان: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ».

وموضعه في الإسراء والمعراج، وسيأتي هناك إن شاء الله.

وفي صحيح البخاري برقم (٧٤٢٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

وأدلة العلو أن الله في السماء أي على السماء.

وأدلة نزول الرب تبارك وتعالى.

وتقدم أثر ابن مسعود في هذا وأنه حسن.

وجاء عن عبد الله بن عمر موقوفاً قال: جعل الله فوق السماء السابعة الماء وجعل فوق الماء العرش.

وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو (ص ٩٧).

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

وفي صحيح البخاري برقم (٧٤١٨) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

قال الراغب: كان عبارة عما مضى من الزمان، لكنها في كثير من وصف الله تعالى تنبئ عن معنى الأزلية كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قال

وما استعمل منه في وصف شيء متعلقاً له هو موجود فيه، قال: فالتنبية على ذلك أن ذلك الوصف لازم له، أو قليل الانفكاك عنه كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧] وإذا استعمل في الزمان الماضي جاز أن يكون المستعمل على حاله، وجاز أن يكون قد تغير نحو كان فلان كذا، ثم سار كذا.

انتهى من الفتح (١٣/٤١٠).

ومن الأدلة المتقدمة يؤخذ أن العرش أعلى المخلوقات وأرفعها وسقفها.

معنى العرش:

مادة العين والراء والشين أصل يدل على ارتفاع في الشيء مبني، وقد يستعار في غيره.

راجع معجم المقاييس في اللغة (ص ٧٥٢).

ويطلق العرش في لغة العرب على ثمانية معانٍ:

أحدها: سرير الملك: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. وقوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ثانيها: سقف البيت: ومنه قوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾

[البقرة: ٢٥٩].

ثالثها: ركن الشيء: للدليل المتقدم قبل.

رابعها: الملك: يقال: ثل عرشه أي زال ملكه، وعزه، قال زهير:

تذاكرتما الأحلاف قد ثل وذبيان إذا زلت بأقدامها النعل

الخامس: قوام أمر الرجل للبيت المتقدم.

السادس: عرش السماك قال ابن أحر:

باتت عليه ليلة عريشة شربت وبات إلى نقاء متهدم

وعرش السماك أربعة كواكب أسفل من العواء على صورة النعش ويقال إنها
عمر الأسد.

السابع: عرش البئر يقال: بئر معروشة، هي التي تطوى قدر قامة من أسفلها
بالحجارة، ثم يطوى سائرها بالخشب، فذلك الخشب هو العرش، فإذا كانت كلها
بالحجارة فهي مطوية وليست بمعروشة.

قال الشاعر:

وما لمثابات العروش بقية إذا استل من تحت العروش

والمثاب: مقام الساقى فوق العرش.

الثامن: عرش القدم: وهو ما بين الحمار والأصابع من ظهر القدم.

والحمار: المرتفع من ظهر القدم.

ويعرف معنى كل كلمة مما تقدم بحسب ما يضاف إليه، والمعنى المقصود من

عرش الرحمن هو المعنى الأول وهو سرير الملك.

والعرش في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، هو السرير قال

به الطبري، والبيهقي، وابن كثير، والذهبي وغيرهم، وهو قول أهل السنة والجماعة،
وهذا هو الراجح الذي عليه الأدلة.

ووافقهم على هذا الكلاية، والكرامية، ومتقدموا الأشاعرة كأبي الحسن

الأشعري والباقلاني وبعض الجهمية.

وزعمت طائفة من الجهمية والمعتزلة والماتريدية وعامة متأخري الأشاعرة كالجويني والغزالي والرازي والآمدي وابن فورك أن معنى العرش في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، هو الملك.

وهذا تأويل باطل وصرف اللفظ عن معناه إلى معنى آخر لا يحتمله.

وتقدم أن قلنا إن معنى كل كلمة بحسب ما تضاف إليه، وليس في سياق الآيات ما يثبت ما ذهبوا إليه، بل هو في الحقيقة تحريف لكلام الله عن ظاهره.

والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر: ٧].

ويقول: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وروى البخاري برقم (٢٤١١) وهذا لفظه ومسلم برقم (٢٣٧٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيْقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَشْنَى اللَّهَ».

ففي هذه الأدلة وغيرها رد عليهم، وأن العرش غير الملك فالملك شيء معنوي، والعرش شيء حسي يلمس.

والأدلة كثيرة في هذا كحديث دعاء الكرب الذي رواه البخاري برقم (٦٣٤٥) ومسلم برقم (٢٧٣٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

وأحاديث أن العرش على الماء، وغيرها.

وزعمت طائفة من أهل الكلام أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدود الجهات، وربما سموه الفلك الأطلسي، أو الفلك التاسع، أو الأثير، أو الفلك الأعلى، ومن هؤلاء ابن سينا الملحد.

وهؤلاء الحمقى ليس لهم دليل شرعاً ولا لغة ولا عقلاً صحيحاً، وأما الدليل الشرعي فلا دليل عندهم لا في كتاب، ولا في سنة، ولا إجماع، ولا فهم سلف على ما يدعون.

وأما الدليل اللغوي فتقدم معاني العرش في لغة العرب، وليس فيها ما ذكره هؤلاء، وأما العقلي فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٥٤٧/٦):

أما العقلي فإن أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقع عندهم دليل على أنه ليس وراء الفلك التاسع شيء آخر، بل ولا قام عندهم دليل على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك على ما ذكروه، وما لم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لا يعلمون لا ثبوته ولا انتفاءه.

وكذا من الأدلة على هذا القول ما تقدم أن العرش لها قوائم، والأفلاك مستديرة وليس لها قوائم.

والعرش أحد مخلوقات الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

[الرعد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].
فوصف العرش بأنه مربوب وما هو مربوب مخلوق.

واختلاف السلف الصالح هل خلق العرش قبل القلم؟ أم بعده؟
فالإجماع على أنه مخلوق.

أول المخلوقات:

وهل أول المخلوقات العرش؟ أم القلم؟

الراجح فيها أن العرش هو أول المخلوقات لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ». قَالَ «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». رواه مسلم برقم (٢٦٥٣).

فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش وعند أول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب قال يا رب ما أكتب؟ قال أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، تقدم تخريجه، وسيأتي بأوسع إن شاء الله عند ذكر المؤلف له.

وفي حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ».

رواه البخاري برقم (٧٤١٨).

وهذا ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في مجموع الفتاوى (٢١٣/١٨)

وقال: وهو قول جمهور السلف.

وهنالكَ قولان ضعيفان جداً:

الأول: أن الماء أول المخلوقات.

والثاني: أن أول المخلوقات النور والظلمة، ولا دليل على شيء منهما. راجع شرح الطحاوية (٢/ ٣٤٤-٣٤٥).

ولا ندري مم خلق العرش، لا من ياقوته حمراء ولا من غيرها؛ لأنه لم يثبت دليل مما خلقه، فالله أعلم.

ومثل هذا مساحة العرش كم هي لا يثبت في ذلك دليل ويكفي قول ابن عباس المتقدم أن الكرسي موضوع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره.

وكذا لا ندري كيف وصف هذا العرش، وما ورد من حديث جبير بن مطعم في كتاب العرش لمحمد بن أبي شيبه، وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن عرشه على سماواته وأرضيه هكذا»، وقال بأصبعه مثل القبة، وصف ذلك وهب وأمال كفه وأصابعه اليمنى، وقال هكذا وإنه ليئط به أطيظ الرحل وبالراكب.

فضعيف في سنده جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ضعيف.

فلا يثبت في صفة العرش شيئاً والله أعلم.

والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها وأثقلها:

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ، الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

رواه البخاري برقم (٦٣٤٥) ومسلم برقم (٢٧٣٠).

وأثر ابن عباس المتقدم: والعرش لا يقدر قدره إلا الله.

وفي صحيح مسلم برقم (٢٧٢٦) عَنْ جُوَيْرِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ: « مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟ » قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتُهُنَّ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ »

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٥٥٣ / ٦):

فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان. اهـ.

وروى البخاري برقم (٧٤٢٦) ومسلم برقم (٢٧٣٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ».

قال الإمام الشنقيطي في أضواء البيان (٨٣٢ / ٥):

إنما وصف عرشه بالكرم لعظمته وكبر شأنه.

ويأتي إن شاء الله حديث أبي هريرة وحديث جابر في العرش له جانب وقد تقدم الدليل عليه حديث أبي هريرة.

وله قوائم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذُ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ؟ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى؟ ».

رواه البخاري برقم (٢٤١٢) ومسلم (٢٣٧٤).

قال الحافظ رحمه الله في الفتح (٥١٣ / ٦):

ووقع في رواية محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عند ابن مردويه: «أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فأنفض التراب عن رأسي، فأتى قائمة العرش فأجد موسى قائماً عندها» اهـ.

ولو صحت هذه الرواية لكان المعنى أن للعرش قائمة واحدة، ولكن يقدم ما في صحيح البخاري.

والعرش لا يفنى ولا يعدم، وهو من أصناف ثمانية لا تفنى ولا تعدم جمعها الشاعر في قوله:

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقي في حيز العدم
العرش والكرسي ونار وجنة وعجب وأرواح واللوح والقلم^(١)
ونقل ابن تيمية رحمه الله اتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على ذلك. انظر مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٨).

هل يدخل العرش فيما يقبض ويطوى؟

لا يدخل العرش فيما خلقه الله في الأيام الستة لحديث عمران المتقدم وغيره من الأدلة التي تقدمت.

ولا فيما يشقه ويفطره، ولا فيما يقبض ويطوى ويبدل ويغير قال الله تعالى: ﴿وُحِّلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتْ

(١) راجع مقدمة كتاب الصنعاني رفع الأستار لأبطال أدلة القائلين بفناء النار للألباني (ص ١٨) وعزاها للكافية الشافية.

السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمٌ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿[الحاقة: ١٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٥٥-١٥٨):
وأما العرش فلم يكن داخلًا فيما خلقه في الأيام الستة، ولا فيما يشقه ويفطره، بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش، وقد ثبت في الصحيح^(١) أن جنة عدن سقفها عرش الرحمن، قال النبي ﷺ: «إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلا الجنة وأوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن»، وقال تعالى لما أخبر بالقيامة: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي الصحيحين^(٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟».
وفي الصحيحين^(٣) أيضًا عن ابن عمر واللفظ لمسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟».

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٩٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥١٩) ومسلم (٢٧٨٧).

(٣) رواه البخاري برقم (٧٤١٣) ومسلم (٢٧٨٨).

وفي الصحيحين^(١) أيضًا عن عبد الله بن مسعود قال جاء خبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال وتصديقًا له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي الصحيحين^(٢) أيضًا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة»، قال: فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى. قال تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال رسول الله ﷺ فنظر رسول الله ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، فقال: «ألا أخبرك بإدامهم؟» قال: بلى. قال: إدامهم باللام ونون. قالوا: ما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفًا.

وفي الصحيحين^(٣) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لأحد».

(١) رواه البخاري (٧٥١٣) ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠).

وفي الصحيحين^(١) عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط» اهـ.

وللعرش حملة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].
عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ».
رواه أبو داود برقم (٤٧٢٧) وهو حسن.

وقد حسنه شيخنا مقبل رحمه الله في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٤٢٠)، وفي الجامع الصحيح أيضًا، وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجَالُهُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَالْعَرْشُ عَلَى مَنْكِبِيهِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ وَأَيْنَ تَكُونُ».

وقد دل الدليل كما ترى أن بعض أولئك الحملة ذو خليفة عظيمة، والبعض الآخر لا ندرى أكلهم سواء؟ أم يتفاوتون؟

وكذا لا ندرى بعدد حملة العرش، أما ما جاء في حديث العباس قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «ما تسمون هذه؟» قالوا: السحاب، قال: «والمزن»، قالوا: والمزن، قال: «والعنان»،

قالوا: والعنان. قال: أبو داود لم أتقن العنان جيداً، قال: «هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟» قالوا: لا ندري، قال: «إن بعد ما بينهما إما واحدة، أو اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله، وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعالٍ، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش ما بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك».

قد تقدم تخريج الحديث، وهذا قطعة منه وهو ضعيف جداً فلا داعي للإعادة. ولكن في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. فهذا في يوم القيامة، ولا ندري ثمانية ملائكة، أم أصناف من الملائكة؟ وهكذا لعدم ثبوت ما يدل على شيء منها.

راجع كتاب محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وكتابه العرش دراسة وتحقيق للدكتور/ محمد بن خليفة التميمي.

قوله: (دونه حجب من نار، ونور، وظلمة، وما هو أعلم به): صحيح جاء هذا من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ قال: «احتجب ربنا عز وجل عن خلقه بأربع: بنار، وظلمة، ثم بنور وظلمة من فوق السماوات السبع، والبحر الأعلى فوق ذلك كله تحت العرش».

رواه الدارمي في «الرد على المريسي» (٢/ ٧٦٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» برقم (٢٧٤). من طريق عبدالله بن صالح (وهو كاتب الليث) عن يحيى بن أيوب عن المثني بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبدالله بن عمرو به.

وعبدالله بن صالح ضعيف، والمثني بن الصباح ضعيف اختلط بآخره.

وجاء من طريق أخرى عن عبدالله بن عمرو بن العاص وسهل بن سعد.
رواه بن أبي عاصم في «السنة» برقم (٧٨٨)، وأبو يعلى برقم (٢٥٧٥)، والطبراني في «الكبير» برقم (٥٨٠٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» برقم (٢٦٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/١٥٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/٢٩٢-٢٩٣) كلهم من طريق مكّي بن إبراهيم عن موسى بن عبيدة عن عمر بن الحكم بن ثوبان عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «دون الله سبعون ألف حجاب من نور، وسبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وما من نفس تسمع شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت نفسها».

وموسى بن عبيدة، وهو الربذي: ضعيف.

وأخرج أبو الشيخ في «العظمة» برقم (٢٦٥) من طريق الفضيل بن سليمان عن أبي حازم عن عمر بن الحكم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: والذي نفسي بيده، إن دون الله عز وجل يوم القيامة سبعين ألف حجاب، منها حجاب من نار، وحجاب من نور، وحجاب من ظلمة».

ورواه برقم (٢٧٣) وفيه متابعة عبد العزيز بن أبي حازم للفضيل بن سليمان وذكر نحوه.

ونحوه برقم (٢٧٠) في «العظمة» من طريق عبد الجليل عن أبي حازم عن عبدالله بن عمرو، وعبد الجليل وهو: ابن عطية القيسي: حسن الحديث.

فأما حديث سهل بن سعد: فالرفوع كما رأيت فيه موسى بن عبيدة الربذي.

وأما حديث عبدالله بن عمرو: فالراجح في هذه الطرق ما عدا الأولى الوقف، حيث أن الذين أوقفوه أقوى، وما رفعه إلا موسى بن عبيدة. فالرفع في هذه الطرق منكر، ما عدا طريق عمرو بن شعيب، فتلك طريق أخرى لا يعلها هذا الموقوف.

وله شاهد مرسل: رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» ص (٢٨٣) عن زرار بن أوفى: أن النبي ﷺ سأل جبريل: «هل رأيت ربك؟» فانتفض جبريل، وقال: يا محمد، إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور، لو دنوت من أدناها لاحتقرت.

وصح عن ابن عمر موقوفاً، قال: احتجب الله من خلقه بأربع: بنار، وظلمة، ونور، وظلمة.

رواه الدارمي في «الرد على المريسي» (٢/ ٧٦١-٧٦٢)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٧٢٩).

وصح عن مجاهد نحوه، رواه أبو الشيخ برقم (٢٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٨٥٥ و ٨٥٦).

فالحديث صحيح.

وفي «صحيح مسلم» برقم (١٧٩) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يُخَفِّضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ النَّارِ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

وقد بين أن الله محتجب عن خلقه جماعة من السلف، منهم ابن أبي زمين قال في أصول السنة (ص ١٠٦):

باب الإيمان بالحجب، ثم قال: ومن قول أهل السنة أن الله بائن من خلقه محتجب عنهم فتعالى الله عما يقول الظالمون. اهـ.

قال الدارمي في الرد على المريسي (٢/ ٧٤٨):

الحجب التي احتجب الله بها عن خلقه، ثم ذكر الأحاديث.

وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة (٢/ ٦٦٧): ذكر حجاب ربنا تبارك وتعالى.

ومما يدل دلالة قوية على علو الله تعالى ما تقدم من الاستواء على العرش حيث

(العرش على السماء، والعلو صفة ذاتية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة).

قوله: (وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ وَثَاظَكَ وَارْفَعْكَ إِلَى﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]).

وقال جل في علاه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ

يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ

أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

وقال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهِيبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تَرَاهَا قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عُسَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعِ إِمَّا عَلَقَمَةُ، وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ كُنَّا: نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَا تَأْمُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ نَاشِزُ الْجُبْهَةِ كَثُ اللَّحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ قَالَ: «وَيْلَكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عَنْقَهُ؟ قَالَ: «لَا؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي» فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بَطُونَهُمْ» قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ، فَقَالَ: «إِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ ضَنْضِي هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، وَأَظْنُهُ قَالَ: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَا قَتْلَنَهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ».

وفي صحيح مسلم برقم (٥٣٧) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السَّلَمِيِّ قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي فَبَلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ، فَاطْلَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ لِكَيْفِي صَكَّكُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَعَظَّمْ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «إِئْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهَا بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أُعْتِقُهَا فَإِنَّهَا مُؤَمَّنَةٌ».

وأحاديث المعراج كلها تدل على علو الله تعالى، وتردد النبي ﷺ بين موسى وربه، وأحاديث رفع الأيدي إلى السماء كذلك.

والأدلة من الكتاب والسنة وأثار الصحابة والتابعين وأتباعهم، كثيرة جداً في إثبات علو الله تعالى على خلقه من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل. وللإمام الذهبي كتاب حافل بالأدلة على علو الله، واختصره الألباني عليهما رحمة الله.

أقسام العلو:

وينقسم علو الله تعالى إلى ثلاثة أقسام ولا تجتمع إلا في حق الله تعالى هي:

١- علو القهر: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

٢- علو القدر والشأن: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٥٥].

٣- علو الذات.

وهذا هو الذي حصل فيه الخلاف بين أهل السنة وأهل البدع، وهذه المسألة

تعتبر من أخطر المسائل الاعتقادية التي تفرق المسلمون واختلفوا فيها.

فأثبت أهل السنة والجماعة الاستواء على العرش، وأن الله عاليًا على خلقه يعلم

ما عليه خلقه لا تخفى عليه خافية.

والعلو في اللغة معناه السمو والارتفاع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٧):

فالسلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه

كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكما علم المبينة والعلو

بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه من إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى. اهـ.

وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد بيان من كلام المصنف رحمه الله.

أقوال أهل البدع في العلو:

وأما أقوال أهل البدع في هذا ثمانية وهي:

الأول: قول الحلولية الجهمية: إنه بذاته في كل مكان، وكذا البخارية أتباع محمد بن الحسين البخاري.

الثاني: قول المعطلة الجهمية النفاة، قالوا: لا هو داخل العالم ولا خارجه، وكذا البخارية، ولا مباين فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو عن وجود أحدهما، وهو قول أكثر المعتزلة.

الثالث: قول طوائف من أهل الكلام والتصوف: إنه بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان.

الرابع: قول هشام بن الحكم الرافضي الخبيث أول من قال بإثبات الجسم لله: إنه في مكان دون مكان، وإن مكانه هو العرش، وإنه مماس العرش، وإن العرش قد حواه.

الخامس: قول بعض أصحاب هشام بن الحكم وهم الهشامية: إن البارئ قد ملأ العرش وإنه مماس له^(١).

السادس: قول بعض من ينتسب للحديث: إن العرش لم يمتلئ به، وإنه يقعد نبيه ﷺ معه على العرش^(١).

ولا يخفى فساد هذه الأقوال كلها، وقد دل على علو الله تعالى الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة واللغة.

وأدلة علو الله أكثر من (١٠٠٠) دليل كما قال غير واحد من أهل العلم.

راجع كتاب علو الله على خلقه للدكتور موسى بن سليمان الدويش.

السابع: قول الماتريدية قالوا: إن الله لا داخله ولا خارجه، ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه، وأنه ليس في الجهات الست، لا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، وأنه ليس على العرش ولا على غيره، ولا فوق العرش فليس الله فوق العالم، ويكفرون من وصف الله تعالى بأنه في السماء، أو وصفة بأنه فوق.

انتهى من كتاب الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ١/ ٥١٣).

الثامن: قول الأشاعرة في صفات الله معروف، إما التفويض أو التأويل فيما فهمت منه أفهامهم المريضة، وعقولهم الكاسدة.

قال قائلهم:

وأي لفظ أو هم التشبيه أوله أو فوض ورم تنزيها

والأشاعرة لا يثبتون علو الله على عرشه ولا ينفونه^(٢).

(١) راجع موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٢٣٢).

(٢) راجع موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٢٣٢).

وكتاب الذهبي العلو، وكذا كتاب الدويش علو الله حافلان في حشد الأدلة على علو الله تعالى على خلقه.

قول: (فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، ونحو هذا من متشابه القرآن. فقل: إنها يعني العلم).

متشابه القرآن هو: ما تشابهت ألفاظه واحتمل صرفه في وجوه التأويلات باحتماله المعاني المختلفة^(١).

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال ابن جرير: وهذه الآية وإن كانت تنزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك فإنه معني بها كل مبتدع في دين الله بدعة، فمال قلبه إليها تأويلاً منه لبعض متشابه أي القرآن، ثم حاج به وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح..... إلخ كلامه رحمه الله.

روى البخاري برقم (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ

أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَخَذُوا مِنْهُمْ ».

فإذا وجد مثل هؤلاء الناس، واستدلوا عليك بتلك الآيتين اللتين ذكرهما المصنف، وأشباههما من متشابه القرآن فقل: إنما المراد في هاتين الآيتين وأمثالهما في القرآن والسنة علم الله تعالى.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤/ ١٩٧) وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأويله على العلم فإنما فرثا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع. اهـ.

وأما في الآية الثانية فأخرها يبين أولها يبين أن المراد العلم فتمتمة الآية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وكذا أولها مفتتح بالعلم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

فالآية افتتحت بالعلم واختتمت به، والله أعلم.

قوله: (لأن الله عز وجل فوق السماء السابعة يعلم ذلك كله، وهو بائن من خلقه):

معنى بائن أي أن الله سبحانه وتعالى مع علوه على عرشه فوق السماء السابعة بائن وغير متصل بخلقه ولا مماس لهم.

ولفظه بائن لم ترد في الكتاب ولا في السنة ولا في عصر الصحابة رضي الله عنهم.
قال الألباني في مختصر العلو (ص ١٧):

ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة والأعلام بلفظ بائن دون أن ينكر أحد منهم اهـ.

وما دام السلف رضوان الله عليهم قد أقروا هذه اللفظة دون نكير منهم مع الحاجة إليها، فلا بأس بإطلاقها، وقد نقل المصنف فيما يأتي قريباً إن شاء الله اتفاق السلف على إطلاق هذه اللفظة.

قوله: (ولا يخلو من علمه مكان):

تقدم هذا.

قوله: (وليس معنى ذلك أن الله في جوف السماء، وأن السماء تحصره وتحويه، فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون على أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه):

فإن قال قائل فما معنى قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

فالجواب: أن حروف الجر تتناوب، و(في) هنا بمعنى على.

كقوله تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿وَلَأَصْلَبَنَّهُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

أي على جذوع النخل، إذ لا يتوقع ولا يقال داخل جذوع النخل.

ومثله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا

مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، أي على مناكبها.

تنوع الأدلة الدالة على العلو:

وقد تنوعت الأدلة في إثبات علو الله وتبارك تعالى على خلقه على ثمانية عشر نوعًا، هي:

الأول: التصريح بالفوقية مقرونًا بأداة (من) المعيّنة للفوقية بالذات، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النمل: ٥٠].

الثاني: التصريح بالفوقية مجردة عن الأداة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

الرابع: التصريح بصعود بعض الأشياء إليه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

الخامس: التصريح برفع بعض المخلوقات إليه، قال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا وشرافًا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات أنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وفي صحيح البخاري برقم (٣١٩٤) ومسلم برقم (٢٧٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخُلُقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

التاسع: التصريح بأنه سبحانه في السماء، قال تعالى: ﴿أَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونًا بـ(على)، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إليه في الدعاء، كما في حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، حَتَّى يَرَى بَيَاضَ إِبْطَيْهِ. رواه مسلم برقم (٨٩٥).

الثاني عشر: التصريح بنزول الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، وسيأتي الكلام على النزول في فصل مستقل، ويكون من أعلى إلى أسفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسًا إلى العلو كما أشار النبي ﷺ في خطبة الوداع بإصبعه إلى السماء، الحديث جاء عن جماعة من الصحابة، وهو في الصحيحين وغيرهما.

الرابع عشر: التصريح بشهادته عليه الصلاة والسلام للجارية لما قالت: إن الله في السماء بأنها مؤمنة، ففي صحيح مسلم (٥٣٧) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ:

وَكَاثَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَىٰ عَنَّمَا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَائِيَّةِ، فَاطْلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الدِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ لَكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ: «أَتَيْتَنِي بِهَا فَاتَيْتُهُ بِهَا»، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «أُعْتِقُهَا فَإِنَّهَا مُؤَمَّنَةٌ».

الخامس عشر: التصريح البيِّن بأن الله في السماء، كما تقدم قبله.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء؛ ليطلع إلى إله موسى، ويزعم موسى أنه كاذب في هذه الدعوى، قال تعالى: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

السابع عشر: إخبار النبي ﷺ أنه تردد بين موسى وربّه ليلة عرج به، والحديث في الصحيحين عن مالك بن صعصعة وأبي ذر، وللإسراء والمعراج فصل مستقل.

الثامن عشر: الأدلة على رؤية أهل الجنة لربهم سبحانه وتعالى، وفيها دلالة على أنهم يرونه من فوقهم وسيأتي فصل للرؤية وأحاديث الرؤية إن شاء الله تعالى.

انتهى بتصرف من شرح الطحاوية (٢/ ٣٨٠-٣٨٦).

وراجع مختصر الصواعق (٢/ ٢٠٥ - فما بعد).

قوله: (ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته).

وقد قال مالك بن أنس: إن الله تعالى في السماء، وعلمه في كل مكان:

صحيح، رواه أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» برقم (١٦٩٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (١١)، والآجري في «الشرعية» برقم (٦٥٢ و ٦٥٣)، وابن قدامة في «العلو» (ص ١١٥) عن مالك بن أنس، به.

وزاد أبو داود والآجري: «لا يخلو من علمه مكان».

وفي رواية أخرى للآجري: «لا يخلو منه مكان».

وانظر «مختصر العلو» للألباني رحمه الله (ص ١٤٠).

قوله: (وقيل لابن المبارك: بماذا تعرف ربنا؟

قال: بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه):

صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (٢٢) بلفظ: سألت عبد الله بن

المبارك: كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا عز وجل؟ قال: على السماء السابعة على

عرشه، ولا تقول كما تقول الجهمية: إنه ها هنا على الأرض.

وابن قدامة في «العلو» (ص ١١٧-١١٨)، وبنحوه رواه الدارمي في «الرد على

المريسي» (١/ ٢٢٤) بدون ذكر الجهمية، وفي «الرد على الجهمية»، وانظر «مختصر

العلو» (ص ١٥١-١٥٢).

قوله: (وبه قال أحمد بن حنبل):

صحيح، رواه الخلال في كتاب «السنة» قال: حدثنا يوسف بن موسى قال: أخبرنا

عبد الله بن أحمد قال: قيل لأبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه،

بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم، لا يخلو شيء من علمه. كما

في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٢٠٠).

ورواه ابن قدامة في «العلو» (ص ١١٦) من طريق يوسف بن موسى، به.
وهو صحيح.

قوله: (قال الشافعي: خلافة أبي بكر قضاها الله في سمائه، وجمع عليها قلوب أوليائه):

ضعيف جداً، رواه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» ص (١٢٤-١٢٥) بلفظ: خلافة أبي بكر رضي الله عنه حق، قضاها الله في سمائه، وجمع عليها قلوب أصحاب نبيه ﷺ. اهـ ورضي الله عنهم.

وهو ضعيف جداً، في سنده أبو القاسم يعلى بن علقمة الأبهري، لم أجد له ترجمة، والهكاري وهو: أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف. قال ابن عساكر: لم يكن موثقاً به. وقال ابن النجار: حدث بالكثير، وانتقد عليه، وكان الغالب على حديثه الغرائب والمنكرات، وفي حديثه أشياء موضوعة، ورأيت بخط بعض أصحاب الحديث أنه كان يضع الحديث بأصبهان.

ولقب بشيخ الإسلام، ولعله من أجل عبادته وزهده.

وراجع «لسان الميزان» (٤/ ١٩٥).

قوله: (فمن اعتقد):

الاعتقاد: هو الحكم الذهني الجازم، وهي تدل على إيمان القلب.

لفظ عقيدة كان يعبر عنه المتقدمون بلفظ سنة، كالسنة لعبد الله بن أحمد، والسنة للخلال وابن أبي عاصم، وغيرهم، وبعضهم يعبر عنه بعلم أصول الدين، كما في أول

شرح الطحاوية لابن أبي العز، وبعضهم يعبر عنه بالفقه الأكبر، وبعضهم يسميه الشريعة كالآجري رحمه الله.

قوله: (أن الله في جوف السماوات محصور محاط، أو أنه مفتقر إلى العرش، أو غير العرش من المخلوقات، وأن استواه على عرشه كاستواء المخلوق على كرسيه، فهو ضال مبتدع جاهل):

تقدم إلى كم ينقسم الضلال.

فإن كان عالماً وغير مكره ولا متأول ولا مخطئ ولا ناسياً، وأصر على هذا فهو بمعنى كافر.

وإن كان جاهلاً فهو ضال بمعنى غير المهتدي، وهو أضل من حمار أهله، والمبتدع الذي يأتي بأمر على شبه لم يكن ابتدأه إياه.

قال أبو عدنان: والمراد من خالف أصول الشريعة، ولم يوافق السنة، وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفاً للذم، وبدعه أي نسبه إلى البدعة. اهـ بتصرف من لسان العرب (١/٣٤٢).

والبدعة طريقة في الدين مخترعة على غير مثال سابق يراد بها التعبد.

راجع كتاب الاعتصام للشاطبي (١/٤١).

قوله: (ومن اعتقد أنه ليس في السماوات إله يُعبد، ولا على العرش إله يصلى له ويسجد، وأن محمداً لم يعرج به إلى ربه):

سيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على المعراج في موضعه.

قوله: (ولا نزل القرآن من عنده):

سيأتي الكلام على القرآن إن شاء الله في موضعه.

قوله: (فهو معطل فرعوني).

فإن فرعون كذب موسى في أنه ربه فوق السماوات فقال: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]:

قال القرطبي (١٣/٣١٤): لما قال مؤمن آل فرعون ما قال، وخاف فرعون أن يتمكن كلام هذا المؤمن في قلوب القوم، أوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد، فإن بان له صوابه لم يخفيه عنهم، وإن لم يصح ثبتهم على دينهم، فأمر وزيره هامان ببناء الصرح. اهـ.

والصرح هو: بيت عالٍ مزوق سمي بذلك اعتبارًا بكونه صرفًا عن الثواب أي خالصًا. اهـ من مفردات القرآن (ص ٤٨٢).

ويعمل من الآجر إذا أوقد عليه بعد أن يعمل لبنًا، قال تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨].

وقال الزجاج: الصرح كل بناء متسع مرتفع.

اهـ من زاد المسير (٦/٢٢٣).

ومعنى أسباب السماوات قيل: طرق السماوات، وقيل: أبوابها، وقيل: الأمور التي تستمسك بها السماوات.

وقال ابن جرير (٢٤/٦٥): فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال:

معناه: لعلِّي أبلغ من أسباب السماوات، أو أسبابًا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى، طرقًا كانت تلك الأسباب منها، أو أبوابًا، أو منازل، أو غير ذلك. اهـ.

فاطلع: أي فأنظر إلى معبود موسى الذي يزعم أنه في السماء.

وإنما صنع فرعون هذا الصنيع لا عن تصديق لموسى أن إلهه في السماء، أو حتى أن له إلهًا، وإنما صنع ذلك ليقرر لمن كان يعبده ويتبعه ما يدعيه ويزعمه أن لا إله غيره.

ولذلك عقبه بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٨].

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٧٩-٨٠):

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع: فرعون، وقد كان مُستيقنًا به في الباطن، كما قال له موسى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، ولهذا لما قال: وما رب العالمين؟ على وجه الإنكار له تجاهل العارف، قال له موسى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنِ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤-٢٨].

وقد زعم طائفة^(١) أن فرعون سأل موسى مُستفهمًا عن الماهية، وأنَّ المسؤول عنه لما لم تكن له ماهية عجز موسى عن الجواب! وهذا غلط. وإنما هذا استفهام إنكار وجحد، كما دل سائر آيات القرآن على أن فرعون كان جاحدًا لله نافيًا له، لم يكن مُثبتًا له طالبًا للعلم بماهيته.

(١) كابن الجوزي في «زاد المسير» (١٢٢/٦)، والشوكاني في «فتح القدير» (٩٦/٤).

فلهذا بيّن لهم موسى أنّه معروف، وأنّ آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يُسأل عنه بما هو؟ بل هو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يُجهل، بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من معرفة كل معروف.

ولم يُعرف عن أحد من الطوائف أنّه قال: إنّ العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال.

فإنّ الثنويّة من المجوس، والمانويّة، القائلين بالأصلين: النور والظلمة^(١) وأنّ العالم صدر عنهما: متفقون على أنّ النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود وأنّ الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة، هل هي قديمة أو محدثة؟ فلم يثبتوا رأيين متماثلين. اهـ

قوله: (ومحمد ﷺ صدق موسى، فأقر أن ربه فوق السماوات، فلما كان ليلة المعراج عرج به إلى الله، وفرض عليه ربه خمسين صلاة، وذكر أنّه رجع إلى موسى، وأنّ موسى قال: «ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك»، وهذا الحديث في الصحاح): رواه البخاري برقم (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر، وجاء عن مالك بن صعصعة رواه البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم برقم (١٦٤)، وجاء عن غير هذين الصحابييين وعند غير الشيخين، وسيأتي إن شاء الله الكلام على المعراج وألفاظ هذه الأحاديث هناك.

قوله: (فمن وافق فرعون):

في أن الله ليس في السماء.

(١) المراد بالنور «الله سبحانه وتعالى»، وبالظلمة «الشیطان»، انظر درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤٦).

قوله: (وخالف موسى ومحمدًا):

في قولهما، والوارد عنهما أن الله على السماء.

أما عن موسى فكما في الآية السابقة: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾

[غافر: ٣٦-٣٧].

فَيُفْقَهُمْ مِنْهَا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، وَكَذَا الْحَدِيثُ السَّابِقُ، وَأَمَّا الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ فَهِيَ جَاءَ عَنْهُ كَثِيرٌ جَدًّا، وَتَقْدَمُ بَعْضُهُ.

قوله: (فهو ضال):

وحسبه في الضلال أن سلفه فرعون، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

قوله: (ومن مثل الله بخلقه فهو ضال):

لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال ابن أبي العز (٢٥٧/١): فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المعطل المذموم.

قال نعيم بن حماد الخزازي رحمه الله: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما فيها وصف الله نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيهًا.

رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٩٣٦)،

وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو (ص ١٨٤).

وكذا قال إسحاق بن راهويه:

من وصف الله فشبهه بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم.

رواه اللالكائي برقم (٩٣٧)، وانظر مختصر العلو (ص ١٩١ - ١٩٢).

وقد تقدم الكلام على أيهما أولى التعبير بالتشبيه أم التمثيل.

جحد صفات الله كفر:

قوله: (ومن جحد^(١) ما وصف الله به نفسه فهو كافر):

والجحد عكس الإقرار قال الجوهري: الجحد الإنكار مع العلم^(٢)، فمن أنكر

شيئاً من صفات الله التي وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ فيما ثبت عنه،

فلا شك في كفره إلا أن يمنع مانع من تكفيره، وعند تنزيهه على المعين من جهل، أو

نسيان، أو خطأ، أو إكراه، أو تأويل سائغ.

قوله: (وليس ما وصف الله به نفسه، وما وصفه به رسوله تشبيهاً).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال الله: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كُنْ هَاجِيًا وَرَافِعًا﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَكْبَرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَهُمْ

بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ

(١) في المطبوع زيادة «شيئاً» وهو غلط كان أشكل علينا قبل العثور على المخطوط، لكن من باب الأمانة العلمية أبقيناه في تحقيق المتن المطبوع مفرداً.

(٢) راجع لسان العرب (١٨٢/٢).

الحكيم ﴿الزمر: ١﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]:

وهذا الآيات سردها المصنف تعزيزاً لقوله: بأن الله في السماء أي على السماء، وأن الله وصف نفسه بذلك.

ومعنى قوله تعالى: (ومن عنده): يعني الملائكة.

(لا يستكبرون): لا يأنفون.

والكبر: بطر الحق كما في صحيح مسلم برقم (٩١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ».

فهم لا يبطرون الحق الذي عليهم الله عز وجل من عبادته.

(ولا يستحسرون): أي لا يفترون ولا يملون ولا يكلون ولا يعيون ولا يتعبون ولا يرجعون ولا يضعفون.

راجع تفسير الطبري (١٧/ ١١-١٢)، والقرطبي (١١/ ٢٧٧-٢٧٨).

وبقية الكلام على ما ذكره المؤلف تقدم.

قوله: (فدل ذلك على أن الذين عنده قريبون إليه):

وهم ملائكته.

قوله: (وإن كانت المخلوقات تحت قدرته، فالقائل الذي قال: من لا يعتقد أن الله في السماء، إن أراد بذلك أن الله في جوف السماء فهو ضال؛ بحيث تحويه وتحيط به، فقد أخطأ، وإن أراد بذلك من لم يعتقد ما جاء في الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف

الأمّة، وأثمتها أن الله فوق السماوات، على عرشه، بائن من خلقه، فقد أصاب^(١)، فإنه من لم يعتقد ذلك يكون مكذباً للرسول ﷺ، متبعاً غير سبيل المؤمنين):

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قوله: (بل يكون في الحقيقة معطلاً لربه نافيًا له، فلا يكون في الحقيقة إله يعبد، ولا رب يسأله ويقصده، وهذا قول الجهمية ونحوهم من أتباع فرعون المعطل):

الجهمية:

الجهمية أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي السمرقندي الضال المبتدع قال الذهبي في الميزان (١/٢٢٦):

هلك في زمن صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً. اهـ.
وهو من الجبرية الخاصة، وهي أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال تحركت الشجرة، ودار الفلك، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك الله سبحانه؛ إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها هذا الفعل، وخلق له أداة الفعل، واختياراً منفرداً بذلك، كما خلق له طولاً وكان به طويلاً، ولوناً.

وظهرت بدعته بترمد، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية.

(١) وهذا المراد عند أهل السنة والجماعة عند الإطلاق في القول.

وهو تلميذ الجعد بن درهم أول من قال بخلق القرآن، وتعطيل صفات الله، وقد وافق الجهم لعنه الله المعتزلة في نفي صفات الله الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. ونفي أن يوصف الله بصفة يوصف بها خلقه لأنه عنده تشبيه. وقال بخلق القرآن، وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط.

وأن الجنة والنار تفتيان بعد دخول أهلها، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها، وتألم أهل النار بجحيمها.

وكان ينتحل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويحمل السلاح، ويقاات السلطان، ووافق المعتزلة في نفي رؤية الله.

وقال: من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده؛ لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد، فهو مؤمن، وقال الإيمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى عقد، وقول وعمل، وقال ولا يتفاضل أهله فيه؛ إيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط سواء، إذ المعارف لا تتفاضل. انتهى من الملل والنحل (١/ ٨٦-٨٨) للشهرستاني.

قال عبد القادر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٢١٢):

وكَفَّرَه أصحابنا في جميع ضلالاته، وكَفَّرَته القدريّة في قوله: بأن الله يرى خالق أعمال العباد فاتفق أصناف الأمة على تكفيره.

وراجع مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨).

والجهمية ينكرون الأسماء والصفات، ولا يصفون الله تعالى إلا بالنفي المجرد عن الإثبات، ويقولون: إن الله هو الموجود المطلق بشرط الإطلاق. اهـ. من مجموع فتاوى ابن عثيمين (٤/ ١٣٠).

والجهمية كفار قاله الدارمي في كتاب الجهمية (ص ٩٣) باب الاحتجاج في كفار الجهمية.

ثم قال: ناظرني رجل ببغداد منافحاً عن هؤلاء الجهمية، فقال لي بأية حجة تكفرون هؤلاء الجهمية، وقد نُهي عن تكفير أهل القبلة؟ بكتاب ناطق تكفرونهم؟ أم بأثر؟ أم بإجماع؟

فقلت: ما الجهمية عندنا من أهل القبلة، وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور، وأثر مأثور كفر مشهور... إلخ.

وتكفير الجهمية عليه عامة السلف، وهو الذي تؤيده الأدلة من الكتاب والسنة، أما ما ادعاه عبد القادر البغدادي من الإجماع على تكفيرهم، فغير صحيح، ولكنه قول الجمهور وهو الصحيح.

والبغدادي رحمه الله يتسرع في التكفير، وفي نقل الإجماع. وراجع مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٠-٣٥١)، فقد نقل خلافاً عن بعض أصحاب أحمد وغيرهم، وهذا التكفير يتنزل على الجهمية المحضة الذين ينكرون الصفات، ويقولون بخلق القرآن الكريم وينفون الرؤية.

ولفظ الجهمية قد يطلق على الأشاعرة، والماتريدية، والمعتزلة إطلاقاً عاماً، يراد من ينفي صفات الله، أو بعضها^(١)، ونحوهم كالمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية. قوله: (من أتباع فرعون المعطل):

(١) راجع حاشية الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٠١).

سبق تعريف التعطيل، وسماهم المصنف أتباع فرعون؛ لأنه أول من عطل في الصفات فيما نعلم؛ حيث نفي صفة العلو لله تعالى كما قال الله تعالى عنه: ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٧].

قوله: (والله قد فطر العباد):

والله قد فطر العباد: أي بدأهم وخلقهم وجبلهم.

العرب:

قوله: (عربهم):

العرب، والعرب: جيل من الناس معروف، يتكلم بالعربية التي أنزل بها القرآن الكريم وتكلم بها النبي ﷺ.

والعرب العاربة: هم الخلق منهم.

والمتعربة والمستعربة: دخلاء ليسوا بخلص، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن بدويًا.

والأعرابي: البدوي، وهم الأعراب، وجاء في الشعر الفصيح الأعراب. راجع لسان العرب (٩/ ١١٣) للفائدة.

قال ابن حزم رحمه الله في جمهرة أنساب العرب (ص ٧):

جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال، وهم: عدنان، وقحطان، وقضاعة.

فعدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك، إلا تسمية الآباء بينه وبين إسماعيل قد

جهلت جملة، ونتكلم في ذلك إن شاء الله بما يصح.

وأما قحطان فمختلف فيه من مولد من هو؟ فقوم قالوا: هو من ولد إسماعيل - عليه السلام - وهذا باطل بلا شك، إذ لو كانوا من ولد إسماعيل، لما خص رسول الله ﷺ بني العنبر بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بأن تعتق منهم عائشة.

وإذا كان عليها نذر عتق رقبة من بني إسماعيل، فصح بهذا أن العرب من ليس من ولد إسماعيل اهـ.

قلت ويؤيد أن في العرب من ليس من ولد إسماعيل ما رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٦٤) في قصة أم إسماعيل وإبراهيم الطويلة بعد خروج زمزم مرت بهم رفقة من جرهم، فاستأذنوا أم إسماعيل في النزول عندها ولفظه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ قِيْلَ ذَلِكَ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ، فَزَلُّوا، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَزَلُّوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الْغُلَامُ، وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ».

وفي هذا الحديث أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام إنما تعلم العربية منهم. وأما ما رواه الحاكم في المستدرک (٢/ ٦٥٠) عن ابن عباس قال: أول من نطق بالعربية، ووضع الكتاب على لفظه ومنطقه، ثم جعل كتاب واحدًا مثل بسم الله الرحمن الرحيم، حتى فرق بينه ولده إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما. فضعيف، في سنده عبد العزيز بن عمران قال الذهبي: واه.

وداود بن الحصين قال شيخنا مقل رحمة الله: قال أبو داود: أحاديثه عن شيوخه مستقيمة، وأحاديثه عن عكرمة مناكير. اهـ.

وروايته من هذا الحديث عن عكرمة قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٦٤): قوله: «تعلم العربية منهم» فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربياً.

وأما قول الحافظ: وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي، بإسناد حسن قال: أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل عليه السلام، وبهذا القيد يجمع بين الخبرين، فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان، لا الأولية المطلقة، فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة، فنطق بها اهـ من المرجع السابق.

فهذا غير صحيح، فهذا مبني على حديث ذكره ابن كثير في البداية (١/ ١٩٢) عن محمد بن علي بن الحسين، عن آبائه، عن النبي ﷺ: وعزاه في الدر المنثور برقم (٢٢٠٣٩) للشيرازي في الألقاب، وفي السند مسمع بن مالك لم أجده ترجمه.

قال ابن كثير في البداية (١/ ١٥٩): فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم الرسول ﷺ. اهـ.
قال الحافظ في الفتح: (٦/ ٦٢١):

وزعم الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل، وأنه قحطان بن الجميع بن تيم بن نبت بن إسماعيل عليه السلام، وهو ظاهر قول أبي هريرة المتقدم في قصة هاجر حيث قال وهو يخاطب الأنصار: «فتلك أمكم يا بني ماء السماء»^(١) هذا هو الذي يترجح في نقدي. اهـ.

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٥٨) ومسلم برقم (٢٣٧١).

وبوب البخاري في كتاب المناقب (٤) باب نسبة اليمن إلى إسماعيل انظر البخاري مع الفتح (٦/ ٦٢١-٦٢٣)، وكلام ابن حزم في الجوهرة (ص ٢٣٩) قال: واليمنية كلها راجعة إلى ولد قحطان.

العجم:

قوله: (وعجمهم):

والعجم والعجم خلاف العرب.

قال القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٦٨): والعجمي الذي ليس من العرب كان فصيحاً، أو غير فصيح، والأعجمي الذي لا يفصح كان من العرب، أو من العجم، فالأعجم ضد الفصيح، وهو الذي لا يبين كلامه، ويقال للحيوان غير الناطق أعجم. اهـ.

والأعجم: هو الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن كان عربي النسب، وأثناء عجماء. راجع لسان العرب (٩/ ٦٧).

ولشرف اللغة العربية شبه الناطق بغيرها بعدم الناطق، وأيهما أفضل العرب أم

العجم؟

ومن حيث الجملة جنس العرب أفضل من جنس العجم، أما من حيث التعيين

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فقد يكون رجلاً أعجمياً وهو خير عند الله من ملئ الأرض من بعض العرب

غير المؤمنين بكونه تقياً.

انظر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام (ص ١٥٠).

قوله: (على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو):
إذا دعوا الله دعاء مسألة اتجهت القلوب إلى الله، وأنه في العلو، وأن من يُدعى
أعلى.

قوله: (ولا يقصدونه تحت أرجلهم، ولهذا قال بعض العارفين):
كما تقول المعطلة: أن الله في كل مكان.

وتحت أرجلهم مكان؛ فيلزم من قولهم: أن الله في كل مكان أنه تحت أرجلهم
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾
[الكهف: ٥].

وقوله: (بعض العارفين): أي بالله عز وجل.

قال بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية (ص ٣٦٨):

وأما تسمية المسلم به - يعني عارف - فهو من بداوت الصوفية في مراتب
الطريق: سائر، عارف، واصل.

وأما وصف المؤمن به فإن شارح الطحاوية رحمه الله تعالى لما قال الطحاوي
رحمه الله: بعد أن لقوا الله عارفين. قال الشارح: لو قال المؤمنين بدل قوله: (عارفين)
كان أولى؛ لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر، وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم،
وقوله مردود باطل. اهـ.

وهذا العارف - على حد تعبيره - هو أبو جعفر الرازي قال لما حضر مجلس
الجويني وهو يقول: كان الله ولا عرش، وهو على ما عليه كان إطلاقاً من هذا المعنى،
فقال: يا شيخ دعنا من ذكر العرش، أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا

فإنه ما قال عارف قط يا الله، إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، ولا يلتفت يمناً ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟

قال: فصرخ أبو المعالي ولطم على رأسه، وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني. كما في كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٦٧/١) بتحقيق محمد سالم رشاد.

قوله: (لم يقل عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه أن يتحرك لسانه يعني يطلب العلو ولا يلتفت يمناً ولا يسرة):

تمتته: فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال فصرخ أبو المعالي، ولطم على رأسه وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني اهـ.

قوله: (والقائل الذي يقول: إن الله لا ينحصر في مكان، إن أراد بذلك أن الله لا ينحصر في جوف المخلوقات، أو أنه لا يحتاج إلى شيء منها فقد أصاب):

ومع هذا فالأولى الترك في مثل هذه الحالة؛ لأن العبارة موهمة، ولم ترد عن السلف الكرام رحمهم الله.

قوله: (وإن أراد أن الله ليس فوق السماوات، ولا هو على العرش، وليس هناك إله يعبد، ومحمد ﷺ لم يعرج به إلى الله، فهذا جهمي فرعوني معطل).

ومنشأ الضلال أن يظن الظان أن صفات الرب كصفات خلقه، فيظن أن الله سبحانه على عرشه كالملك المخلوق على سريرته، فهذا تمثيل وضلال):

ومن هنا فكل معطل ممثل، وذلك أنه لا يعطل صفات الرب تبارك وتعالى حتى يمثلها بصفات المخلوق، ثم يريد التنزيه زعم، فيقع في التعطيل، فيجمع بين المحذورين.

قوله: (وذلك أن الملك مفتقر إلى سريرته، ولو زال سريرته لسقط، والله غني عن العرش وعن كل شيء):

قال الطحاوي رحمه الله: وهو مستغن عن العرش، وما دونه. اهـ.

قال ابن أبي العز رحمه الله في شرح الطحاوية (ص ٢٨٠-٢٨٢):

أما قوله: وهو مستغن عن العرش وما دونه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه للعرش لاستواءه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي، محيطاً به، حاملاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه.

فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟

فالرب تعالى أعظم شأنًا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عز وجل به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

ونفاة العلو أهل التعطيل، لو فصلوا بهذا التفصيل، هُتدوا إلى سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلُّوا عن سواء السبيل، والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله، لما سئل عن قوله

تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول^(١).

ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي ﷺ^(٢).

وأما قوله: «محيط بكل شيء وفوقه»، معناها: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء^(٣).

أما كونه محيطاً بكل شيء، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]، ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً﴾ [النساء: ١٢٦]، وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد: إحاطة

(١) صحيح، رواه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٢٨٠- ضمن عقائد السلف، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٨ برقم ٦٦٤)، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٨٠-١٨٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥ برقم ٨٦٧)، وفي الاعتقاد ص ١١٩- وأبونعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١).

(٢) ضعيف، رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٦٦٣)، وأبو عثمان الصابوني في: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٧٧-١٧٩)، وابن قدامة المقدسي في: إثبات صفة العلو برقم (٨٢)، وابن منده في: التوحيد برقم (٨٨٧)، وابن بطة في: الإبانة (٣/ رقم: ١٢٠)، والذهبي في العلو ص ٦٠-.

وفي سنده أبو كنانة محمد بن أشرس السلمي متهم، وعمير بن عبد المجيد الحنفي، الثقفني، مترجم في الجرح والتعديل (٦/ ٣٧٧)، ولسان الميزان، وغيرهما، وهو ضعيف.

عظمته، وسَعَةُ علمه وقدرته، وأَنَّها بالنسبة إلى عظمته كخردلة، كما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم^(١).

ومن المعلوم والله المثل الأعلى أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاطت قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها عالٍ عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصفٌ واصف؟! فلو شاء لقبض السموات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فإنه لا يتجدد به إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سمواته، أو يُدني إليه من يشاء من خلقه؟! فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره. انتهى بتصرف.

قوله: (وكل ما سواه فقير إليه):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

[فاطر: ١٥].

قال الطحاوي في عقيدته:

ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر وصار من أهل الحين.

والحين: الهلاك، فمن ظن أنه قد استغنى عن الله لحظة واحدة فقد كفر عياداً بالله تعالى.

قوله: (وهو حامل العرش وحملته):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

ولم أرى دليلاً على إثبات صفة الحمل لله تعالى أنه يحمل العرش والحملة للعرش.

قوله: (وعلوه لا يوجب افتقاره إليه، فإن الله قد جعل من المخلوقات عالياً وسافلاً، وجعل العالي غنياً عن السافل، كما جعل الهواء فوق الأرض وليس هو مفتقر إليها، وجعل السماء فوق الهواء وليست محتاجة إليه).

فالعلي الأعلى رب السماوات والأرض وما بينهما أولى أن يكون غنياً عن العرش، وسائر المخلوقات، وإن كان عالياً عليها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً):

قال الله جل في علاه: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [المتحنة: ٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

وقال الله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].

فالله الغني عن كل شيء، وكل شيء محتاج إليه.

قوله: (والأصل في هذا الباب أن كل ما ثبت في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وجب التصديق به):

قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وفي البخاري برقم (٦٦٣٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ».

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه
لعمري إن ذاك في القياس بدیع

لو كنت تحبه لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

قوله: (والأصل في هذا الباب أن كل ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجب التصديق به، مثل علو الرب، واستوائه على عرشه ونحو ذلك):

فالواجب في هذا الباب باب العقيدة والتوحيد وغيره من الأبواب تصديق وقبول كل ما جاء في كتاب الله عز وجل، وثبت عن رسول الله ﷺ، أو جاء عن أحدهما، مثل علو الرب، واستوائه على عرشه ونحو ذلك.

وصفات الله تعالى الثابتة في الكتاب أو السنة، أو فيهما معاً على فهم السلف الصالح.

تجنب الألفاظ المبتدعة

قوله: (وأما الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات):

تقدم الكلام على النفي والإثبات بما أغنى عن إعادته هنا.

قوله: (مثل قول القائل: في جهة، وهو متحيز، أو ليس بمتحيز، ونحوها من الألفاظ التي تنازع فيها الناس، فليس مع أحدهما نص لا عن الرسول، ولا عن الصحابة، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ولا أئمة المسلمين.

فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم: إن الله في جهة، ولا قال: ليس هو في جهة، ولا قال: هو متحيز، بل ولا قال: هو جسم أو جوهر، ولا قال: ليس بجسم ولا جوهر، فهذه الألفاظ ليست منصوطة في الكتاب ولا في السنة ولا الإجماع.

والناطقون بها قد يريدون معنى صحيحًا، وقد يريدون معنى فاسدًا، فمن أراد معنى صحيحًا موافق الكتاب والسنة كان ذلك مقبولًا منه، وإن أراد معنى فاسدًا مخالف الكتاب والسنة كان ذلك المعنى مردودًا عليه.

فإذا قال القائل: إن الله في جهة.

قيل: ماذا تريد بذلك؟ أتريد أنه سبحانه في جهة موجودة تحصره وتحيط به مثل أن يكون في جوف السماوات؟ أم تريد بالجهة أمرًا عدميًا؟ وهو فوق العالم، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات.

فإن أردت الجهة الوجودية، وجعلت الله محصورًا في المخلوقات، فهذا باطل.

وإن أردت الجهة العدمية، وأردت أن الله وحده فوق المخلوقات بائن عنها،

فهذا حق.

وليس في ذلك أن شيئاً من المخلوقات حصره ولا أحاط به ولا علا عليه العالي، بل هو العالي المحيط بها):
قد نقل المؤلف في هذا تفصيلاً شافياً.

ولادليل على إثبات اسم العالي لله تعالى، ولكن الثابت اسم العلي لله تعالى، وهذا من باب الأخبار الواردة، واسم العلي قد تقدم، وكذا المحيط.

قوله: (وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]):

أي وما عظموا الله حق تعظيمه، فيعرفون كمال صفاته وأسمائه، فيعبده وينزهوه عما لا يليق به، وهو سبحانه وتعالى يقبض الأرض يوم القيامة كلها، وكذا جميع السماوات مطويات بيمينه تبارك وتعالى، ومع هذا هم يعطلون صفات الرب تبارك وتعالى، أو يشركون، سبحانه وتعالى عما يشركون.

وفي الآية إثبات القبض والطّي لله تعالى، وهما صفتان فعليتان ثابتتان بالكتاب والسنة لهذه الآية والحديث الآتي الذي ذكره المصنف.

قوله: (وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «أن الله يقبض الأرض يوم القيامة، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يهزّن فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»):

رواه البخاري برقم (٤٨١٢) وليس عنده يوم القيامة، ومسلم (٢٧٨٧) وهذا لفظه، وليس عندهما قوله: «ثم يهزّن»، لكنها جاءت في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبر من اليهود، فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يهزّن، ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، فلقد رأيت النبي ﷺ يضحك حتى

بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

رواه البخاري (٧٥١٣) ومسلم (٢٥٨٦).

وإن رغم أنف الزمخشري الخبيث، حيث قال في كشافه (١٤٣ / ٤):

وإنما ضحك أفصح العرب ﷺ وتعجب؛ لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك، ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك... إلخ. كلامه.

أف لك يا زمخشري أتعقل أن في هذا تجهيل للنبي ﷺ وسكوت عن المنكر إذا لم تكن هذه الصفات من صفات الله تعالى؟

قال إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد (١ / ١٧٨):

جل ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه، وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته خلقه، وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف خلقه، وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن يوصف الخالق البارئ بحضرتة بما ليس من صفاته، فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكًا تبدو نواجده تصديقًا لقائله، ولا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته. اهـ.

قوله: (وقد قال ابن عباس: «ما السماوات والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن كخردلة في يد أحدكم»):

حسن، رواه ابن جرير (٢٤ / ٢٥)، وعبدالله بن أحمد في السنة (ص ١٧٢).

قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار قال: ثنا معاذ بن هشام قال: ثني أبي عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس به.

وأبوالجوزاء: ثقة، يرسل كثيرًا، لكن قد روى له البخاري حديثًا واحدًا عن ابن عباس في الصحيح برقم (٤٨٥٩).
قوله: (وفي حديث آخر: «أنه يرميها كما ترمي الصبيان الكرة»):

ضعيف، هذه الرواية عند ابن جرير أيضًا (٢٤/٢٦) من طريق أسامة بن زيد، عن أبي حازم، عن عبد الله بن عمر: أنه رأى رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس، فمر بهذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، فقال رسول الله ﷺ: «يأخذ السماوات والأرضين السبع فيجعلها في كفه، ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة: أنا الله الواحد، أنا الله العزيز». حتى رأينا المنبر وإنه ليكاد أن يسقط به.

وهو ضعيف، فإن أباحازم وهو: سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر كما في «تهذيب التهذيب»، أضف إلى ذلك أن أصل الحديث رواه البخاري برقم (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨) وليس فيه هذا، مع اختلاف في السياق.
قوله: (فمن يكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته تعالى إلى هذا الصغر والحقارة

كيف تحيط به وتحصره؟):

قد دل على ما ذكره المصنف رحمه الله حديث ابن مسعود السابق آنفًا، وكذا حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري برقم (٧٤١٢) ومسلم (٢٧٨٧) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات يمينه، ثم يقول: أنا الملك».

وحديث ابن عمر المشار إليه قبل أسطر وغيرها من الأدلة، وقد تقدم في أثر ابن عباس «أن الكرسي موضع قدمي الرحمن»، وقد علمت أن الكرسي وسع السموات والأرض، فالله لا يحيط به شيء ولا يحصره.

الجهة والحيز:

قوله: (ومن قال إن الله بجهة قيل له: ما تريد بذلك؟):

لفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنة لا إثباتاً ولا نفيًا، وهو مما تنازع فيه المتأخرون، قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٤١ / ٣):

وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًا قبل، وإن أراد باطلاً رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقًا، ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك. اهـ

قلت: ولذلك فصل المصنف فيما يأتي وأورد سؤالاً على الناطق بلفظ الجهة، فإن أراد المعنى الباطل وهو الذي بدأ المصنف به رد.

قوله: (فإن أراد أنه):

يعني الله عز وجل.

قوله: (ليس فوق السماوات رب يعبد، ولا على العرش إله، ومحمد ﷺ لم يعرج به إلى الله، والأيدي لا ترفع إلى الله في الدعاء، ولا تتوجه القلوب إليه فهذا فرعوني معطل جاحد لرب العالمين):

يعني من حيث أن فرعون لعنه الله نفى كون الله فوق السماء وعطل علو الله تعالى كما ذكر الله تعالى عنه بقوله: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، وقد تقدم ذكر هذا.

قوله: (وإن كان يعتقد أنه مقرب به، فهو جاهل متناقض في كلامه):

أي إن اعتقد أنه معترف بوجود الله فكلامه الأول وهو نفيه للجهة على ما ذكر المصنف ينقض اعترافه وإقراره بالله؛ إذ لو أقر به حقيقة لأثبت علو الله على عرشه وفوق سماواته، وأنه يعبد، وإليه عرج بالنبى ﷺ.

قوله: (ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد):

أي من حيث نفيهم لعلو الله ومباينته لخلقه.

قوله: (وقالوا: إن الله في كل مكان، وإن وجود المخلوقات هو وجود الخالق):

قد تقدم الكلام في صفة العلو، وأقوال الناس في ذلك.

قوله: (وإن قال: مرادي بقوله إنه ليس في جهة أنه لا تحوط به المخلوقات، بل هو

وجود الخالق، فقد أصاب في هذا المعنى):

وهذا هو المعنى الحق الذي إن أرادته القائل قبل.

قوله: (وكذلك من قال: إن الله متحيزًا، أو قال: ليس بمتحيز):

أي كذلك إن أراد معنى حقًا قبل منه بعد تبين ما أراد بقوله، وإن أراد معنى باطلاً

وقوله: (وإن أراد بقوله متحيزاً أن المخلوقات تحوزه، أو تحيط به فقد أخطأ، وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات بآئن عنها عال فقد أصاب، ومن قال: ليس بمتحيز إن أراد أن المخلوقات لا تحوزه فقد أصاب. وإن أراد أنه ليس مبايناً عنها بل هو لا داخل العالم ولا خارج عنها فقد أخطأ):

الحلولية والاتحادية:

قوله: (والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف):

أي باب علو الله ومباينته لخلقه أقسام ثلاثة وهذا من حيث الإجمال، وإلا فقد تقدم أن ذكرنا تسعة أقسام.

قوله: (أهل الحلول):

مذهب الحلول: القول بأن الله حال في كل شيء.

وهذا المذهب ليس محصوراً في فرقة أو طائفة من الناس، وأول من قال بالحلول هم النسطورية من النصارى حيث قالوا: إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء.

ثم انتقل هذا القول إلى الرافضة في زمن المأمون حيث قالوا: إن الله حل بعلي بن أبي طالب. انظر مجموع الفتاوى (٢/ ١٧١).

قوله: (وأهل النفي والجحود):

وهم الجهمية، وقد تقدم الكلام عليهم.

وسيدكرهم المصنف بعد أسطر.

قوله: (وأهل الإيمان والتوحيد والسنة):

تقدم التعريف بهم؛ والكتاب مصنف في عقيدتهم ورد ما خالف معتقدهم.

قوله: (فأهل الحلول يقولون: إنه بذاته في كل مكان):

تقدم الكلام على الحلولية.

وتقدم الكلام على الجهمية، وقد قالت الجهمية: إن الله بذاته في كل مكان.

وقالت بقولهم الصوفية، وقد تقدم هذا.

قال شيخ الإسلام: وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار.

انتهى من مجموع الفتاوى (١٧١/٢).

قوله: (وقد يقولون بالاتحاد والوحدة فيقولون المخلوقات وجود الله):

الاتحاد هو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيران شيئاً واحداً كامتزاج الماء مع اللبن.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٧٢/٢):

الاتحاد العام وهو قول الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات وهؤلاء

أكفر من اليهود والنصارى.

ومن أئمة هؤلاء الحسين بن منصور الحلاج، وابن عربي، وابن سبعين،

والتلمساني وغيرهم، وكلهم من الصوفية.

وقولهم هذا هو قول وحدة الوجود، وبقي الاتحاد الخاص، وهو قول يعقوبية

النصارى القائلين إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء،

وبه قال بعض المنتسبين للإسلام.

انظر مجموع الفتاوى (٢/ ١٧٢).

وأيهما أشد خطرًا الحلول أم الاتحاد؟

كلاهما زيغ وكفر بالله، وكلاهما عقيدة نصرانية تسلفت إلى بعض الجهلة ممن انتسبوا للإسلام ففسدوها في المسلمين.

لكن الاتحاد أشد وأخطر؛ لأنه نفى لوجود الله بالكلية جعلوا كل موجود من حسن وقيح هو الله.

والحلولية أثبتوا الله ذاتًا منفصلة، لكن زعموا أنه في كل مكان فهم أخف ضررًا من الحلولية لا غير، وهذا لا يسوغ مذهبهم ولا يميزه كونهم أخف من أولئك قليلًا وأول من أعلن القول بالحلول هو الحلاج.

قوله: (وأما أهل النفي والجحود):

وهم معطلة الجهمية ونفاتهم وقول أكثر المعتزلة.

قوله: (فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا حال فيه، ولا فوق العالم ولا فيه، ولا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء، ولا يتقرب منه شيء ولا يبدنو منه، ولا يتجلى لشيء ولا يراه أحد، ونحو ذلك):

وهذا القول لا فرق بينه وبين العدم.

قوله: (وهذا قول متكلمة الجهمية المعطلة، كما أن الأول قول عباد الجهمية، فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئًا):

أي نُظَّارهم ومُتَكَلِّمُوهم وهم معطلة.

قوله: (وعباد الجهمية):

أي متصوفة الجهمية الذين يميلون للعبادة.

قوله: (يعبدون كل شيء، وكلامهم يرجع إلى التعطيل والجحود الذي هو قول

فرعون، وقد علم أن الله كان قبل أن يخلق السماوات والأرض، ثم خلقها):

لأدلة كثيرة في الباب منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا

ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ تَحْتِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا فِي

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ

سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مُقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

قال النووي في شرح مسلم (٤١٩/١٦):

قوله: وعرشه على الماء أي قبل خلق السموات والأرض. اهـ.

قوله: (فإما أن يكون داخلاً فيهما، وهذا حلول باطل، وإما أن لا يكون داخلاً فيه، وهو باطل وأبطل، وإما أن يكون الله بائنًا عنهم لم يدخل فيه، وهذا قول أهل الحق والتوحيد والسنة.

ولأهل الجحود والتعطيل في هذا الباب):

يعني باب العلو.

قوله: (شبهات يعارضون بها كتاب الله وسنة رسوله ق، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وما فطر الله عليه عباده):

أي خلقهم وجبلهم عليه.

قوله: (وما دلت عليه الدلائل العقلية، فإن الأدلة كلها متفقة على أن الله فوق مخلوقاته عال عليها):

قد تقدمت الأدلة على ذلك.

والمصنف هنا استطرد وأطال فلو اختصره قليلاً لكان أحسن؛ لأنه ذكر أنه اختصر.

الفطرة تدل على علو الله:

قوله: (قد فطر الله على ذلك المعجائز):

أي كبار السن.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٩٥-٩٦):

إن الله تعالى قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالحدود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه، ومن كماله المقدس شهادته على كل شيء وإطلاعه عليه بحيث لا يغيب عنه ذرة في السماوات ولا في الأرض باطنًا وظاهرًا، ومن هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره، ويجعلوا معه إلهًا آخر؟

وكيف يليق بكمال أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويُعلي شأنه ويحجب دعوته ويهلك عدوه، ويظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب عليه مفترٍ؟!

ومعلوم أن شهادته سبحانه على كل شيء وقدرته وحكمته وعزته وكمال المقدس يأبى ذلك، ومن جوز ذلك فهو من أبعد الناس عن معرفته.

والقرآن مملوء من هذه الطريق، وهي طريق الخواص، يستدلون بالله على أفعاله وما يليق به أن يفعل ولا يفعله. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]، وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله.

ويستدل أيضًا بأسمائه وصفاته على وحدانيته وعلى بطلان الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، وأضعاف ذلك في القرآن.

وهذه الطريق قليل سالكها، لا يهتدي إليها إلا الخواص، وطريقة الجمهور الاستدلال بالآيات المشاهدة، لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله سبحانه يفضل بعض خلقه على بعض.

فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه الدليل والمدلول عليه. والشاهد والمشهود له، قال تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

قوله: (والأعراب):

من سكن البادية من العرب.

قوله: (والصبيان):

الأطفال.

قوله: (في الكتاب):

قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

قوله: (كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «كل مولود يولد على الفطرة - أي فطرة الإسلام - فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج بهمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبوهريرة: اقرؤا إن شئتم: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾):

رواه مسلم برقم (٢٦٥٨)، والبخاري برقم (١٣٥٨) وليس عنده «اقرؤا إن شئتم» وأول الحديث عندهما «ما من مولود».

والجملة المعترضة (إن فطرة الإسلام) هي من كلام المصنف لا من الحديث.
 والمعنى قال النووي في شرح مسلم (١٦ / ٤٢٤): والأصح أن معناه: أن كل مولود يولد متهيأ للإسلام، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا، وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا، وهذا معنى يهودانه وينصرانه ويمجسانه.

أي يحكم له بحكمهما في الدنيا، فإن بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما، فإن كانت سبقت له سعادة أسلم وإلا مات على كفره، وإن مات قبل بلوغه فهل هو من أهل الجنة أم النار؟ أم يتوقف فيه؟ ففيه المذاهب الثلاثة السابقة قريباً الأصح أنه من أهل الجنة.

وقوله: (جمعاء): بالمد أي مجتمعت الأعضاء سليمة من نقص لا توجد فيها جدعاء بالمد وهي مقطوعة الأذن، أو غيرها من الأعضاء.
 ومعناه أن البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها يحدث فيها الجذع والنقص بعد ولادتها. اهـ.

قوله: (وهذا معنى قول عمر بن عبدالعزيز: عليك بدين الأعراب والصبيان في الكتاب):

ضعيف، رواه الدارمي برقم (٣١٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٢٥٠) عن جعفر بن برقان عن عمر بن عبد العزيز قال: سأله رجل عن شيء من الأهواء؟ فقال: عليك بدين الأعرابي والغلام في الكتاب، والة عما سوى ذلك.

وهو ضعيف، جعفر لم يدرك عمر.

قوله: (يعني عليك بما فطرهم الله عليه، فإن الله فطرهم على الحق، والرسول بُعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها، لا بتحويل الفطرة وتغييرها).

وأما أعداء الرسل كالجهمية الفرعونية ونحوهم فيريدون أن يغيروا فطرة الله ودين الله، ويوردون على الناس شبهات):

أي أنهم يذكرون للناس ما فيه لبس حتى يخطئون الحق بالباطل والسنة بالبدعة. قوله: (بكلمات متشابهات لا يفهم كثير من الناس مقصودهم ولا يحسن أن يجيئهم): أي من العامة، أما العلماء وطلبة العلم فهم أعرف الناس بذلك.

أصل ضلال المبتدعة:

قوله: (وأصل ضلالهم تكلمهم بكلمات مجملة لا أصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا قالها أحد من أئمة المسلمين كلفظ التحيز والجهة ونحو ذلك):

تقدم تفصيل المصنف في إطلاق هذه الألفاظ تنزلاً مع قائلها، وإلا فالبعد عنها أولى وأسلم.

قوله: (فمن كان عارفاً بحال شبهاتهم بينها):

أي ردها بالأدلة وكشف تلبسهم فيها.

قوله: (ومن لم يكن عارفاً بذلك فليعرض عن كلامهم):

هذا هو الحق الإعراض عن المبتدعة دراسة، ولقاء، وعدم سماع كلامهم، وبغضهم، والتحذير منهم، وجرهم وتبيين بدعهم وباطلهم للناس، وكل هذا إجماع من السلف.

قوله: (ولا يقبل إلا ما جاء في الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]):

معنى الآية: إن أبصرت الذين يلجون في آيات الله بالرد والاستهزاء والتعطيل ونحوه، فلا تجالسهم وقم عنهم وابتعد حتى يدخلوا في كلام آخر ليس فيه محذور شرعي، وإلا فلا يجوز الجلوس معهم.

شبهة أن السماء قبلة الدعاء وجوابها:

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٢٩٢-٢٩٣):

وأجيب عن هذا الاعتراض من وجوه:

أحدها: أن قولكم: إن السماء قبلة للدعاء، لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، وكان النبي ﷺ يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة،^(١) فمن قال: إن للدعاء

(١) وقد ألفت كتب في رفع الأيدي في الدعاء.

قبلة غير قبلة الصلاة، أو إن له قبلتين: إحداهما الكعبة والأخرى السماء، فقد ابتدع في الدين، وخالف جماعة المسلمين.

الثالث: أن القبلة: هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح، وكما يوجه المحتضر والمدفون، ولذلك سميت وجهة، والاستقبال خلاف الاستدبار، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازًا، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازًا، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه، بل نهوا عن ذلك.

ومعلوم أن التوجه بالقلب، واللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري، يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل، وأكثر ما يفعله المضطر والمستغيث بالله، كما فطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة، وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز في الفطر، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

وأما النقض بوضع الجهة فما أفسده من نقض، فإن واضع الجهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا أن يميل إليه إذ هو تحته! هذا لا يخطر في قلب ساجد. لكن يحكى عن بشر المريسي أنه سُمع وهو يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل!! تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا. وإن من أفضى به النفي إلى هذه

الحال حريٌّ أن يتزندق، إن لم يتداركه الله برحمته، وبعيد من مثله الصلاح، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، فمن لم يطلب الاهتداء من مظانه يعاقب بالحرمان. نسأل الله العفو والعافية.

ذم المتكلمة

قوله: (ومن تكلم في الله وأسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة فهو من الخائضين في آيات الله في الباطل).

وكثير من هؤلاء ينسب إلى أئمة المسلمين ما لم يقولوه، فينسبون إلى الشافعي وأحمد بن حنبل ومالك وأبي حنيفة الاعتقادات الباطلة مما لم يقولوه ويقولون لمن اتبعهم: هذا الذي يقوله اعتقاد الإمام الفلاني، فإذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة، تبين كذبهم في ذلك فيما ينقلونه عن النبي ﷺ، ويضيفونه إلى سنته من البدع والأقوال الباطلة.

ومنهم من إذا طولب بتحقيق نقله يقول: هذا القول قاله العلماء والإمام الفلاني لا يخالف العقلاء، ويكون العقلاء طائفة من أهل الكلام الذين ذمهم الأئمة، فقد قال الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام).

صحيح، رواه البيهقي في "مناقب الشافعي" (١/٤٦٢)، والخطيب في "شرف أصحاب الحديث" (ص ٧٨)، وأبونعيم في "الحلية" (٩/١١٦).

وهو صحيح وستأتي أنفاً إن شاء الله ترجمة الشافعي.

قوله: (فإذا كان هذا حكمه فيمن أعرض عنها فكيف حكمه فيمن عارضها بغيرهما؟):

يكون حكمه أنكى وأشد.

قوله: (وكذلك قال أبو يوسف القاضي: من طلب الدين بالكلام ترندق):

رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث برقم (٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٣٠٥) من طريق بشر بن الوليد الكندي قال: سمعت أبا يوسف فذكره.

وبشر حسن الحديث، فالأثر حسن.

والقاضي أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي.

تلميذ أبي حنيفة ورفيقه في المذهب الحنفي والرأي، إلا أنه أحسن منه في الحديث وكان فقيهاً وصدوقاً في الحديث. انظر "السير" (٨ / ٥٣٥ - ٥٣٩).

ومعنى هذا الأثر أن من أراد معرفة أحكام الدين بعلم الفلسفة والمنطق ونحوهما مما ليس بأية، ولا حديث، ولا قول أحد من السلف، تزندق.

والزندقة: كلمة فارسية معربة وتطلق على الملحد. انظر "لسان العربي" (٦ / ٢١ - ٩٢).

قوله: (وكذلك قال أحمد بن حنبل: ما ارتدى بالكلام فأفلق):

رواه ابن بطة في الإبانة (٢ / ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠) تحقيق رضا بن غسان معطي من طرق نحوه.

قوله: (وقال: علماء الكلام زنادقة):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٦ / ٢٤٣ - ٢٤٤): ولهذا كان السلف والأئمة يعيبون كلامهم هذا، ويذمونهم، ويقولون: من طلب العلم بالكلام تزندق؛ كما قال أبو يوسف، ويروى عن مالك، ويقول الشافعي:

حكمى في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: علماء الكلام زنادقة، وما ارتدى أحد بالكلام فأفلح. وقد صدق الأئمة في ذلك فإنهم يبنون أمرهم على كلام مجمل؛ يروج على من لم يعرف حقيقته، فإذا اعتقد أنه حق، وتبين أنه مناقض للكتاب والسنة، بقى في قلبه مرض، ونفاق، وريب، وشك، بل طعن فيما جاء به الرسول، وهذه هي الزندقة.

وهو كلام باطل من جهة العقل، كما قال بعض السلف: العلم بالكلام هو الجهل. فهم يظنون أن معهم عقليات، وإنما معهم جهليات: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، هذا هو الجهل المركب؛ لأنهم كانوا في شك وحيرة، فهم في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكدرها ومن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نور، أين هؤلاء من نور القرآن والإيمان، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]. اهـ

خطورة القراءة في كتب أهل البدع

قوله: (وكثير من هؤلاء قرأوا كتباً من كتب الكلام فيها شبهات أضلتهم، ولم يهتدوا لجوابهم، فإنهم يجدون في تلك الكتب أن الله لو كان فوق الخلق للزم التجسيم والتحيز والجهة، وهم لا يعرفون حقائق هذه الألفاظ ولا ما أراد بها أصحابها.

فإن ذكر لفظ الجسم في أسماء الله وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها، ولم يقل أحد منهم إن الله جسم ولا إن الله ليس بجسم، ولا إن الله جوهر ولا أن الله ليس بجوهر، ولفظ الجسم لفظ مجمل ومعناه في اللغة البدن.

ومن قال: إن الله مثل بدن الإنسان فهو مفترٍ على الله، بل من قال: إن الله يماثل شيئاً من المخلوقات فهو مفترٍ على الله.

بل من قال: إن الله ليس بجسم وأراد أنه لا يماثل شيئاً من المخلوقات فالمعنى صحيح، وإن كان اللفظ بدعة.

وأما من قال: إن الله ليس بجسم وأراد بذلك أنه لا يرى في الآخرة وأنه لم يتكلم بالقرآن العربي، بل القرآن العربي مخلوق، أو هو تصنيف جبريل ونحو ذلك، فهو مفترٍ على الله فيما نفاه عنه، وهذا أصل ضلال الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم على مذهبهم):

أي من المعطلة سواء كان تعطيلاً كلياً أم جزئياً.

قوله: (فإنهم يظهرون للناس التنزيه، وحقيقة كلامهم التعطيل؛ فيقولون: نحن لا نجسم بل نقول: إن الله ليس بجسم، ومرادهم بذلك نفي حقيقة أسمائه وصفاته فيقولون: ليس لله علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا كلام، ولا سمع، ولا بصر، ولا يُرى في الآخرة، ولا عرج بالنبي ﷺ، ولا ينزل منه شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يتجلى لشيء، ولا يقرب منه شيء إلى غير ذلك):

تقدم نحو هذا الكلام قريباً، وتقدم في الشرح ما يغني عن إعادة شرحه هنا عدا صفة الكلام، وسيأتي إن شاء الله الكلام عليها في موضعه.

قوله: (وهو سبحانه لا مثل له في صفات كماله، بل هو الأحد الصمد ولم يكن له كفواً أحد، فالمعطل يعبد عدمًا، والممثل يعبد صتمًا، والمعطل أعمى):

الأعمى هو فاقد البصر بالكلية.

قوله: (والممثل أعشى):

العشا: سوء البصر من غير عمى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل. راجع لسان

العرب (٢٢٥/٩).

الحق بين الغلو والجفاء

قوله: (ودين الله بين الغالي فيه):

والغلو مذموم، ففي صحيح مسلم (٢٦٧٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا.

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَكِنْ يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ».

والغلو هو التعمق في الدين والشدة وتكلف ما ليس منه.

قوله: (والجافي عنه):

المفارق له والمبتعد عنه أو غير المبالي به، وهذا أيضًا مذموم قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]

أي خذوا الدين من جميع جوانبه.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والأمانة هنا الدين في قول الجمهور وهو الذي تؤيده الأدلة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

رواه البخاري برقم (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

فدين الله وشريعته وسط بين غلو الغلاة وبعدهم الجفاة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدلاً خياراً، والعدل الخيار لا يكون غالباً ولا جافياً، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقَالَ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟

فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، وَأُمَّتُهُ؛ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ.
رواه البخاري برقم (٤٤٨٧).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

قوله: (وكما أن ذاته ليست كالذوات المخلوقة، وصفاته ليست كالصفات المخلوقة، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال، منزّه عن كل نقص وعيب، وهو سبحانه في صفات الكمال لا يباثله شيء، ومذهبنا مذهب السلف):

المذهب المعتقد الذي يذهب إليه. انتهى من لسان العرب (٦٦/٥).

فالمصنف رحمه الله لم يكن على مذهب من المذاهب الأربعة المعروفة، لكنه كان على الكتاب والسنة وطريقة واعتقاد السلف الصالح أصحاب القرون المفضلة زمناً كان منه قبل تمسكه بعقيدة السلف فقد رجع عنه ويرجع لترجمته في أول الكتاب.

قوله: (إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل):

تقدم معنى التشبيه والتعطيل في أول الكتاب.

قوله: (وهو مذهب أئمة الإسلام):

طريقة واعتقاد كبار علماء المسلمين الذين هم قدوة، وهم وأمثالهم الذين أمرنا الله عز وجل أن نتبع الكتاب والسنة على فهمهم.

قوله: (كمالك):

هو شيخ الإسلام إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة، وهو حميد الأصغر الحميري ثم الأصبحي المدني حليف بني تميم من قريش فهم حلفاء عثمان أخي طلحة بن عبيد الله أحد العشرة.

ولد سنة ثلاثة وتسعين على الأصح، وطلب العلم وهو حدث ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله واحد وعشرين سنة، وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وازدهوا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات، وروى عنه خلق كثير جدًا.

وعرف بشدة تمسكه بالسنة وحربه لمن خالفها، وبقوة علمه في الحديث والفقه.

وترجمته حافلة بالفضائل والأقوال الطيبة والحكم والآثار، توفي سنة (١٧٩) عن

عمر بلغ ستة وثمانين سنة.

انظر "سير أعلام النبلاء" (٨/ ٤٨ - ١٣٥).

قوله: (والشافعي):

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب الإمام عالم العصر ناصر السنة فقيه الملة القرشي ثم المطلبية.

ولد سنة (١٥٠) بغزة ومات أبوه شاباً، فنشأ الشافعي في حجر أمه يتيمًا، فانتقلت به إلى مكة وله عامان من العمر، وارتحل وهو ابن نيف وعشرين سنة طلب العلم بعد أن أخذ العلم عن جماعة من أهل مكة.

وكان ذا عقل راجح وعلم راسخ في الحديث والفقه وأصوله واللغة وغيرها وله العديد من المصنفات النافعة.

مات رحمه الله سنة (٢٠٤). انظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥-٩٩).

قوله: (والثوري):

هو هو شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ولد سنة (٩٧) طلب العلم وهو حدث باعتهاء والده المحدث الصادق سعيد بن مسروق الثوري، وروى عن جماعة كثيرة من العلماء، وأما الرواة عنه فخلق كثير جدًا.

ومات سنة (١٦١).

انظر "سير أعلام النبلاء" (٧/ ٢٢٩-٢٧٩).

قوله: (والأوزاعي):

هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، كان يسكن بمحلة الأوزاع وهي العقبة الصغيرة ظاهر باب الغراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات.

وقيل كان مولده ببعلبك ولد سنة (٨٨)، وهو من الرواة المشاهير والأعلام في الحديث، ومات سنة (١٥٧).

انظر سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧-١٣٤).

قوله: (وابن المبارك):

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته.

مولاهم التركي، ثم المروزي الحافظ الغازي أحد الأعلام وحفاظ الإسلام.

ولد سنة (١٢٨) جمع خصال الخير، حتى قيل: لم يسبقه أصحاب محمد ﷺ إلا بفضل الصحبة.

طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، روى وصنف وحدث، وفيه قال عمار بن الحسن:

إذا سار عبدالله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجهاها

إذا ذكر الأخبار في كل بلدة فهم أنجم فيها وأنت هلالها
وكان شديدًا على المبتدعة حتى إنه ذكر جهنم عنده فقال:

عجبت لشیطان أتى الناس داعيًا إلى النار واشتق اسمه من جهنم
مات سنة (١٨١).

انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٦-٣٧١).

قوله: (والإمام أحمد):

هو الإمام حقًا وشیخ الإسلام صدقًا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال
بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن
مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
الذهلي الشيباني المروزي، ثم البغدادي أحد الأئمة الأعلام.

ولد سنة (١٦٤) مات أبوه شابًا ووليته أمه.

قال علي بن المديني: حفظ الله الإسلام برجلين بأبي بكر أيام الردة، والإمام أحمد
أيام الفتنة، وهي القول بخلق القرآن.

وقد ثبت فيها ثبوت الجبال الرواسي، وقال كلمة الحق بعزيمة ورياسة جأش ولم
يخش في الله لومة لائم، رحل في طلب العلم وصنف المصنفات ومن أجلها ديوان
السنة مسند أحمد.

كان زاهدًا، ورعًا، إمامًا في الحديث والفقه والسنة لا تكاد تشيع من القراءة
ترجمته وسيرته العطرة.

روى عنه الخلق الذين لا يحصيهم إلا الله، ولا يذكر عند مسلم منصف إلا وجد الراحة والطمأنينة له.

مات سنة (٢٤١).

انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧-٣٥٨).

قوله: (وإسحاق بن راهويه):

هو أبو يعقوب الإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ الإمام المجتهد.

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبدالله بن مطر بن عبيدالله بن غالب بن وارث بن عبيدالله بن عطية بن مرة بن كعب التميمي، ثم الحنظلي المروزي نزيل نيسابور.

ولد سنة (١٦١) وهو قرين أحمد بن حنبل مات سنة (٢٣٨).

انظر سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨-٣٨٣).

قوله: (وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم، كالفضيل بن عياض):

هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام التميمي اليربوعي الخراساني المجاور بحرم الله.

مات سنة (١٨٧) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٢-٣٩٠).

قوله: (وأبي سليمان الداراني):

هو الإمام الكبير زاهد العصر أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد، وقيل عبد الرحمن بن عطية، وقيل ابن عسكر العنسي الداراني.

ولد في حدود سنة (١٤٠) ومات سنة (٢٥٠).

انظر سير أعلام النبلاء (١٠ / ١٨٢ - ١٨٦).

قوله: (وسهل بن عبدالله التستري):

هو أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس التستري الصوفي الزاهد.

هو القائل لما سئل إلى متى يكتب الرجل الحديث؟

قال: حتى يموت ويصب حبره في قبره.

مات سنة (٢٨٣) وقيل عاش ثمانين سنة أو أكثر.

انظر سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٣٠ - ٣٣٣).

قوله: (وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين):

أصول الدين هي العقيدة والتوحيد.

قوله: (وكذلك أبو حنيفة رضي الله عنه):

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي مولى بني تميم الله بن ثعلبة،

ويقال: إنه من أبناء الفرس، ولد سنة (٢٨٠).

وهو رجل رائى مرجئ ليس من أهل السنة، قال الأوزاعي وسفيان: ما ولد في

الإسلام على هذه الأمة أشتم من أبي حنيفة. رواه عبدالله بن أحمد كما في السنة.

وعنده عن أبي إسحاق الفزاري قال: كان أبو حنيفة مرجئاً يرى السيف وكذا

عنده -أي عبدالله بن أحمد في السنة- أن أبا حنيفة استتيب في الإسلام مرتين.

وكذا عن سفيان الثوري قال: استتيب أبو حنيفة من كلام الزنادقة مراراً.

وكذا عن شعبة بن الحجاج أنه كان يلعن أبا حنيفة.

وكان أبو زرعة يقول: كان أبو حنيفة جهميّاً.

والوقعة في أبي حنيفة إجماع من العلماء في جميع الآفاق كما في الكامل (٢٤٧٦/٧) وهو ضعيف في الحديث.

ومسائله في الفقه غالبًا يخالف فيها الدليل، وكان يرى السيف فلا هو صاحب فقه ولا عقيدة صحيحة، ولا حديث ولا سلم في دينه، ولا هو بصاحب سنة ولا تغتر بما سوى ذلك.

مات سنة (١٥٠).

راجع نشر الصحيفة في ذكر الصحيح من أقوال أئمة الجرح والتعديل في أبي حنيفة لشيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله.

قوله: (فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء):

تقدم لنا قبل قليل أن أبا حنيفة من مرجئة الفقهاء.

وقد تقدم أيضًا الكلام على المرجئة.

وأيضًا ففي توحيد الربوبية يرى:

أن العقل موجب لمعرفة الله سبحانه وتعالى، وأن العبد مكلف بمجرد عقله بمعرفة الله سبحانه وتعالى ولو لم تبلغه الدعوة، وأن العبد إذا لم يوحد الله سبحانه وتعالى فهو غير معذور.

وهذا خلاف مذهب جمهور أهل السنة والجماعة من السلف الصالح، بل فالمتقرر من مذهبهم أن العقل وإن كان مدرکًا لمعرفة الله ولكنه غير موجب فلا تتم الحجة على العبد بمجرد عقله ما لم تبلغه دعوة الرسل دل على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

راجع أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص ٢٣١) للخميس.

قوله: (وهو الذي نطق به الكتاب والسنة.

قال الإمام أحمد:

لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصف به رسوله ﷺ، ولا نتجاوز

القرآن والحديث.

وهذا مذهب سائرهم):

أي: بقيتهم.

قوله: (فتتبع في ذلك سبيل السلف الماضين الذين هم أعلم الأمة بهذا الشأن نفياً

وإثباتاً، وهم أشد تعظيماً لله وتنزيهاً له عما لا يليق بحاله):

لم أر من قال بالحال لله، ولعله من باب الإخبار ومع ذلك فتركه أولى، وكان

أحرى أن يعبر بما عبر به من قبله من السلف أو العلماء.

قوله: (فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات، فيكون ردها من باب

تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يقال هي ألفاظ لا تعقل معانيها):

هذا رد على المعطلة القائلين بذلك.

قوله: (ولا يعرف المراد منها، فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون إلا أماني):

وهم اليهود، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

يُظَنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

قال ابن كثير رحمه الله (١ / ٣٠٥) في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٧٨] أي: لا يدرون ما فيه.

وقوله: ﴿أَمَانِي﴾ قال ابن عباس: إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً.
وقال ابن جرير: إنه الأشبه بالصواب.

قوله: (بل هي آيات بينات):

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

أي: آيات القرآن واضحات الدلالة والمعنى لا لبس فيها ولا غموض ولا إشكال لمن بَصَرَهُ الله.

قوله: (دالة على أشرف المعاني وأجلها، قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم):
وهم المؤمنون الذين حملوا القرآن على عهد الرسول ﷺ، وحملوه بعده، وإنما أعطي الحفظ هذه الأمة، وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم إلا نظراً فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه سوى الأنبياء، وهذا قول الحسن.
أهـ من "زاد المسير" (١٤١ / ٦).

قوله: (والإيمان إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك):
أي: في قلوب المؤمنين.

قوله: (فكان الباب عندهم بابًا واحدًا قد اطمأنت به قلوبهم كذلك، وسكنت إليه نفوسهم فأنسوا من صفات كماله ونعوت جلاله مما استوحش منه الجاهلون المعطلون):

أي: مما خاف وفرّق منه أولئك الجهلة المعطلون لصفات الله.

قوله: (وسكنت قلوبهم):

اطمأنت ورضيت وآمنت وصدقت.

علم الإعجاز والكلام

قوله: (إلى ما نفر منه الجاحدون المتكلمون):

إلى ما هرب وفر منه المكذبون من أهل الكلام وهم الطوائف الذين ارتضوا علم الكلام وقواعده الفلسفية منهجاً في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، ومن أشهر فرق المتكلمين الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية.

وعلم الكلام قال ابن خلدون: علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية. اهـ.

والأدلة العقلية التي يستدل بها المتكلمون هي الأقيسة والأصول الفلسفية، والشبهات التي سموها معقولات وعارضوا بها صحيح المنقول.

وكانت أول نشأة علم الكلام على يدي المعتزلة نتيجة مطالعتهم كتب الفلاسفة.

قال الشهرستاني في "الملل والنحل" (١/ ٣٠):

ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين انتشرت أيام المأمون فخلطت منهاجها بمناهج الكلام وأفردتها فناً من فنون العلم وسمتها باسم الكلام، وأما الآن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام فسمى النوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان. اهـ.

راجع منهج السلف والمتكلمين لجابر إدريس علي أمير (١/ ٤٧-٦١).

قلت: ونظير علم الكلام (والمنطق) في هذا العصر علم الإعجاز العلمي، ونظير أولئك المعتزلة الإخوان المسلمون اليوم، فإنهم أخذوا نظريات غريبة، أو أموراً عقلية وجعلوا يطبقونها في واقع الدين وليس لها علاقة بالدين، وربما حرفوا النصوص حتى توافق عقولهم السقيمة.

والفائدة الحاصلة من وراء هذا العلم هو صرف الناس عن تعلم ما ينفعهم من أمور دينهم والإقبال على هذه الخرافات والخزعبلات، فتجد الرجل -مثلاً- لا يحسن يصلي كما صلى رسول الله ﷺ فضلاً عن الحج والبيع والشراء وهو منهمك في علم الإعجاز.

والقرآن معجز بلا شك، ولسنا في صدد هذا لكن بصدد علم الإعجاز المزعوم، ولو أنهم صرفوا الناس لتعلم أمور دينهم، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً﴾ [النساء: ٦٦].

فما ادعاه الإخوان المسلمون إعجاز ما حصل لبعض المباني الإمبريكية من انفجار في (١١) شهر (٩) سبتمبر (٢٠٠٢) بالتاريخ الأفرنجي الغربي.

وقالوا هذا قد نطق به القرآن، فالله عز وجل يقول: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٠].

قالوا: الآية (١١٠) من التوبة وهي السورة التاسعة في الجزء الحادي عشر.

يا سبحان الله ما أسخف عقول هؤلاء، وما أجهلهم بالشرع، ولم تفسر هذه الآية إلا بهذا، وصدق القائل: كل إناء بما فيه ينضح.

وبما أقاموا خطبًا وجلسات واجتماعات، بل وجامعات لمثل هذا، وعلم الكلام فاسد لأمر أهمها:

الأول/ لم يرد به كتاب ولا سنة ولا فهم سلف.

الثاني/ بل أنكره السلف وأجمعوا على التحذير منه والتنفير عنه.

الثالث/ يعتبر صَدًا عن تعلم الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح.

الرابع/ مبناه نظريات وقواعد عقلية أكثرها قابل للنقض والبطلان.

الخامس/ إضاعة للوقت والعمر بدون جدوى.

السادس/ منتهى علماءهم الحيرة والشك، وقد تقدم شيء من ذلك.

قوله: (وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات فكذا صفاته لا تشبه الصفات، فما جاءهم من الصفات عن المعصوم تلقوه بالقبول وقابلوه بالمعرفة والإيمان والإقرار لعلمهم بأنه صفة من لا تشبيه لذاته ولا لصفاته):

وأيضًا ولا تعطيل.

قوله: (وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق لا تشابه بينهم في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات الحديث):

لم يثبت القديم اسمًا لله تعالى، ولكنه من باب الإخبار ويعني بالحديث المخلوق.

قوله: (وليس بين صفاته وصفات خلقه إلا موافقة اللفظ للفظ):

وذلك في الصفات التي وصف الله سبحانه وتعالى بها، ووصف بها المخلوق أما ما وصف الله به من صفات كماله ولم يتصف بها المخلوق أو اتصف بها المخلوق من صفاته اللاتئة بعجزه وضعفه فلا إشكال في ذلك.

قوله: (والله سبحانه وتعالى قد أخبر أن في الجنة لحماً):

قال تعالى: ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَأَمْدُ ذَنَابِهِمْ بِفَاحِهِمْ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢].

قوله: (ولبنًا وعسلًا وماءً):

قال تعالى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

قوله: (وحريًا وذهبًا):

قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

قوله: (وقال ابن عباس: ليس في الدنيا من الآخرة إلا الأسماء):

رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٦٦)، وهناد في الزهد برقم (٨٣)، وأبونعيم في صفة الجنة (١/ ١٦٠) من طريق الأعمش، عن أبي طبيان، عن ابن عباس به موقوفًا، لكن لفظة: «الجنة» بدل على الآخرة.

وسنده صحيح على شرط البخاري.

الجمع بين صفات للخالق وهي للمخلوق ولا يلزم المماثلة

قوله: (فإذا كانت هذه المخلوقات الفانية ليست مثل هذه الموجودة مع اتفاقها في الأسماء فالخالق جلا وعلا أعظم علوًا، وأعلى مباينة لخلقه من مباينة المخلوق للخالق، وإن اتفقت الأسماء.

وأيضًا فقد سمي الله سبحانه نفسه حيًا عليًا سميعًا بصيرًا ملكًا رؤوفًا رحيمًا):

تقدمت هذه الأسماء، وشرحها.

قوله: (وسمى بعض مخلوقاته حيًا، وبعضها عليًا، وبعضها سميعًا بصيرًا، وبعضها رؤوفًا رحيمًا، وليس الحي كالحَي، ولا العليم كالعليم، ولا السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير ولا الرؤوف الرحيم كالرؤوف الرحيم): وسيذكر المصنف الأدلة على ذلك.

فاتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات، وهذا الذي ذكره المصنف على سبيل المثال لا الحصر، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بصفات ووصف بها بعض مخلوقاته، فمن ذلك:

١ - القوة، وصف نفسه بالقوة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ووصف بها الإنسان، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: ٥٤].

٢ - المشيئة، وصف بها نفسه فقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴿التكوير: ٢٩﴾.

ووصف بها المخلوق، فقال تعالى: ﴿لَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨].

٣- الرضا، وصف به نفسه، فقال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

ووصفهم بها، فقال تعالى: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

٤- المناداة ووصف نفسه بها، فقال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ

الطُّورِ﴾ [مريم: ٥٢].

ووصفهم بها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ

الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: ٤].

٥- الغضب وصف به نفسه، فقال تعالى: ﴿أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ [النور: ٩].

ووصف بها بعض مخلوقاته، فقال تعالى عن موسى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ

غَضَبَانَ أَسْفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠].

راجع "التدمرية لشيخ الإسلام" (ص ٢١-٣١).

قوله: (قال تعالى: ﴿إِلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]):

تقدم معنى هذه الآية بها أغنى عن إعادته هنا.

قوله: (وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس:

: ٣١]):

قال ابن كثير (٢/٦٩٧): أي تخرج الحبة من الزرع والرزع من الحبة، والنخلة من النواة والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء. اهـ.

قوله: (وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ٢]):

تقدم معنى هذه الآية.

قوله: (وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]):

أي أخبروه بما يسره وهو مولود له.

قوله: (وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]):

تقدم معناها.

قوله: (وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]):

النطفة: هي المنى.

والأمشاج: هي الأخلاط من ماء الرجل وماء المرأة.

ونبتليه: أي نختبره.

قوله: (وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]):

تقدم معناها.

قوله: (وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]):

أي: لقد بعث الله إليكم، وأرسل رجلاً منكم، بَلِّغْتُمْ تعرفونه ونسبه.
عزیز علیه: أي يشق علیه.

ما عتتم: أي عنتكم وهو الجهد والمشقة.

حريص عليكم: أي مبالغ في هدايتكم ووصول النفع الدنيوي الأخروي إليكم.
انتهى من تفسير ابن كثير بتصرف.

قوله: (وليس بين صفة الخالق والمخلوق مشابهة إلا في اتفاق الاسم، وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وهذه سنة رسول الله ﷺ، وهذا كلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة قد دل ذلك بما هو نص):

النص لغة: الكشف والظهور، وهو الرفع إلى غاية ما ينبغي.

وفي اصطلاح الفقهاء والأصوليين: هو الصريح في معناه.

والصريح: هو الخالص في الدلالة عليه لا يشوبه احتمال دلالة على غيره. اهـ من

شرح مختصر روضة الناظر للطوفي بتصرف (١/٥٥٣-٥٥٤).

قال العمري رحمه الله:

والنص عرفاً كل لفظ وارد لم يحتمل إلا المعنى واحد

قوله: (أو ظاهر):

الظاهر: حقيقة الشاخص المرتفع.

واصطلاحاً: هو اللفظ المحتمل أموراً، وهو في أحدها أرجح.

وفي الاستعمال هو: اللفظ المحتمل معنيين فأكثر، وهو في أحدهما أظهر. اهـ

بتصرف من المرجع السابق (١/٥٥٨).

قوله: (في أن الله فوق العرش فوق السموات استوى على عرشه بائن من خلقه

سميع لا يشك بصير لا يرتاب):

تقدم الكلام على هذا ما عدا قول: (لا يشك، ولا يرتاب): وهما بمعنى؛ قال في المصباح المنير (ص ١٢٢): ومعنى الشك الارتياب ويستعمل الفعل لازماً ومتعدياً بالحرف فيقال: شك الأمر يشك شكاً إذا التبس.

قوله: (عليم لا يجهل):

تقد الكلام على هذا.

قوله: (جواد لا يبخل):

اسم «الجواد» لم يثبت لله سبحانه وتعالى وقد جاء عن جماعة:

١- حديث أبي ذر مرفوعاً، قال الله عز وجل: «ذلك بأني جواد ماجد». رواه أحمد (٥/ ١٥٤ و ١٧٧)، الترمذي برقم (٢٤٩٥)، وابن ماجه برقم (٤٢٥٧)، وهناد في «الزهد» (٩٠٥)، البيهقي في «الشعب» (٥/ ٤٠٦)، و«الأسماء والصفات» برقم (١١٢) من طريق شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن أبي ذر، فذكره. وشهر ضعيف، وذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٠٤) قال أبو حاتم وأبوزرعة: رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن شهر بن حوشب عن تبيع قوله: (قال: فكان هذا يدفع ذاك). اهـ

وتبيع هو الحميري، وعلي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف.

وأيضاً الحديث في «صحيح مسلم» برقم (٢٥٧٧) من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر، بدون ذكر هذا اللفظ.

٢- حديث ابن عباس، رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٢٨/٥-١٢٩) من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن الحجاج بن أرطاة عن طلحة بن مصرف عن كريب عن ابن عباس مرفوعاً، به.
ونوح: كذاب وضاع.

٣- من حديث سعد، عند الترمذي برقم (٢٧٩٩) من مراسيل سعيد بن المسيب، به.

ثم ذكره عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً مثله.
وفي سنده خالد بن إلياس، أو ابن إلياس: متروك، وأنكر عليه هذا الحديث، كما في «التهذيب».

٤- ورواه الدولابي في «الكنى» (١٦/٢) عن سعد.
وفي سنده أبو الطيب هارون بن محمد: ضعيف جداً.
٥- وللحديث شاهد ضعيف جداً من حديث أنس، رواه أبو يعلى في «مسنده» برقم (٢٧٩٠).

وفي سنده محمد بن إبراهيم الشامي متروك، وسويد بن عبدالعزيز لين.
٦- مرسل طلحة بن عبيدالله، رواه هناد في «الزهد» (٨٢٨)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٥٥) عن حجاج بن أرطاة عن سليمان بن سحيم عن طلحة بن عبيدالله بن كريب، مرسلًا: «إن الله جواد، يحب الجود».
وطلحة تابعي: ثقة، وحجاج: ضعيف ومدلس.
فالحديث ضعيف، ولم يثبت اسم الجواد لله.
قوله: (حفيظ):

اسم الحفيظ ثابت لله تعالى، قال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [سبأ: ٢١].

وهو بمعنى الحافظ، وقد تقدم الحافظ.

قوله: (لا ينسى):

قال الله جل في علاه: ﴿وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وهذا من الصفات السلبية التي نفيها عن الله تعالى.

قوله: (ولا يسهو):

قال ابن منظور في لسان العرب (٦/ ٤١٤):

السهو والسهوة: نسيان الشيء، والغفلة عنه، وذهاب القلب إلى غيره اهـ.
والله سبحانه منزّه عن ذلك.

قوله: (قريب):

تقدم الكلام عليه قريباً.

قوله: (لا يغفل):

قال الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦].

قال ابن جرير (٢/ ٢٤٤): وأصل الغفلة عن شيء تركه على وجه السهو عنه، والنسيان له، فأخبرهم تعالى ذكره أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة، ولا ساءه عنها، بل هو محص وحافظ لها. اهـ.

وهذا من الصفات المنفية عن الله.

قوله: (لا يلهو):

واللهو: قال ابن منظور في لسان العرب (١٢/٣٤٧): ما لهوت به، ولعبت به، وشغلك من هوى، وطرب، ونحوهما. اهـ.

والله عز وجل متنزه عن ذلك، فله المثل الأعلى.

قوله: (يتكلم):

سيأتي الكلام على صفة الكلام إن شاء الله في موضعه.

قوله: (ويسط):

صفة البسط وهي صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة.

قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

وفي صحيح مسلم (٢٧٥٩) عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وكذا اسم الباسط ثابت لله عز وجل لما روى أبو داود برقم (٣٤٥١) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسْعِرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ».

وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين لشيخنا مقبل الوادعي رحمه الله (١/٩٣)، وقال صحيح على شرط مسلم.

ومعنى يبسط: يوسع الرزق على من يشاء منهم، قاله ابن جرير (٥/ ٢٨٩).
قوله: (وينظر):

النظر صفة فعلية ثابتة لله تبارك وتعالى بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧].
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ آعَطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أُعْطِيتُ بِهَا كَذًّا وَكَذًّا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ»، ثُمَّ قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧].

رواه البخاري برقم (٢٣٥٨) ومسلم برقم (١٠٨).

وفي صحيح مسلم برقم (٢٥٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

وهي بمعنى الرؤية البصرية.

قوله: (ويضحك):

سيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على الضحك.

قوله: (ويفرح):

سيأتي الكلام على إثبات صفة الفرح.

قوله: (ويحب):

تقدم الكلام على صفة المحبة.

قوله: (ويكره):

تقدم الكلام على الكراهة.

قوله: (ويبغض): البغض صفة فعلية ثابتة لله تعالى بصحيح السنة.

ففي صحيح مسلم (٢٦٣٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تَوْضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

وعند مسلم برقم (٦٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا».

وهذه الصفة بمعنى الكراهة.

قوله: (ويسخط):

تقدم الكلام على صفة السخط لله تعالى فتراجع.

قوله: (ويرحم ويعفو ويغفر):

تقدم الكلام على هذه الصفات.

قوله: (ويعطي ويمنع):

العطاء والمنع صفتان ثابتتان لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ

الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]

وروى البخاري برقم (٨٤٤)، ومسلم (٤٧١) عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ».

وروى البخاري برقم (٣١١٦) عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي، وَأَنَا الْقَاسِمُ».

رواه مسلم برقم (١٠٣٧) بغير ذكر المعطي.

ومن هذا الحديث يثبت اسم المعطي لله تعالى.

قوله: (وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف يشاء):

سياق الكلام عنه إن شاء الله تعالى تخريجاً وشرحاً.

المعية

قوله: (وهو معهم أينما كانوا):

تقدم الكلام على المعية بما أغنى عن إعادته هنا.

قوله: (قال نعيم بن حماد لما سئل عن معنى هذه الآية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، معناها: أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه):

صحيح، قال الذهبي في العلو (ص ١٢٦):

قال محمد بن مخلد العطار: حدثنا الرمادي قال: سألت نعيم بن حماد عن قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فذكره وأسنده الألباني في مختصر العلو (ص ١٨٤).

ونعيم هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي أبو عبد الله المروزي ضعيف في الحديث على الصحيح مات سنة ٢٢٨.

قوله: (وليس معناه أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو بخلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق):
لأمرين:

أحدهما: لأنه لو كان مختلطاً بالخلق للزم أحد أمرين:

إما تعدد الخالق، أو تجزؤه، وكلاهما باطل، ومع ما في ذلك أيضاً فليس من كون الأشياء تحيط به وهو سبحانه محيط بالأشياء.

انتهى من شرح الواسطية للعثيمين، بتصرف (ص ٤٥٢).

ثانيهما: إذا كانت اللغة لا توجبه لم يتعين، وهذا أحد الوجوه الدالة على بطلان مذهب الحلولية من الجهة وغيرهم القائلين بأن الله مع خلقه مختلطاً بهم.

ولم يقل: لا تقتضيه اللغة؛ لأن اللغة قد تقتضيه، وفرق بين كون اللغة تقتضي ذلك، وبين كونها لا توجب ذلك.

فالمعية في اللغة قد تقتضي الاختلاط، مثل الماء واللبن تقول: ماء مع لبن مخلوطاً انتهى من المصدر السابق بحروفه.

قوله: (بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر والمقيم أينما كان): بل: للإضراب.

والآية: هي العلامة والدليل والبرهان، أي فهو دليل على وجود الله سبحانه وتعالى.

وآيات الله قسمان:

١- كونية كالقمر والشمس والنجوم.

٢- وشرعية وهي القرآن.

وكون هذا المخلوق الصغير القمر مع المسافرين مهما كثر المسافرون، وتباعدت أماكن سفرهم فهو مع كل واحد منهم، وليس في هذا تناقضاً، فكل مسافر يقول: سرنا والقمر معنا، وهكذا لا يقتضي اختلاطاً، فلتجري آيات المعية على ظاهرها، ويقال: إن الله معنا، ولا يقتضي حلولاً والله المثل الأعلى.

فالله سبحانه وتعالى على عرشه، فوق سمواته، بائن من خلقه، وهو معهم بعلمه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١٠٢].

فلا يلزم الاختلاط بهم فقد يكون بينهم دول، أو قارات ويجب أن تكون معهم ومثلها قوله تعالى: ﴿وَازْكُمُوا مَعَ الرَّائِغِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، أي ناصرًا ومعينًا.

راجع مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٦٢-٢٧٧).

وقد تبين أن لأهل السنة في المعية مذهبين:

الأول: أنها بمعنى العلم، وهو قول عامتهم، ومنهم نعيم بن حماد كما تقدم.

الثاني: أنها حقيقة على ظاهرها، ولا يعني ذلك من اختلاط، ومنهم ابن عثيمين. راجع شرح الواسطية للعثيمين (ص ٤٥٣-٤٥٤).

والمعية ثلاثة أقسام تقدمت.

قوله: (فهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه):

الرقيب: اسم ثابت لله تعالى، وكذا يوصف الله تعالى بأنه رقيب، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

ومعناه: قال في الكواشف الجليلة (ص ٥٢٠):

الرقيب: المطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم.

قال ابن القيم:

وهو الرقيب على الخواطر واللوا

وهو بمعنى الحافظ، وقد تقدم.

حظ كيف بالأفعال بالأركان

قوله: (مهيمن عليهم):

صفة الهيمنة، واسم المهيمن ثابتان لله تعالى، قال عز وجل: ﴿الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].
قال في الكواشف (ص ٥٢٠):

المهيمن الحافظ المتصرف فيهم.

وقال العثيمين (ص ٤٥٥): المهيمن أي حاكم مسيطر على عباده، فله الحكم وإليه يرجع الأمر كله، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. اهـ.
قوله: (ومطلع):

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩].
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في آخر تفسيره (ص ٩٤٨):
الشهيد أي مطلع على جميع الأشياء سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات؛ دقيقتها وجليها، وصغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه اهـ.
قوله: (وأخبر أنه):

أي أعلم سبحانه وتعالى في كتابه.

قوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ * تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣-٤].
أي صاحب المصاعد التي تصعد بها إلى السماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأصل المعارج الدرج، وهي مدرج إذا صعد.

فالمعارج: الطرائق التي يصعد فيها.

اهـ من زاد المسير. (٨/ ١١٦-١١٧) بتصرف.

فتصعد الملائكة والروح جبريل عليه السلام إلى الله تعالى.

قوله: (وَأَنَّهُ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]):

في هذه الآية إثبات صفة القهر لله تعالى، وهي صفة ذاتية ثابتة له تعالى، وكذا اسم القاهر، وهو الغالب الذي خضعت له المخلوقات وذلت لعزته وقوته وكمال قدرته. راجع كلام السعدي (ص ٩٤٧).

قوله: (وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَخَافُونَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ):

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

قال السعدي رحمه الله (ص ٤٤٢): لما مدحهم الله بكثرة الطاعة والخضوع له مدحهم بالخوف من الله؛ الذي هو فوقهم بالذات والقهر وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره اهـ.

قوله: (وهذا المعنى حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يسان عن الظنون الكاذبة):

قال شيخ الإسلام في الواسطية: مثل أن يظن أن ظاهر قوله في السماء أن السماء تقله أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان اهـ.

والظن خلاف اليقين هنا، وقد يأتي بمعنى اليقين، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

وقال الله جل في علاه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ

شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً عَلَبْتَ فَتَنَّهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿البقرة: ٢٤٩﴾، وغيرهما كثير.

قوله: (وقال تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]):
تقدم الكلام عليه، وسيأتي له مزيد إن شاء الله.

قوله: (وقال تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]):

الوسوسة: حديث النفس كما في تهذيب اللغة للأزهري نقلاً عن الليث.
قاله ابن كثير رحمه الله (٧/ ٣٢٨٨).

وقوله: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد إليه، ومن تأوله بالعلم فإنها فرثاً يلزم حلول أو إتحاد، وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥]، يعني ملائكته. اهـ.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في الوريد (ص ٨٠٥).

وهو العرق المكتنف لشجرة النحر. اهـ.

قوله: (وقال ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»):

الحديث رواه البخاري برقم (٦٣٨٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٤)، وهذا لفظه عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ».

وفي رواية لمسلم انفراد بها (٢٠٧٧ / ٤) «والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم».

قوله: (قال الله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]):
تقدم الكلام عليها.

قوله: (فكل ما في الكتاب والسنة من الأدلة على قرينة ومعينته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه عليٌّ في دونه):

اسم العلى ثابت لله، وقد تقدم في آية الكرسي، والدنو بمعنى القرب.
قوله: (وقريب في علوه):

سيأتي الكلام على اسم القريب، وما يتعلق به.

قوله: (و الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدًا، وذكرنا بعضها في الانتقاد الرجيح):

هو كتاب الانتقاد الرجيح بشرح الاعتقاد الصحيح.

قوله: (وفي الصحاح والسنن جميعًا، وقد أشار النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع، وفي آخر عمره إلى السماء يقول بإصبعه: «اللهم اشهد»):

هذا في حديث جابر المشهور في الحج رواه مسلم برقم (١٢١٨) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَدَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بِشَرِّ كَثِيرٍ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ أَضْنَعُ، قَالَ: «اغْتَسِلِي وَاسْتَنْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي»، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصَوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمَلْنَا بِهِ، فَأَهْلَ بِالتَّوْحِيدِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ».

وَأَهْلَ النَّاسِ بِهَذَا الَّذِي يُهْلُونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيَّتَهُ، قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحُجَّ لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ وَلَا أَعْلَمُهُ ذِكْرُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَزَقِي عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ

وَكَبَّرَهُ وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَرَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ».

ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهُدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً» فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشُمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْعَامِنَا هَذَا أَمْ لَا أَبَدٍ، فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ لَا بَلْ لِأَبَدٍ أَبَدٍ» وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ بَيْدَنُ النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ وَلَيْسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاسْتَحَلَّتْ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا.

قَالَ: فَكَانَ عَلَيَّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «صَدَقْتَ صَدَقْتُ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهَلَ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: «فَإِنَّ مَعِيَ الْهُدْيَ فَلَا تَحِلُّ» قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهُدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّروا إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنَى فَأَهْلُوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِبَحْرَةٍ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ كَمَا كَانَتْ

قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةٍ فَتَزَلَّ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقُضَاءِ فَرَجَلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتَهُ هَذَا، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أَضَعُ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ... الحديث.

قوله: (وفي الصحيحين قصة المعراج، وهي متواترة، وفيه أعظم دلالة على علوه

تعالى فوق سبع سموات):

وسياتي الكلام على المعراج في موضعه إن شاء الله تعالى.

قوله: (وسؤال كيف استوى؟ وكيف نزل؟ بدعة):

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله في قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]:

الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.

رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٢٨٠) ضمن عقائد السلف، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٨ برقم ٦٦٤)، والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٨٠-١٨٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥ برقم ٨٦٧)، وفي الاعتقاد (ص ١١٩)، وأبونعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١).

وهو صحيح.

وقد روي مثل هذا الجواب عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، وهو ضعيف. رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٦٦٣)، وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٧٧-١٧٩)، وابن قدامة المقدسي في إثبات صفة العلو برقم (٨٢)، وابن منده في التوحيد برقم (٨٨٧)، وابن بطة في الإبانة (٣/ برقم: ١٢٠)، والذهبي في العلو ص ٦٠-.

من طريق أبي كنانة محمد بن أشرس الأنصاري، قال: حدثنا أبو عمير الحنفي عن قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة...، فذكره.

لكن عند أبي عثمان الصابوني في: عقيدة السلف بدل: (أبي عمير الحنفي): (أبو المغيرة الحنفي)، وعنده: (عن الحسن عن أبيه) بدل: (عن الحسن عن أمه).

وعند ابن بطة: (عمير بن عبد الحميد الثقفي) بدل: (أبي المغيرة الحنفي).

وعند ابن منده في التوحيد: (أبو المغيرة النضر بن إسماعيل الحنفي).

وقال الذهبي عقبه: فأما عن أم سلمة؛ فلا يصح؛ لأن أبا كنانة ليس بثقة، وأبو

عمير لا عرفه. اهـ.

ولم أجد ترجمة لأبي كنانة محمد بن أشرس الأنصاري، والمُترجم في الميزان، ولسانه: محمد بن أشرس السلمي النيسابوري، وهو متهم، وأبو عمير الحنفي قد قال الذهبي: إنه لا يعرفه.

وعند الصابوني: أبو المغيرة الحنفي، وهو: عمير بن عبدالمجيد الحنفي، وكذا عند ابن بطة في: الإبانة ثنا عمير بن عبدالمجيد، إلا أنه قال: الثقفى مترجم في الجرح والتعديل (٣٧٧/٦)، ولسان الميزان، وغيرهما، وهو ضعيف.

وعند ابن منده: أبو المغيرة النضر بن إسماعيل، وهو ضعيف جدًا، كما في التهذيب، إلا أنه في التهذيب: البجلي الكوفي إمام مسجدها.

والحسن هو: ابن أبي الحسن البصري، وأمه: خيرة مولاة أم سلمة، روى عنها خمسة، وذكرها ابن حبان في: الثقات، واحتج بها مسلم في: الصحيح؛ فهي حسنة الحديث.

وعند الصابوني: (عن أبيه) بدل (عن أمه).

ووالد الحسن البصري قال الحاكم في: معرفة علوم الحديث (ص ٢٠٠): هو يسار، وفي خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (ص ٤٣٥) قال: يسار بن عبد الهذلي أبو عزة، بفتح العين والزاي المشددة، البصري، صحابي، وله حديث، وعنه أبو قلابة، الله أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٣٦٥/٥):

إذا تبين هذا فقول السائل: كيف ينزل بمنزلة قوله كيف استوى؟

وقوله: كيف يسمع؟ وكيف يبصر؟ وكيف يعلم ويقدر؟ وكيف يخلق ويرزق؟

وقد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال من أئمة الإسلام، مثل مالك بن أنس، وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فإنه قد روى من غير وجه أن سائلاً سأل مالكا عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟

فأطرق مالك حتى علاه الرضاء، ثم قال:

الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء، ثم أمر به فأخرج.

ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة رضى الله عنها موقوفاً، ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك في أنا لا نعلم كيفية استوائه؛ كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذى دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء، ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول، ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع، والبصر، والقدرة، ولا نعلم كيفية ذلك، ونعلم معنى الرحمة، والغضب، والرضا، والفرح، والضحك، ولا نعلم كيفية ذلك اهـ.

قوله: (قال ابن قتيبة: ما زالت الأمم عربهم وعجمهم في جاهليتها وإسلامها معترفة بأن الله في السماء):

كلام ابن قتيبة هذا في كتابه: تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٢) بلفظ:

والأمم كلها عربها وعجمها تقول: إن الله تعالى في السماء ما تركت على فطرها، ولم تنقل عن ذلك بالتعليم اهـ.

وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣-٢٧٦) صدوق في الحديث.

قوله: (وقد جمع طائفة من العلماء في هذا الباب مصنفات منها:

كتاب «العلو للذهبي»:

وهو كتاب نفيس مطبوع متداول اختصره العلامة الألباني رحمه الله وعلق عليه حتى صار أكبر من الأصل.

والذهبي هو: الإمام مؤرخ الإسلام الإمام السلفي المعتقد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قانئاز، التُّركماني الأصل، ثم الدمشقي، المقرئ الذهبي (٦٧٣-٧٤٣).

له المصنفات العديدة كتاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال، وترجمة الحفاظ، وغيرها كثير، رحمه الله.

وكتاب «النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية»:

وهو كتاب مطبوع متداول بعنوان: شرح حديث النزول، وقد طبع ضمن مجموع الفتاوى جمع ابن أبي القاسم (٥/٣٢١-٥٨٢).

وشيوخ الإسلام هو: الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النمري الحراني نزيل دمشق.

العالم المجاهد الذي برع في كل فن حتى غلب أهله في اللغة والحديث والفقه، أما العقيدة ففارس الميدان، وجمع من أثر بعده عالية على كتبه وأقواله في العقيدة، وكذا تلميذه ابن القيم رحمه الله مات سنة (٧٢٨).

أما عن شيخ الإسلام فقال الشوكاني في البدر الطالع (١/٦٤-٧٠):

قال الذهبي ما ملخصه: كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف التي يوردها منه، ولا أشد استحضار للمتون وعزوها منه، وكانت السُّنة نصب

عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة وثيقة وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه، وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه هدي مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة، والفراغ من ملاذ النفس، ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد، بل أكثر وكان قوَالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم.

ثم قال: ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير فيه، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده وكان أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً سريع القراءة، تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم (قال) ولم أر مثله في ابتهاله واستعانت به بالله، وكثرة توجهه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان مع سعة علمه، وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمت الدين بشراً من البشر، تعتريه حدة في البحث وغضب وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة في النفوس، ولولا ذلك لكان كلمة إجماع فإن كبارهم خاضعون لعلومه، معترفون بأنه لا ساحل له، وكنز ليس له تظير، ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالاً، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك.

قال: وكان محافظاً على الصلاة والصوم، معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً، لا يؤتى من سوء فهم؛ فإن له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم؛ فإنه بحر زاخر، ولا كان متلاعباً بالدين، ولا ينفرد بمسائل بالتشهي، ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتاج

بالقرآن والحديث والقياس، ويبرهن وينظر أسوة بمن تقدمه من الأئمة، فله أجر خطأه وأجران على إصابته. انتهى.

راجع كلام الذهبي في ذيل تاريخ الإسلام (ص ٣٢٤- فما بعد).

قوله: (وكتاب الاستواء لابن القيم):

هو اجتماع الجيوش الإسلامية مطبوع؛ لأنه في هذا الصدد، وإلا فلا أعرفه.

ابن القيم هو: شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن القيم الجوزية.

له العديد من المؤلفات النافعة، وهو قرين شيخه ابن تيمية ودونه في المرتبة مات سنة (٧٥١)، رحمه الله تعالى.

قوله: (والنونية له):

أي لابن القيم، وهي مطبوعة متداولة، ولها شرحان كلاهما في مجلدين، أحدهما لابن عيسى، والثاني للهراس.

قوله: (وعقيدة ابن قدامة):

هو كتاب «إثبات صفة العلو» مطبوع متداول.

ابن قدامة هو: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي

ثم الدمشقي الصالح، وله العديد من المصنفات النافعة مات سنة ٦٢٠.

قوله: (ورسالة الشيخ محمد ناصر الحازمي):

اسمها: «إثبات الصفات» مطبوعة متداولة.

الحازمي هو: العلامة المحدث محمد بن ناصر الحازمي الحسني التهامي الضمدي، محدث يمني كان محققاً متفناً في جميع العلوم جاثلاً في ميدان المنطوق والمفهوم، وبالجملة كان عديم النظر في وقته، مات سنة (١٢٨٣).

راجع نيل الأوطار (٣٢٢/٢)، والأعلام (١٢٢/٧).

قوله: (ورسالة الشيخ محمد فاخر الإله آبادي ثم المكي.

ورسالة إجراء الصفات على ظاهرها للشوكاني):

رسالة الشوكاني هي: التحف في مذهب السلف.

الشوكاني هو: الإمام محمد بن علي الشوكاني عالم يمني كبير في التفسير وأصول الفقه، وقد رجع في هذا الكتاب إلى معتقد السلف.

ومؤلفاته تفوق المائتين، توفي سنة (١٢٥٠).

قوله: («الانتقاد الرجيع» للعبد الفقير، و«الاحتواء» له عفا الله عنه):

أي للمصنف رحمه الله.

قوله: (إلى غير ذلك، وليس في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من

السلف، ولا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا عن أئمة الدين حرف واحد يخالف ذلك).

ولم يقل أحد منهم: إن الله في السماء، أو أنه ليس على العرش، أو أنه في كل مكان،

وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، وأنه لا تجوز إليه

الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحو هذا):

الرد على المفوضة

قوله: (ومن ظن أن نصوص الصفات لا يعقل معناها، ولا يدري ما أراد الله تعالى ورسوله منها، وظاهرها تشبيه وتمثيل، واعتقاد ظاهرها كفر وضلال، وإنما هي ألفاظ لامعاني لها، وإن لها تأويلاً وتوجيهاً لا يعلمه إلا الله، وأنها بمنزلة ﴿الم﴾ و﴿كهيعص﴾).

وظن أن هذه طريقة السلف، ولم يكونوا يعرفون حقيقة قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْيٍ﴾ [ص: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ونحو ذلك.

فهذا الظن من أجهل الناس بعقيدة السلف، وأضلهم عن الهدى، وقد تضمن هذا الظن استجهاال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وسائر الصحابة، وكبار الذين كانوا أعلم الأمة علماً، وأفقههم فقهاً، وأحسنهم عملاً، وأتبعهم سنناً. ولازم هذا الظن أن الرسول ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه، وهو خطأ عظيم، وجسارة قبيحة نعوذ بالله منها):

هذا الكلام فيه رد على مذهب المفوضة.

والتفويض عند القائلين به هو: صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله تعالى؛ بأن يقول: الله أعلم بمراده. ومنشأ هذا المذهب الرديء في مدرسة الكلاية، التي تهدف إلى التوفيق بين المنهج السلفي النقلي الأثري، والمنهج العقلي المنحرف الذي اعتمده المتكلمون.

وقد تخرج من هذه المدرسة طائفتان منحرفتان تنتسب للسنّة ظلمًا، وهما الأشاعرة والماتريدية.

ومن الأدلة على بطلان مذهب التفويض:

الأول: النصوص الدالة على البيان: قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وقال عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩].

وفي حديث العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك».

رواه ابن ماجه، والحاكم وغيرهما، وهو صحيح، وسيأتي تخريجه حيث يذكره المؤلف رحمه الله.

فنصوص الكتاب والسنة في غاية البيان والوضوح والبلاغة والفصاحة، فكيف يتشكل الواضح البين؟.

الثاني: سهولة القرآن والسنة ويسرهما، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

وفي صحيح البخاري (٣٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ».

الثالث: تفصيل آيات القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].
الرابع: الأمر بالتدبر:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].
فيكف بتدبر ما لا يعقل معناه.

شبه المفوضة:

أثر عن السلف في الأسماء والصفات أنهم يقولون: أمروها كما جاءت فزعمت المفوضة أن الإمرار هو: التفويض.

وهذا خلطٌ، والغريق يتشبث بالطحلب.

والسلف الذين قالوا: أمروها، أمروها مع الإقرار والإثبات لمعانيها.

لذا لما سئل مالك عن الاستواء كيف؟

فقال: الاستواء معلوم.... إلخ، وقد تقدم.

وهكذا جميع السلف يمرونها، ويقرون بمعانيها اللاتقة بالله.

والتفويض الجائر الذي جرى عليه السلف هو تفويض الكيف، لا تفويض المعنى.

لذا قال مالك: والكيف مجهول.

ويلزم من القول بهذا المذهب الرديء؛ مذهب التفويض لوازم منها:

أولها: القدح في رب العالمين أنه لم يبين لعباده، حيث قد ذكر البيان في القرآن الكريم، وقد تقدم.

ثانيها: الطعن في الرسول ﷺ وهذا ذكره المصنف رحمه الله.

ثالثها: الطعن في القرآن أنه كلام مشكل وغير واضح معناه.

رابعها: سد باب التدبر لكتاب الله.

خامسها: القول بالتعطيل.

سادسها: تجهيل للسلف الصالح.

راجع كتاب مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات لأحمد بن عبد الرحمن القاضي.

وأحد هذه اللوازم قد صرح به إمام الضلالة الزنجشري في كتابه المسمى بالكشاف (٤/١٤٣)، حيث قال:

وكذلك حكم ما يروى أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال، ثم قرأ تصديقاً له: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

وإنما ضحك أفصح العرب ﷺ، وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان، من غير تصور إمساك، ولا أصبع، ولا هز، ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة الخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأن الأفعال العظام التي تحير فيها الإفهام والأذهان وتكتننها الأوهام... إلخ.

وأي تجهيل للنبي ﷺ بعد هذا؟ وأين قوله في الحديث: تصديقاً؟

ولله در إمام الأئمة ابن خزيمة إذا قال في كتاب التوحيد (١/١٧٨):

باب إمساك الله تبارك وتعالى اسمه جل ثناؤه السماوات والأرض وما عليها على أصابعه.

جل ربنا عن أن يكون أصابعه كأصبع خلقه، وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه، وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاته، فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدووا نواجده تصديقاً وتعجباً لقائله.

لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته. اهـ.

قلت: من أين وجد الزمخشري أن القائل هو جبريل عليه السلام؟

وإنما هو خبر من أهل الكتاب، وهذا دليل على قلة بضاعة الرجل في الحديث، فكيف لو عرف أنه رجل من أهل الكتاب؟ لأطال النفس في الرد، والخوض بغير علم.

وهبني قلت إن الصبح ليل أيعمى المالمون عن الضياء

صفة الـدين لله تعالى

قوله: (فصل):

الفصل: هو البون ما بين الشئين. اهـ من لسان العرب (١٠/ ٢٧٣).

قال في فتح القدير على الهداية (١/ ٣٦):

ويعرف الفصل بأنه طائفة من المسائل الفقهية تغيرت أحكامها بالنسبة إلى ما قبلها غير مترجمة بالكتاب والباب. اهـ.

ويأتي المصنفون به للانتقال من شيء لآخر إذا كان بينهما ترابط، وذلك للترويح عن النفس، مثل السالك في الطريق إذا عرف أنه وصل في طريقه إلى موضع كذا وكذا أحسّ بشيء من الراحة.

قوله: (وأما قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]):

أي أن بعض أهل التعطيل أورد شبهة على أهل السنة وهي:

أنتم تقولون: إننا نمر آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها! فماذا أنتم تقولون في مثل قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]؟

الجواب: ما قاله ابن عثيمين في القواعد المثلى (ص ٧٧):

وهذه أيضًا على ظاهرها وحقيقتها، فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين؛ لأن يده من صفاته، وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم، وهذه ظاهرة اللفظ وحقيقته، وهو التوكيد كون مبايعة النبي ﷺ مبايعة له عز وجل، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم، ألا ترى أن يقال: السماء فوقنا مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا فيد الله عز وجل فوق أيدي المبايعين لرسوله ﷺ مع مباينته تعالى خلقه وعلوه عليهم.

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يد النبي ﷺ، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنها فوق أيديهم.

ويد النبي ﷺ عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم. انتهى من مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ٣٣٢-٣٣٣).

قوله: (فاعلم أن لفظ (اليد) جاء في القرآن على ثلاثة أنواع.

مفرد كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]:

وكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَبِيرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقوله: ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣].

وكذا جاءت في السنة بلفظ الإفراد كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يُخَفِّضُ وَيَرْفَعُ».

رواه البخاري برقم (٧٤١١)، ومسلم برقم (٩٩٣).

وفي صحيح مسلم برقم (٢٧٥٩) عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

قوله: (ومثني، كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]:

وكذا في السنة كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ! فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

رواه البخاري برقم (٧٥١٨) ومسلم برقم (٢٨٢٩).

قوله: (ومجموع كقوله: ﴿عَمِلْتُ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١]):

لفظ الآية هكذا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ١٧].

قوله: (فحيث ذكر اليد مثناه أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدى الفعل بالباء، فلا يحتمل المجاز):

لا يحتمل المجاز، وليس في النصوص مجاز، والمجاز هنا مردود لأمر: -

الأول: أن الأصل الحقيقة، ودعوى المجاز مخالفة للأصل.

الثاني: أنه خلاف الظاهر.

الثالث: كون اليد جاءت بالمفرد والمثنى والجمع يمنع دعوى المجاز، ويدل أنها

حقيقة.

الرابع: أن الذين عطلوا هذه الصفة قالوا: إن المراد باليدين القدرة، أو النعمة،

فقولهم: النعمة نقول لهم: الله سبحانه وتعالى ماله إلا نعمتان فقط؟ وهو يقول: ﴿وَإِنْ

تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [إبراهيم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا

فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

وأما ما أولوه بالقدرة فسيأتي الرد عليهم إن شاء الله من كلام المصنف.

قوله: (وأما إذا أضيف إليه الفعل، ثم عدى بالباء، فهو باشرها بيده):

أي: باشر الفعل إلى المضاف إلى اليد المعدى بالباء بيده تعالى.

قوله: (ولذا قال عبد الله بن عمرو):

هو أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي الجليل عابد الصحابة، هو وأبواه صحابيان رضي الله عنهما.

قوله: (لم يخلق الله بيديه إلا ثلاثاً خلق آدم بيده):

قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥].

قوله: (وغرس جنة الفردوس بيده):

كما رواه مسلم في صحيحه برقم (١٨٩) عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُوْلُ: أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِإِيْدِي...». في جواب سؤال من أعلی أهل الجنة منزلة؟

قوله: (وكتب التوراة بيده):

صحيح موقوفاً على ابن عمر، ولم أره عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد رأيت عن عبد الله بن عمر بن الخطاب. رواه الدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ٢٦١-٤٧٢)، والآجري في «الشریعة» برقم (٧٥٦)، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» (٢/ ٥٧٨-٥٧٩) برقم (٢١٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٧٢٩-٧٣٠)، والحاكم في «المستدرک» (٢/ ٣١٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٦٩٣). من طريق عبيد بن مهران المکتب عن مجاهد

عن ابن عمر قال: خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وجنة عدن، وآدم، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان.

وسقطت لفظة: «جنة» عند الدارمي. وهو موقوف صحيح.
وحديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «فقال له آدم: أنت موسى، اصفظاك الله بكلامه، وخط لك بيده». رواه البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم برقم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة مرفوعاً بدون ذكر الألواح.

قوله: (وروى ذلك مرفوعاً):

صحيح بشواهده، رواه أبو الشيخ في «العظمة» برقم (١٠١٧)، والدارقطني في «الصفات» برقم (٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٦٩٢) من طريق عون بن عبد الله بن الحارث عن أخيه (وهو عبد الله) عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده».

وهو مرسل، فعبد الله بن الحارث: تابعي ثقة. قال البيهقي: هذا مرسل.

لكن لفقراته شواهد، ففي «صحيح مسلم» برقم (١٨٩) عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «.. أن الله عز وجل يقول: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي» في جواب لسؤال: من أعلى أهل الجنة منزلة؟.

وكتابة التوراة في «صحيح البخاري» برقم (٦٦١٤)، ومسلم (٢٠٤٣/٤) برقم (٢٦٥٢)-١٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «بيده» عند مسلم وحده، وكذا عنده وحده قوله: «خلقك الله بيده».

قوله: (فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك، ولا كانت لأدم فضلية بذلك على شيء مما خلق بالقدرة):

إذ كل المخلوقات خلقت بقدرة الله، وإبليس عليه لعنة الله لما قال الله له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥]. فهم من الآية إثبات صفة اليدين لله تعالى، بعكس هؤلاء الضلال الذين زادوا على إبليس في هذا المجال بهذا الفهم السقيم.

ولو لم يفهم إبليس إثبات اليدين، وفهم أن المراد القدرة لقال: وأنا خلقتني بقدرتك فما الفضل له عليّ.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

قوله: (وقد صح عن النبي ﷺ: «أن أهل الموقف يأتون آدم فيقولون: خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء»):

رواه البخاري برقم (٦١٩٧)، مسلم (١٩٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَهْتُمُونَ لِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ، لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْخَلْقِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَخِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رُسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ نُوحًا ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَخِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ ﷺ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَخِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ

وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السلام، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ أَتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ أَتُوا مُحَمَّدًا عليه السلام قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ قُلْ تُسْمَعُ سَلْ تُعْطَى اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقْعُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقَالُ: ازْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ قُلْ تُسْمَعُ سَلْ تُعْطَى اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ، أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ.

وروى البخاري برقم (٤٤٧٦)، وزاد فيه «وعلمك أسماء كل شيء».

ولم يذكرها مسلم عن أنس، ورواه البخاري برقم (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)

عن أبي هريرة، وليس عندهما قوله: «وعلمك أسماء كل شيء» عن أبي هريرة.

وأهل الموقف هم الناس الذين يجمعهم الله تبارك وتعالى في عرصات المحشر يوم القيامة أعاذنا من أهوال ذلك المقام آمين.

وقوله: خلقتك الله بيده هو الشاهد، وتقدم معنى الخلق، وفيه إثبات صفة اليد لله

تعالى.

وقوله: (ونفخ فيك من روحه):

والرُّوح: بضم الراء وهي من مخلوقات الله تعالى التي خلقها، واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ٢٧١].

ومصدق هذا من القرآن أي قوله: ونفخ فيك من روحه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

ومعنى من روحه: أي من الأرواح التي عنده، لا أنها صفة من صفاته الله تعالى، وإضافتها إليه عز وجل من إضافة مخلوق إلى خالق، وهي إضافة تشريف كناية الله، وبيت الله، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

أي من خلقه ومن عنده لا أن هذه الأشياء منه أجزاء أو أبعاض من الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن هنا نعلم أن ما أضيف إلى الله في الكتاب، أو في السنة، أو فيها على قسمين: الأول: عين قائمة بنفسها كعيسى، وجبريل عليهما السلام، وأرض الله، وأرواح بني آدم، فهذه من باب إضافة مخلوق إلى خالقه، وتكون إضافتها على قسمين: أحدهما: أن تضاف إلى الله لكونه أبداعها وخلقها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي آيٍ فَاغْبُذُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]. فهذا عام في جميع المخلوقين.

ثانيها: أن تضاف إلى الله كمزية من محبة، أو غيرها كعيسى، وجبريل، وهذا هو الذي إضافته إضافة تشريف. اهـ.

الثاني: معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فهذه وجب أن تثبت صفة الله تعالى قائمة.

قال العثيمين في القول المفيد (١/ ٧٠): فالبنفخ صار جسداً، وبالروح صار جسداً وروحاً. اهـ.

وراجع فتح المجيد (ص ٥٨ - ٥٩).

تنبيه: لكن تُثَبِّتُ لله تعالى صفة (الرَّوْح) بفتح الراء وسكون الواو كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَتَّخِذُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].
والرَّوْح إما بمعنى الرحمة، فتكون صفة لله عز وجل.

أو بمعنى نسيم الريح، فلا تثبت صفة، وتكون من إضافة المخلوق إلى خالقه.
راجع كتاب صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (ص ١٣١ - ١٣٣).
قوله: (وأسجد لك ملائكته):

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

والسجود معناه في كلام العرب: التواضع والتذلل والخضوع.
قال الشاعر:

ساجد المُنْخَر ما يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع^(١)

وهذا السجود لم يكن سجود عبادة بالاتفاق، وفي صفة سجود الملائكة ثلاث أقول:

الأول: أنه على صفة سجود الصلاة، وهو قول الجمهور.

قال ابن الجوزي (١/ ٦٤): وهو الأظهر.

(١) راجع زاد المسير (١/ ٦٤).

الثاني: أنه على أصله في اللغة: التذلل والخضوع. راجع تفسير القرطبي (٢٩٣/١).

الثالث: أنه الانحناء والميل المساوي للركوع^(١).

مسألة: هل السجود لآدم خاصة به عليه السلام؟

الجواب: لا، بل كان السجود جائز في الشرع المتقدم، فقد سجد يعقوب وزوجته وأولاده ليوسف عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠].

وهذا قول الأكثر، أنه كان مباحاً إلى عصر رسول الله ﷺ لما رواه ابن ماجه برقم (١٨٥٣) عن عبد الله بن أبي أوفى قال:

لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ قال: «ما هذا يا معاذ؟» قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تفعلوا، فإني لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

الحديث صحيح.

فالسجود لغير الله في شرعنا محرم.

وراجع تفسير القرطبي (٢٩٣/١).

قوله: (وعلمك أسماء كل شيء):

وهذه المسألة فيها قولان:

الأول: أنه علمه جميع الأشياء صغيرها وكبيرها وحقيرها وجليلها وصفاتها وأفعالها.

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وابن جبير وغيرهم.

الثاني: أنه علمه أسماء معدودة لمسيبات مخصوصة، وفيه أربعة مذاهب:

الأول: أسماء الملائكة، قاله أبو العالية والربيع بن خثيم.

الثاني: علمه أسماء الأجناس دون أنواعها، قاله عكرمة.

الثالث: علمه أسماء ما خلق من الأرض، قاله الكلبي.

الرابع: علمه أسماء ذريته، قاله ابن زيد.

والراجح القول الأول، وقال ابن كثير: إنه الصحيح، وقال القرطبي إنه أصح.

ولأنه ذكر في مقام مدح، ويكون المدح بما كان كما لا فيه، وأيضاً صيغة كل التي

تفيد العموم ولا مخصص.

وأما استدلال ابن جرير أن المراد أسما ذريته، وأسماء الملائكة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

عَرَضَهُمْ﴾، وقال: لو كان المراد أسماء جميع المخلوقات لقال: ثم عرضها، ولم يقل

عرضهم. انتهى بمعناه.

فالجواب عن ذلك ما قال ابن كثير رحمه الله:

وهذا الذي رجح به ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر

عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ

فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ

يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥]

وقد قرأ عبد الله بن مسعود ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾، وقرأ ابن كعب (ثم عرضها) أي المسميات اهـ.

وفي تسمية آدم قولان:

الأول: لأنه خلق من أديم الأرض، قاله ابن عباس وابن جبير والزجاج.
الثاني: من آدمة اللون، قاله الضحاك والنظر بن شميل وقطرب، ولا تعارض بينهما.

راجع تفسير ابن جرير وابن كثير والقرطبي والبغوي وابن الجوزي.

قوله: (فذكر أربعة أشياء كلها خصائص):

أي اختص بها آدم عليه السلام دون سائر المخلوقات.

قوله: (وكذلك قال آدم لموسى في محاجته له: اصطفاك الله بكلامه، وخط لك اللوح بيده):

لحديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: « فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده». رواه البخاري برقم (٦٦١٤)، ومسلم برقم (٢٦٥٢) بدون ذكر الألواح.

ولعله ذكره بالمعنى: فالذي مع الخط هو التوراة، رواه الآجري في «الشرعة» برقم (٧٥٣ و ٧٥٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فذكر الحديث.

قوله: (وفي لفظ آخر: كتب لك التوراة بيده):

تقدم آنفاً.

قوله: (وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «يقبض الله السموات بيده والأرض بيده الأخرى»):

الحديث رواه أبو داود برقم (٤٧٣٢) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله تعالى السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الملوك الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين، ثم يأخذهن». قال ابن العلاء: بيده الأخرى. ورواه مسلم برقم (٢٧٨٨) عن عبد الله بن عمر، لكن فيه: «ثم يطوي الأرض بشماله».

وكلاهما رواه من طريق أبي أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه. وعمر بن حمزة: ضعيف. فلفظة «بشماله» تعتبر شاذة، شذ بها عمر بن حمزة، بل منكراً.

فقد روى الحديث نافع عند البخاري برقم (٧٤١٢)، وعبيد الله بن مقسم عند مسلم (٢١٤٨-٢١٤٩) بدونها.

قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٣٩/٢): وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر لم يذكر فيه الشمال.

ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره، عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال.

وروى ذكر الشمال في حديث آخر من غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرة. تفرد بأحدهما جعفر ابن الزبير، وبالأخر يزيد الرقاشي، وهما متروكان.

وكيف يصح ذلك؟ وصحيح عن النبي ﷺ أنه سَمَى كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينًا. اهـ
قلت: حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري برقم (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٧)، وهذا لفظه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْبُضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مَلُوكُ الْأَرْضِ؟»
قلت: وأما طريق يزيد الرقاشي، فرواها ابن أبي عاصم في السنة برقم (٢٠٣) بتحقيق الشيخ الألباني رحمه الله، وغيره عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبَضَ بِكَفَيْهِ قَبْضَتَيْنِ فَوْقَ كُلِّ طَيْبٍ بِيَمِينِهِ، وَكُلِّ خَبِيثٍ بِشِمَالِهِ».

وهو ضعيف جدًا في سنده يزيد الرقاشي كما قال البيهقي متروك، وفيه أيضًا روح بن المسيب ضعيف، وأما جعفر بن الزبير فلم أقف على ترجمته.

فقوله: «بيده الأخرى»، هو الثابت في الأدلة كما روى البخاري برقم (٧٤١١) ومسلم برقم (٣٧-٩٩٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُدُّ اللَّهُ مَلَأَى لَا يَغِيْضُهَا نَفَقَةُ سَحَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيْضْ مَا فِي يَدَيْهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانَ يَنْخَفِضُ وَيَرْفَعُ». وهذا اللفظ البخاري.

وعند مسلم برقم (١٨٢٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَتَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُّوا».

قوله: (وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج ذريته منه، فقال: خلقت هؤلاء إلى الجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون» الحديث):

صحيح بشواهده، رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٧٥١-٧٥٢)، وأحمد في «المسند» برقم (٣١١)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ١١٣)، وأبوداود برقم (٤٧٠٣)، والترمذي برقم (٣٠٧٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٩٦)، والنسائي في «التفسير» برقم (٢١٠)، والبخاري في «شرح السنة» برقم (٧٧)، و«التفسير» (٢/ ٢١١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٩٩٠)، والآجري في «الشرعة» برقم (٣٢٤)، والحاكم في «المستدرک» (١/ ٢٧) و(٢/ ٣٢٤-٣٢٥ و٥٤٤-٥٤٥)، البيهقي في «الأسماء والصفات» برقم (٧١٠)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٦١٦٦)

كلهم من طريق مالك عن زيد بن أبي أنيسة: أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب: أخبره عن مسلم بن يسار الجهني: أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(١)﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

(١) هكذا بالجمع، وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي عمرو.

فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال: «إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، واستخرج منه ذريته، قال: خلقت هؤلاء للجنة، ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته، فقال: هؤلاء للنار، ويعمل أهل النار يعملون» الحديث.

ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، ولم يوثقه غير العجلي، ولم يرو عنه غير عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد.

وقد روى الحديث ابن جرير في «التفسير» (٩/ ١١٣-١١٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٢٠١)، وأبوداود برقم (٤٧٠٤)، وابن عبد البر في «المهيد» (٦/ ٥٠٤).

من طريق زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر نحوه، فزاد هنا نعيم بن ربيعة، وهو الأزدي.

وقد قال عنه الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٧٠): لا يعرف.

وقال ابن عبد البر: زيادة من زاد في هذا الحديث: نعيم بن ربيعة، ليست بحجة؛ لأن الذي لم يذكره أحفظ.

وقال الذهبي في تلخيص المستدرک (١/ ٢٧): قلت: فيه إرسال. اهـ

ولما سئل الدارقطني عن حديث نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي ﷺ حين جاءه رجل يسأله، عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ

ذُرِّيَّاتِهِمْ^(١) [الأعراف: ١٧٢]، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ بِيَمِينِهِ مِيَامَنَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا ذُرِّيَّتَهُ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ» الحديث.

فقال: يرويه زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر، حدث عنه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي، وجود إسناده ووصله.

وخالفه مالك بن أنس، فرواه عن زيد بن أبي أنيسة، ولم يذكر في الإسناد نعيم بن ربيعة، وأرسله عن مسلم بن يسار عن عمر، وحديث يزيد بن سنان متصل، وهو أولى بالصواب. والله أعلم.

وقد تابعه عمر بن جعثم، فرواه عن زيد بن أبي أنيسة، كذلك قال بقية بن الوليد عنه. اهـ من «العلل» (٢/ ٢٢١-٢٢٣).

قلت: ورواية يزيد بن سنان عند ابن أبي عاصم برقم (٢٠١)، ومتابعة عُمر بن جعثم عند أبي داود برقم (٤٧٠٤)، وابن جرير (٩/ ١١٣) وتصحف عنده إلى «عُمر بن جعثم» وهو خطأ.

وعمر بن جعثم قال الحافظ في التقریب: مجهول حال.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند الآية (٢/ ٢٤٢-٢٤٣): الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمدا لما جهل حال نعيم بن ربيعة ولم يعرفه،

(١) هكذا بالجمع، وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي عمرو.

فإنه غير معروف إلا في الحديث، ولذلك يُسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم، ولهذا يرسل كثيرًا من المرفوعات، ويقطع كثيرًا من الموصولات. والله أعلم.

قال الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٧/ ٧٣):

قلت: وهذه فائدة عزيزة هامة من قبل هذا الحافظ النحرير، فعرض عليها بالنواجد. اهـ

ورواه ابن جرير (٩/ ١١٤)، وفي سنده: محمد بن حميد الرازي: كُذِّب.

والحاصل أن الحديث كيفما دار فهو ضعيف، لكن الحديث له شواهد يصح بها لغيره فمن ذلك:

١ - حديث أنس مرفوعًا: «إن الله عز وجل قبض قبضة فقال: في الجنة برحمتي، وقبض قبضة فقال: في النار ولا أبالي» وهو في «الصحيحة» برقم (٤٧).

٢ - حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بنوعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فشرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلًا قال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

رواه ابن أبي عاصم برقم (٢٠٢) وحسن إسناده الألباني رحمه الله.

٣ - حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء، كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية

سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي.

رواه أحمد وابنُه في «زوائد المسند» (٤٤١ / ٦)، وصحح إسناده الألباني في «الصحيحة» برقم (٤٩).

٤- عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله قبض بيمينه قبضة، وأخرى باليد الأخرى، وقال: هذه لهذه، وهذه لهذه، ولا أبالي».

رواه أحمد برقم (١٧٥٩٣) وهو صحيح.

قال العلامة الألباني في «الضعيفة» (٧٣ / ٧) وفي أخذ الذرية من صلب آدم أحاديث أخرى صحيحة أخصر من هذا، وقد خرجت بعضها في «الصحيحة» (٤٨-٥٠) وليس كل شيء منها مسح الظهر إلا في حديث لأبي هريرة، مخرج في «ظلال الجنة» (٢٠٤-٢٠٥)، وكلها لم تذكر فيها الآية.

قلت: بل حديث أبي هريرة وابن عباس، رواهما ابن أبي عاصم، وصححهما الألباني.

٥- عن ابن عباس قال: لما نزلت آية الدين، قال رسول الله ﷺ: «إن أول من جحد آدم، إن الله تعالى لما خلقه مسح ظهره، فأخرج منه ما هو من ذراري إلى يوم القيامة، فعرضهم عليه».

رواه ابن أبي عاصم برقم (٢٠٤).

٦- حديث أبي هريرة تلوه نحوه.

قوله: (وقال نافع: سألت ابن أبي مليكة عن يد الله واحدة أم ثنتان؟ فقال: اثنتان).

وقال ابن عمر وابن عباس: أول شيء خلقه الله القلم بيمينه، وكلتا يديه يمين): ضعيف، أما عن ابن عمر رضي الله عنهما، فرواه ابن أبي عاصم برقم (١٠٦)، والآجري في «الشرية» برقم (٣٣٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١/٣٨٩ برقم ٦٧٣)

من طريق بقية بن الوليد، حدثني أرطاة بن حجاج عن مجاهد عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ، فذكره.

ورواه الآجري في «الشرية» برقم (٣٤٠) من طريق أبي أنس مالك بن سليمان الألهاني الحمصي عن بقية، فذكره، وقال: عن مجاهد أنه بلغه عن ابن عمر.

وفي الرواية السابقة بدون ذكر واسطة بين مجاهد وابن عمر، رواها ابن مصطفى عند ابن أبي عاصم، وهو محمد بن مصطفى القرشي صدوق له أوهام، ويدلس، ولكنه صرح هنا.

وأبوتوبة الربيع بن نافع، وهو: ثقة حجة عابد، كما في «التقريب»، وهما أرجح من أبي أنس مالك ابن سليمان الألهاني.

وأبو أنس مترجم في «الجرح والتعديل» (٨/٢١٠) وذكر أنه روى عن بقية، ولم يذكر فيه جرْحًا ولا تعديلاً.

فرواية إسقاط الواسطة أرجح، ومجاهد قد سمع من ابن عمر في الجملة، وروايته عنه في الصحيحين وغيرهما.

لكن يبقى أن بقية يدلس تدليس التسوية، وهو شر أنواع التدليس، وقد صرح هنا في شيخه، ولم يصرح في شيخ شيخه، لا سيما في مثل هذا التفرد، فالحديث ضعيف. وأما قول ابن عباس فلم أره عنه بهذا اللفظ إلا في «فتح الباري» (١٣/ ٣٩٤ و ٣٩٦) ذكره بدون سند ولا عزو، مرفوعاً.

قوله: (وفي الباب ما لا يحصى كثرة):

يعني في إثبات اليمين لله تعالى، وهو كما قال رحمه الله تعالى فالكتاب والسنة مليئان من ذلك، وقد ذكر الإمام ابن القيم في كتاب الصواعق المرسله جملة طيبة من ذلك. راجع مختصر الصواعق المرسله لابن الموصلي (٢/ ١٥٣-١٧٤).

وصفة اليمين ثابتان لله تعالى كما يليق به، والمعنى معلوم والكيف مجهول. واليد من الصفات التي يسميها أهل الكلام الصفات السمعية، وقد انقسم الناس في الصفات السمعية إلى ثلاثة مذاهب:

الأول: مذهب أهل الحق، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو صح أنه أثبتته له رسوله ﷺ من غير تمثيل ولا تعطيل، ومن غير تحريف ولا تكيف، وقد تقدم ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة وفهم السلف.

الثاني: مذهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية عطلوا هذه الصفات، فقالوا: المراد باليد النعمة، أو القدرة، وبالوجه الذات وهكذا.

الثالث: مذهب الكرامية، الذين شبهوا صفات الخالق لصفات خلقه، وكلا القولين الآخرين خطأ، وكلاهما معطل مشبه، وكلاهما واقع فيما فر منه وزعم، ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل، ولم يصب التنزيه.

راجع شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة في الحاشية (٣/ ٤١٢).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣ / ٣٩٤): أن اليد في اللغة تطلق على عدة معان اجتمع له منها خمسة وعشرون ما بين حقيقة ومجاز، ثم سردها. وهي وإن كان بعضها قد يطلق في اللغة على اليد، لكن لا توؤل يد الباري تبارك وتعالى بها، راجع تهذيب اللغة للأزهري (١٤ / ٢٣٨ - ١٤٤).

لكن تطلق اليد المضافة إلى الله تعالى، ويراد بها معنى من هذه المعاني إلا أنها تليق بالله تعالى، وسيأتي كلام ابن القيم إن شاء الله تعالى. والمعطلة قالوا في إثبات اليد لله تعالى ما يأتي:

١- النعمة.

٢- القدرة.

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق: إن يد القدرة نعمة لا يعرف استعمالها البتة إلا في حق من له يد حقيقية، فهو موارد استعمالها من أولها إلى آخرها مطرد في ذلك، فلا يعرف العربي خلاف ذلك، فاليد المضافة إلى الحي إما أن تكون يد حقيقة، أو مستلزمة للحقيقة، وإما أن تضاف إلى من ليس له يد حقيقية، وهو حي متصف بصفات الأحياء، فهذا لا يعرف البتة، وسر هذا أن الأعمال والأخذ والعطاء والتصرف كما كان باليد، وهي التي تباشره عبروا بها عن الغاية الحاصلة بها، وهذا يستلزم ثبوت أصل اليد حتى يصح استعمالها في مجرد القوة والنعمة والإعطاء، فإذا انتفت حقيقة اليد امتنع استعمالها فيها فيكون باليد، فثبوت هذا الاستعمال المجازي من أول الأشياء على ثبوت الحقيقة... إلخ. كلامه.

ثم يقال لهؤلاء الذين أولوا اليد بالنعمة: هل ليس لله تعالى إلا نعمتان فقط والله تعالى يقول: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

ويقول: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٢/ ١٥٥):

إنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ الشنية، بل بلفظ الأفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]. وكقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وأما أن يقول خلقتك بقدرتين، أو بنعمتين فهذا لم يقع في كلامه، ولا كلام رسوله ﷺ.

وأما من وجه الرد عليهم التي ذكرها رحمه الله تعالى:

أنه لو كان المراد باليد النعمة أو القدرة لما كان لأدم فضل على إبليس، ولقال إبليس: وأنا خلقتني بقدرتك أو نعمتك، وأنه على الحقيقة دعوى المجاز مخالفة للأصل، وختم الكلام بقوله رحمه الله:

ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في كثير من مائة موضوع ورود متنوعاً متفرقاً فيه مقروناً بما يدل أنها يد حقيقة من الإمساك، والطّي والقبض، والبسط، والمصافحة، والحثيآت، والنفخ باليد، والخلق باليدين، والمباشر بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده.

قوله: (وقد جمع الشيخ محمد بن ناصر الحازمي في رسالته):

تقدمت ترجمته.

اتباع الحق وذم الكلام

قوله: (ما ورد عن الصحابة والتابعين وأتباعهم في مسألة «علو الرب على خلقه»، وكونه على العرش فوق سماواته عمومًا، وما ورد عن الأئمة الأربعة المجتهدين خصوصًا، وعن أئمة الحديث، وعلماء الشافعية، والحنفية، والأشاعرة، والمالكية، والمفسرين، وغيرهم ليس ذكره هنا بالتام من مرادنا):

قد تقدم في هذا الشيء الكثير مما ذكره المصنف، وما ذكرناه، وكتاب مختصر العلو قد جمع ذلك، فجزى الله الذهبي والألباني خيرًا.

قوله: (فتؤمن بذلك، فثبتت الصفة من غير تحديد ولا تشبيه):

الحد قال الأزهري في تهذيب اللغة: (٣/ ٤١٩): قال الليث: فصل ما بين كل

شيء حد بينها، ومنتهى كل شيء حده.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢٦٣):

والله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه المقيم لما سواه، فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلًا، فإنه ليس وارد نفية إلا نفى وجود الرب، ونفى حقيقته.

وأما الحد بمعنى: العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا متف بلا منازعة بين

أهل السنة اهـ.

قال أبو داود الطيالسي: كان سفيان، وشعبة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة،

وشريك، وأبو عوانة، لا يحدون، ولا يشبهون، ولا يمثلون اهـ.

وتقدم الكلام على الباقي.

قوله: (وإن نبأت عنها أسماء بعض الجاهلين المقصرين):

أي وإن نفرت عنها أسماء بعض الجاهلين، وتركوها.

يقال: نبأت من أرض إلى أرض أخرى إذا خرجت منها.

فهم إنما لم تقبلها أسماءهم لجهلهم وتقصيرهم في علم ومعرفة هذه الأشياء.

قوله: (استوحشت منها نفوس المتكلمين المعطلين):

قال الأزهري: الوحش كل شيء من دواب البر مما لا يستأنس، فهو وحشي اهـ.

والمعنى أن نفوس هؤلاء استوحشت، ولم تأنس أو تطمئن لإثبات هذه

الصفات كما أراد الله ورسوله، فنحن نثبتها كما أراد الله ورسوله، وإن نبأت أسماء

المتكلمين الجاهلين المعطلين، وإن لم يأنسوا لذلك، فليسوا على شيء، ولا يقول

عليهم.

والمتكلمون هم أصحاب علم الكلام، وهو علم يقصد به إثبات العقائد الدينية

بأدلة عقلية ومقاييس منطقية.

واستمد هذا العلم من فلاسفة اليونان، وأخذوا العاطلون عن العلم والفقه

وأصحاب الحماس الفارغ.

ولم يظهر هذا العلم في عصر الصحابة حتى تُرجمت كتب اليونان، فانفتح بذلك

شر عظيم، ولذلك أنكره السلف أشد الإنكار؛ لأن فيه رد نصوص الكتاب والسنة

بـ (أرأيت)، ففي صحيح البخاري برقم (١٦١١) أن رجلاً سأل ابن عمر رضي الله

عنهما عن استلام الحجر، فقال رأيت رسول الله ﷺ يستلمه، ويقبله قال: قلت:

أرأيت إن زُحمت أرأيت إن غُلبت؟

قال أجعل أرأيت باليمن رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله.

ولذلك قال الشافعي رحمه الله تعالى: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام.

فعلم الكلام هو سبيل الانحراف والزيف والزندقة نسأل الله العافية.

وقال الشافعي: لقد أطلعت من أهل الكلام على شيء، والله ما توهمته قط، ولأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بالكلام.

وقال أبو يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيماء أفلس.

بل إن علماء الكلام كان منتهاهم إلى الحيرة والشك.

فهذا محمد بن عمر الرازي يقول:

وغيابة سعى العالمين ضلال	نهاية إقدام العقول عقال
حاصل دنيانا أذي ووبال	وأروحتنا في وحشة من جسوننا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا	ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا	فكم قد رأينا من رجال ودولة
رجال فزالوا والجبال جبال	وكم من جبال قد علت شرفاتها

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي غليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.

إلى أن قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

ويقول الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعًا كف حائر على ذقن أوقار عا سن نادم^(١)

فرد عليه الإمام الصنعاني بقوله:

لعلك^(٢) أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن ولاه من كل عالم

فما حار من يهدي بهدي محمد ولست تراه قارعًا سن نادم

وفي زماننا هذا أحيا علم الكلام الأخوان المسلمون، فتراه يرد عشرات الأدلة من الكتاب والسنة الصريحة الصحيحة لقول يوناني، أو نظرية من عند اليهود والنصارى وأضرابهم، ويقول: فكر بعقلك واستعمل ذهنك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

قبحًا لمن نبذا القرآن وراءه وإذا استدل يقول قال الأخطل

والجيد فيهم الذي يريد أن يوفق بين القرآن وأقوال أعداء الإسلام.

(١) راجع شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٠٩).

(٢) وبلا شك.

صفة الوجه لله تعالى

قوله: (ومما صح به النقل من الصفات الوجه قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨]):

صفة الوجه صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وقد ذكرت في كتاب الله تعالى في أحد عشر موضعاً قال الله تعالى:

الأول: قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

الثاني: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨].

الثالث: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

الرابع: قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

الخامس: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

السادس: قال الله جل في علاه: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ١٩-٢٠].

السابع: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢].

الثامن: قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٣٨].

التاسع: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

العاشر: قال الله جل في علاه: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ﴾ [الرعد: ٢٣].

الحادي عشر: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

على خلاف في الآية الأخيرة فجعلها ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٥) من الأدلة على إثبات صفة الوجه لله تعالى.

وجعلها النفاة حجة لهم في مورد النزاع، فجعلوا يستدلون بها على نفى الوجه لله تعالى.

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ١٦) أنها ليست من آيات الصفات مطلقاً، وأن المراد بها جهة الله وقبلة الله.

وفي البخاري برقم (٦٧٣٣)، ومسلم برقم (١٦٢٨) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَنْ تُخْلَفَ بَعْدِي فَتَعْمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُرْدَدْتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوُّوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي، وَلِي صَبِيَّةٌ صَغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَحِثُّتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا

رواه البخاري برقم (٢٣٣٣) ومسلم (٢٧٤٣) وهذا لفظه.

قال البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، استدل بحديث جابر رقم (٧٤٠٦) قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢] قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» فقال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا﴾ فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر».

والأدلة من السنة كثيرة جدًا على إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق به، وحرّف أهل البدع صفة الوجه بالذات، والأدلة ترد عليهم.

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

فلو كان المراد الذات لكان النعت بـ«ذي» لربك، ولكنه تابع للمنعوت، وهو وجه فرفع، فدل على أن المراد إثبات هذه الصفة لله تعالى.

وكذا أولوه بالملك، وملكه كل شيء، فلو كان الملك هو المراد لكان معنى قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، كل شيء هالك، إلا كل شيء، وهذه باطل.

راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/٤٢٧-٤٣٤)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/٢٧١).

قوله: (وفي الباب):

أي باب الصفات.

صفة النزول

قوله: (آيات وأحاديث منها: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة):

رواه البخاري برقم (٧١٩٤) ومسلم برقم (٧٥٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي؟ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي؟ فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟ فَأَغْفِرَ لَهُ».

قوله: (ورواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه).

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه حسن، رواه أحمد في «المسند» (١٢٠ / ١) برقم (٩٦٨)، والدارمي برقم (١٥٢٦)، والبخاري في «نصب الراية» (٢٤٧ / ١) من طريق ابن إسحاق، قال: حدثني عن عبد الرحمن بن يسار عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن علي بن أبي طالب، مرفوعاً، ولم يذكر لفظه.

ورواه أبو يعلى الموصلي برقم (٦٥٧٦) من طريق ابن إسحاق به، وذكر لفظه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء الآخرة إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا، فلم يزل بها حتى يطلع الفجر، يقول: ألا تائب؟ ألا سائل يعطى؟ ألا داع يجاب؟ ألا مذنب يستغفر فيغفر له؟ ألا سقيم يستشفى فيشفى». لكن في «مسند أبي يعلى» بدون ذكر والد عبيد الله. ولكنها زيادة ثقة، وهو إبراهيم أرفع من ثقة، ويونس وهو ابن بكير: حسن الحديث.

فالحديث حسن، وتصريح ابن إسحاق بالتحديث عن إبراهيم أيضًا عند أحمد والدارمي.

قوله: (ابن مسعود):

رواه أحمد في المسند (٣٨٨/١) و(٤٠٣/١-٤٤٦)، وأبو يعلى برقم (٥٣١٩)، والدارقطني (٨)، والآجري في الشريعة برقم (٧١٣-٧٤١)، وكلهم من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله عز وجل إلى سماء الدنيا، ثم تفتح أبواب السماء، ثم يسطر يده، فيقول: هل من سائل يعطي سؤله؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر».

وهو حديث صحيح.

قوله: (وجبير بن مطعم):

رواه أحمد في المسند (٨١/٤)، والدارمي برقم (١٥٢١)، وأبو يعلى برقم (٧٤٠٨)، وابن خزيمة (٣١٥-٣١٦)، والآجري في الشريعة برقم (٧١٥) كلهم من طريق حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن نافع بن جبیر، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله عز وجل في كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر». الحديث صحيح.

قوله: (وجابر بن عبد الله):

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ضعيف جدًا، رواه ابن خزيمة في «التوحيد» برقم (١٩١)، والدارقطني في «النزول» برقم (٦) عقب حديث ذكره لأبي سعيد وأبي هريرة، ثم ذكره من رواية محاضر قال: قال الأعمش: وأرى

أبأسفيان ذكره عن جابر أنه قال: ذلك في كل ليلة، وحديث أبي هريرة وأبي سعيد، سيأتي إن شاء الله تلو هذا الحديث.

وحديث جابر في «صحيح مسلم» برقم (٧٥٧) من طريق جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة».

وليس فيه ذكر النزول، وجرير أرجح من محاضر، فذكر النزول في حديث جابر يعتبر شاذاً في هذه الطريق.

وروى حديث جابر الدارقطني في «النزول» برقم (٧) ومن طريقه عبد الغني المقدسي في الترغيب في الدعاء برقم (٣٠): أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا الثلث الآخر، فيقول: ألا عبد من عبادي يدعون؟ فأستجيب له أو ظالم لنفسه يدعوني؟ فأغفر له ألا مقتر عليه؟ فأرزقه ألا مظلوم يستنصر؟ فأنصره، ألا عان يدعوني؟ فأفك عنه، فيكون ذلك مكانه حتى يصلي الفجر، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العليا على كرسيه».

وإسناده ضعيف جداً، فيه عبدالله بن سلمة بن أسلم، وتصحف عند الدارقطني، سلمة إلى مسلمة، وهو خطأ، وقد ضعفه الدارقطني وغيره وقال أبو نعيم: متروك؛ كما في الميزان.

ومحمد بن إسماعيل الجعفري، قال أبو حاتم: منكر الحديث كما في «الميزان».

قوله: (وحديث أبي هريرة وأبي سعيد):

سيأتي إن شاء الله تعالى هذا الحديث.

قوله: (وأبو سعيد الخدري):

رواه مسلم (٥٢٣ / ١) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى ينفجر الفجر».

قوله: (وخلق سواهم):

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق (ص ٣٨٦):

وحديث النزول رواه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأبو هريرة وجبير بن مطعم وجابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود وأبو سعيد الخدري وعمر بن عبد الله ورفاعة بن عرابة الجهني وعثمان بن أبي العاص الثقفي وعبد الحميد بن سلمة عن أبيه عن جده وأبو الدرداء ومعاذ وأبو ثعلبة الخشني وعائشة أم المؤمنين وأبو موسى الأشعري وأم سلمة وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان ولقيط بن عامر العقيلي وعبد الله بن عباس وعبادة بن الصامت وأسماء بنت يزيد وأبو الخطاب وعوف بن مالك وأبو أمامة الباهلي وثوبان وأبو حارثة وخولة بنت حكيم رضي الله عنهم.

وأكثر الروايات أن النزول في ثلث الليل الأخير، لكن جاء في رواية مسلم لحديث أبي سعيد وأبي هريرة المتقدمة أنه ثلث الليل الأول وفي مسلم (٥٢٢ / ١) عن أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه، وقد تقدم أنه ثلث الليل الأخير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٥ / ٤٧٠):

والنزول المذكور في الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة، وأتم التسليم الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، واتفق أئمة الحديث على صحته هو: «إذا بقي ثلث الليل الأخير».

وأما رواية النصف والثلثين، فانفرد بها مسلم في بعض طرقه، وقد قال الترمذي^(١): إن أصح الروايات عن أبي هريرة: إذا بقي ثلث الليل الأخير، وقد روى عن النبي ﷺ من رواية جماعة كثيرة من الصحابة كما ذكرنا قبل هذا، فهو حديث متواتر عن أهل العلم بالحديث، والذي لا شك فيه إذ بقي ثلث الليل الأخير، فإنه كان النبي ﷺ قد ذكر النزول أيضًا إذا مضى ثلث الليل الأول، وإذا انتصف الليل، فقوله حق، وهو الصادق المصدوق، ويكون النزول أنواعًا ثلاثة:

الأول: إذا مضى ثلث الليل الأول ثم انتصف^(٢)، وهو أبلغ، ثم إذا بقي ثلث الليل^(٣) وهو أبلغ الأنواع الثلاثة اهـ.

وقال الحافظ في الفتح (٣/٣٨):

ولم تختلف الروايات عن الزهري في تعيين الوقت^(٤)، واختلفت الروايات عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره، قال الترمذي في رواية أبي هريرة: أصح الروايات في ذلك أن الروايات المخالفة اختلفت فيها على رواها وسلك بعضهم طريق الجمع وذلك أن الروايات انحصرت في ستة أشياء:

أولها: هذه.

ثانيها: إذا مضى الثلث الأول.

ثالثها: الثلث الأول أو النصف.

(١) في سننه (٢/٣٠٩).

(٢) وهذا النوع الثاني.

(٣) وهذا النوع الثالث.

(٤) أي أنه الثلث الأخير.

رابعها: النصف.

خامسها: النصف أو الثلث الأخير.

سادسها: الإطلاق.

فأما الروايات المطلقة فهي محمولة على المقيدة، وأما التي بأو فإن كانت أو للشك فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه، وإن كانت للتردد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون النزول يقع في الثلث الأول، والقول يقع في النصف، وفي الثلث الثاني.

وقيل: يحمل على أن ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار. ويحمل على أن النبي ﷺ أعلم بأحد الأمور في وقت فأخبر به، ثم أعلم به في وقت آخر، فأخبر به فنقل الصحابة ذلك عنه، والله أعلم اهـ.

ومحصل الخلاف في الروايات أن الرواية التي فيها ثلث الليل الأول لم تذكر أنه تعالى ينزل في الثلث الأول، وإنما فيها إذا مضى ثلث الليل الأول، كذا في حديث أبي هريرة عند مسلم (١/٥٢٢)، وفي حديث أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهما عند مسلم (١/٥٢٣) «إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول ومضى، أو ذهب الثلث الأول» لا يتناقف مع كونه الثلث الأخير، فالثلث الأخير لا يكون إلا بعد مضي الثلث الأول.

وأما رواية الشطر فهي في صحيح مسلم (١/٥٢٢) عن أبي هريرة بروايتين الأولى:

إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه.

الثانية: ينزل الله في السماء الدنيا لشرط الليل، أو ثلث الليل الأخير.

قال الحافظ في الفتح (٣٨/٣):

فأما الروايات المطلقة فهي محمولة على المقيدة، وأما التي بأو، فإن كانت (أو) للشك فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه، وإن كانت للتردد بين حالين، فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال.

قلت: لا تقوى هذه الرواية أن تكون للتردد، خاصة وقد جاءت روايات صحيحة أخرى عن عدد كثير من الصحابة، وفيها الجزم بأن القول في الثلث الأخير، فراوية الثلث الأخير هي الأرجح.

ويؤيد هذا أيضًا ما رواه مسلم برقم (٧٥٧) عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة».

فهي ساعة واحدة، فإما أن تكون في أول الليل، أو شطره، أو ثلثه الأخير، وليست بثلاث ساعات، أو ساعتين، فهي في الثلث الأخير، والله أعلم.

قوله: (ومن قال: يخلو العرش عند النزول، أو لا يخلو، فقد أتى بقول مبتدع،

ورأي مخترع):

فهذه المسألة لا يخاض فيها لأنه لا دليل نفيًا ولا إثباتًا.

قال في لوامع الأنوار السنية (١/٣٤١):

قال التميمي في اعتقاد الإمام أحمد في حديث النزول: لا يجوز عليه الانتقال، ولا

الحلول في الأمكنة.

وكذا قال القاضي أبو يعلى، وقد وصفه النبي ﷺ بالنزول إلى سماء الدنيا، والعلو لا على جهة الانتقال والحركة كما جازت رؤيته، وتحلي للجبل لا على وجه الحركة. اهـ. بتصرف يسير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٣٦٦/٥-٣٦٨):
وأما سؤال السائل هل يخلو منه العرش أم لا يخلو منه؟

وإمساك المجيب عن هذا لعدم علمه بما يجب به؛ فإنه إمساك عن الجواب بما لم يعلم حقيقته، وسؤال السائل له عن هذا إن كان نفيًا لما أثبتته الرسول ﷺ فخطأ منه، وإن كان استرشادًا فحسن، وإن كان تجهيلًا للمسؤول فهذا فيه تفصيل:
فإن المثبت الذى لم يثبت إلا ما أثبتته الرسول ﷺ ونفى علمه بالكيفية فقوله شديد لا يرد عليه سؤاله، والمعترض الذى يعترض عليه بهذا السؤال اعترضه باطل، فإن ذلك لا يقدر في جواب المجيب.

وقول المسؤول: هذا قول مبتدع ورأى مخترع، حيدة منه عن الجواب يدل على جهله بالجواب الشديد، ولكن لا يدل هذا على أن نفى المعترض لما أخبر به الرسول ﷺ حق، ولا على أن تأويله بنزول أمره ورحمته تأويل صحيح.

ومما يبين ذلك أن هذا المعترض إما أن يقر بأن الله فوق العرش، وإما أن لا يكون مقرًا بذلك فإن لم يكن مقرًا بذلك كان قوله: هل يخلو العرش منه أم لا يخلو كلامًا باطلاً؛ لأن هذا التقسيم فرع ثبوت كونه على العرش.

وإن قال المعترض: أنا ذكرت هذا التقسيم لأنفى نزوله، وأنفى العلو لأنه إن قال: يخلو منه العرش لزم أن يخلو من استوائه على العرش، وعلوه عليه، وأن لا يكون

وقت النزول هو العلى الأعلى، بل يكون في جوف العالم، والعالم محيط به، وإن قال: إن العرش لا يخلو منه، قيل له فإذا لم يخل العرش منه لم يكن قد نزل، فإن نزوله بدون خلو العرش منه لا يعقل؟

فيقال لهذا المعارض: هذا الاعتراض باطل لا ينفعك لأن الخالق سبحانه وتعالى موجود بالضرورة، والشرع، والعقل، والاتفاق، فهو إما أن يكون مبايناً للعالم فوفاً، وإما أن يكون مداخلًا للعالم محايثًا وإما أن يكون لا هذا ولا هذا؟

فان قلت: إنه محايث للعالم بطل قولك؛ فإنك إذا جوزت نزوله وهو بذاته في كل مكان لم يمتنع عندك خلو ما فوق العرش منه، بل هو دائماً خال منه لأنه هناك ليس عندك شيء!

ثم يقال لك: وهل يعقل مع هذا أن يكون في كل مكان؟ وأنه مع هذا ينزل إلى السماء الدنيا؟ فإن قلت: نعم، قيل لك: فإذا نزل هل يخلو منه بعض الأمكنة أو لا يخلو؟

فإن قلت: يخلو منه بعض الأمكنة، كان هذا نظير خلو العرش منه، فإن قلت: لا يخلو منه مكان، كان هذا نظير كون العرش لا يخلو منه، فإن جوزت هذا كان لخصمك أن يجوز هذا.

فقد لزمك على قولك ما يلزم منازعك، بل قولك أبعد عن المعقول؛ لأن نزوله من هو فوق العالم أقرب إلى المعقول من نزول من هو حال في جميع العالم؛ فإن نزول هذا لا يعقل بحال، وما فررت منه من الحلول وقعت في نظيره، بل منازعك الذى

يجوز أن يكون فوق العالم وهو أعظم عنده من العالم وينزل إلى العالم أشد تعظيماً لله منك.

ويقال له: هل يعقل موجودان قائمان بأنفسهما أحدهما محايث للآخر؟
فإن قال: لا، بطل قوله.

وإن قال: نعم، قيل له: فليعقل أنه فوق العرش، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يخلو منه العرش، فإن هذا أقرب إلى العقل مما إذا قلت أنه حال في العالم.
وإن قلت: إنه لا مباين للعالم ولا مداخل، له قيل لك: فهل يعقل موجودان قائمان بأنفسهما ليس أحدهما مبايناً للآخر ولا محايثاً له؟

فإن جمهور العقلاء يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة، فإذا قال: نعم يعقل ذلك، فيقال له: فإن جاز وجود موجود قائم بنفسه ليس هو مبايناً للعالم ولا محايثاً له فوجود مباين للعالم ينزل إلى العالم ولا يخلو منه ما فوق العالم أقرب إلى المعقول، فإنك إن كنت لا تثبت من الوجود إلا ما تعقل له حقيقة في الخارج فأنت لا تعقل في الخارج موجودين قائمين بأنفسهما ليس أحدهما داخلياً في الآخر ولا محايثاً له.

وإن كنت تثبت ما لا تعقل حقيقته في الخارج فوجود موجودين أحدهما مباين للآخر أقرب إلى المعقول ونزول هذا من غير خلو ما فوق العرش منه أقرب إلى المعقول من كونه لا فوق العالم ولا داخل العالم.

فإن حكمت بالقياس فالقياس عليك لا لك، وإن لم تحكم به لم يصح استدلالك على منازعك به.

وأما قول السائل ليس هذا جوابي بل هو حيدة عن الجواب، فيقال له: الجواب على وجهين:

جواب معترض نافٍ لنزوله، وعلوه.

وجواب مثبت لنزوله وعلوه.

وأنت لم تسأل سؤال مستفت، بل سألت سؤال معترض ناف، وقد تبين لك أن هذا الاعتراض ساقط لا ينفك، فإنه سواء قيل إنه يخلو منه العرش، أو قيل لا يخلو منه العرش، ليس في ذلك ما يصحح قولك إنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا قولك إنه بذاته في كل مكان. اهـ.

والصحيح أنه قول لا دليل عليه؛ كما قرره المؤلف رحمه الله هو الصواب.

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: معلوم أن نفي الحركة والانتقال دخول في التكيف بغير علم، ونحن ممنوعون من ذلك لعدم علمنا بكيفية صفاته سبحانه وتعالى؛ لأنه عز وجل لم يخبرنا بذلك، ولا رسوله ﷺ.

انتهى من مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥٥/٥) جمع محمد بن سعد الشويعر.

والنزول صفة فعلية ثابتة لله تعالى بصحيح السنة.

قال الإمام الآجري في الشريعة (٣/١١٢٤-١١٢٦):

باب الإيمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة قال:

الإيمان بهذا واجب، ولا يسهل المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل، ولا يرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، وأن الأخبار قد صحت عن الرسول ﷺ: «أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة». والذين

نقلو إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إن الدين نقلو إلينا الأحكام والحلال والحرام، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث يحذرونه ويحذرون منه. اهـ.

قال شيخ الإسلام في اللامية:

والمؤمنون يرون حقاً ربهم وإلى السماء بغير كيف نزل وليس المراد بغير كيف نفى الكيفية، ولكن المراد بغير كيف نعلمه، ولا نخوض فيه.

وقد نفى نزول الرب تبارك وتعالى المعتزلة والجهمية والأشاعرة والماتريدية، واجتمعوا بأنه لو نزل لخلا منه العرش، ولو خلا منه العرش كان العرش والسموات والأرض فوقه أثناء النزول، وقالوا: أيلزم من ذلك أن يكون الله دائماً نازلاً إلى السماء؟

وقالوا: ثلث الليل الأخير يختلف من بلد إلى بلد آخر، ففي أي ثلث ينزل؟

فهذه ثلاث شبه مدارها أنهم شبهوا نزول الله بنزول المخلوقات.

وكذا قولهم: يلزم من ذلك أن يكون الله دائماً نازلاً إلى السماء، فهذا هو عين التشبيه الذي تفرون منه بزعمكم، فنزول الله تعالى ليس من جنس نزول العباد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وكما أنه تعالى يحاسب عباده يوم القيامة في ساعة واحدة، ولا يشغله شأن عن شأن، كذا أيضاً في صحيح مسلم برقم (٣٩٥)، وأبي داود برقم (١٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ، فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا

غَيْرُ تَمَامٍ»، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ، فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى حَمْدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ: مَجْدِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

فالله يقولها لكل مصل قرأ الفاتحة، وكم عدد المصلين الذين يقولونها، ولا يحصي عددهم إلا الله، وكل واحد يقول الله له ما ذكر في الحديث، ولا يشغله شأن عن شأن. وراجع الفتاوى (٥/٤٧٨-٤٨٠).

وكذا نقول: إن الله ينزل، ولا يلزم من نزوله ما قاله أهل البهتان، فاعتبروا يا أولي العرفان.

وأما قولهم: ثلث الليل الأخير يختلف من بلد إلى بلد آخر، ففي أي ثلث ينزل؟

قال الشيخ ابن عثيمين: رحمه الله في شرح الواسطية (ص ٤٠٢):

أَمِنْ أَوْلاً بِأَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي هَذَا الْوَقْتُ الْمَعِينِ، وَإِذَا آمَنْتَ لَيْسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ وَرَاءَ ذَلِكَ لَا تَقُلْ كَيْفَ؟ وَكَيْفَ؟

بل قل: إذا كان ثلث الليل في السعودية فالله نازل، وإذا كان في أمريكا ثلث الليل يكون نزول الله أيضاً، وإذا طلع الفجر انتهى وقت النزول في كل مكان بحسبه، فنزوله سبحانه وتعالى لا يقاس بنزول الخلق.

راجع مجموع الفتاوى (٥/٢٤٣ و ٤١٨).

ونزوله الذي أخبر به رسوله ﷺ إلى سماء هؤلاء في ثلث ليلهم، وإلى سماء هؤلاء في ثلث ليلهم لا يشغله شأن عن شأن.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٥/٢٤٣):

وأما من يتوهم أن السماوات تنفرج، ثم تلتحم، فهذا من أعظم الجهل، وإن وقع فيه طائفة من الرجال. اهـ.

وقد اختلف أهل السنة في نزول الرب تبارك وتعالى على أقوال ثلاثة:-

الأول: ينزل الله بذاته، وهو قول أبي القاسم التميمي، وهو من الشافعية، وقول طوائف من أهل الحديث والسنة والصوفية والمتكلمين.

الثاني: لا ينزل بذاته: بمعنى أنه ينزل لكن بذاته.

الثالث: ينزل ولا نقول بذاته ولا بغير ذاته، وهو الحق، حيث والمسألة لم يرد فيها دليل إثباتاً، أو نفيًا. اهـ بتصرف من مختصر الصواعق (ص ٤٠١).

شبه المعطلة في نفي النزول:

ومن شبه أهل التعطيل في نفي النزول ما يأتي:

الشبهة الأولى: أن ذلك مجاز، وأن المراد بالنزول الإحسان والرحمة، واستدلوا

بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٥]

قالوا: معلوم أن الحديد والأنعام لم تنزل من السماء إلى الأرض.

والجواب:

أولاً: أن المجاز حمار المبتدعة، وليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا في كلام العرب شيء اسمه مجاز، بل ولا شرع ولا عرف ولا استعمال صحيح.

ثانياً: أن قولهم: معلوم أن الحديد لم ينزل جرمه من السماء إلى الأرض وكذلك الأنعام يقال له: هذا معلوم لك بالضرورة، أم بالاستدلال؟ ولا ضرورة بذلك.

وأين الدليل على هذا المعلوم؟

ثالثاً: أن الله سبحانه وتعالى لم يقل أنزلنا الحديد من السماء، ولا قال إنه أنزل ثمانية أزواج من الأنعام من السماء إلى الأرض، فقوله: معلوم أن الحديد والأنعام لم تنزل من السماء إلى الأرض.

فلا يخرج النزول عن حقيقته إذ عدم النزول من مكان معين لاستلزام عدمه مطلقاً.

رابعاً: أن الحديد إنما يكون في المعادن التي في الجبال، وهي عالية على الأرض، وقد قيل: إن كل ما كان معدنه أعلى حديده أجود.

وأما الأنعام فإنها إنما تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يقال: أنزل ولم ينزل، ثم إن الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض.

خامساً: أن الإنزال على ثلاث درجات:

أحدها: إنزال مطلق: كإنزال الحديد والأنعام.

ثانيها: إنزال من السماء، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٨٣].

ثالثها: إنزال منه، كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

فالحديد والأنعام تنزلان نزولاً مطلقاً، والقرآن منزل منه تعالى، والماء منزل من السماء، وبهذا يظهر بطلان تلييس الجهمية والمعتزلة والمعتلة القائلين: أن كون القرآن منزلاً لا يمنع أن يكون مخلوقاً كالماء والحديد والأنعام. راجع مختصر الصواعق (ص ٣٧٨-٣٨١)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٨٢).

الشبهة الثانية: قالت الجهمية والمعتزلة: ينزل أمره، أو رحمته، وهذا باطل من وجوه:

الأول: أن الأصل عدم الحذف، أو التقدير.

الثاني: أنه يقول: من يدعوني فأستجب له، فهل أمره أو رحمته تقول: من يدعوني فأستجب له؟

هذا مما لا يعقل أن يكون القائل له غير الله سبحانه، والقادر عليه، فلم يكن إلا نزوله سبحانه هذا هو صريح الأدلة والمعقول.

الثالث: أنه حدد لنزوله ثلث الليل الأخير، وأمره ورحمته لم يحدد نزولهما بوقت، بل ينزلان في كل وقت.

الرابع: نزول أمره ورحمته لا تكون إلا منه، وهذا يقتضي أن يكون فوق العالم، وهذا يبطل مذهبهم في نفى علو الله^(١).

(١) راجع مجموع الفتاوى (٥/٤١٥-٤١٦).

الخامس: هل أمر الله ورحمته لا ينزلان إلا إلى السماء الدنيا فقط، ولا ينزلان إلى

الأرض؟

الشبهة الثالثة: قالوا ينزل ملك من ملائكته.

والجواب عنه من أوجه:

الأول: أن الأصل عدم الحذف، أو التقدير.

الثاني: أنه يقول: من يدعوني فأستجب له، فهل الملك يقول: من يدعوني

فأستجب له؟

هذا مما لا يعقل أن يكون القائل له غير الله سبحانه، والقادر عليه، فلم يكن إلا

نزوله سبحانه هذا هو صريح الأدلة والمعقول.

الثالث: أنه حدد لنزوله ثلث الليل الأخير، والملك لا يحدد نزوله في هذا

الوقت.

الرابع: أن نزول الملك على حسب زعمهم لا يكون إلا من عنده، وهذا يقتضي

أن يكون فوق العالم، وهذا يبطل مذهبهم في نفي علو الله^(١).

الخامس: هل ملائكة الله لا تنزل إلا إلى السماء الدنيا فقط، ولا ينزلون إلى

الأرض؟

فبطلت شبه أهل التعطيل، بفضل الله سبحانه.

مسألة: هل ينزل بذاته؟

هذا اللفظ مما لم يرد به دليل إثباتاً أو نفيًا، فالواجب العدول عنه، وأن نقول: ينزل ربنا، واستوى على العرش، وهكذا، في صفات الله، فكما لا تقول: خلق الله بذاته، وقدر بذاته... وهكذا، فكذا هنا.

وإنما قاله من قاله من أهل السنة إبطاً لقول أهل التعطيل.

راجع مختصر الصواعق (ص ٣١٨).

صفة الفرح

قوله: (وكل ما وصف به الرسول ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيذان به، كقوله ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته». متفق عليه):

الحديث رواه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢١٠٥/٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضْلَهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ».

كذا ذكره مختصراً، وذكره مسلم مطولاً برقم (٢٧٤٧) بلفظ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

وجاء نحوه عن عبد الله بن مسعود رواه البخاري برقم (٦٣٠٨)، ومسلم برقم (٢٧٤٤).

وجاء من حديث أبي هريرة برقم (٢١٠٢/٤)، والنعمان برقم (٢٧٤٥)، والبراء (٢٧٤٦) كلها عند مسلم.

وفيه إثبات صفة الفرح لله تعالى، وهي صفة فعلية خبرية ثابتة لله تعالى بصحيح السنة كما ترى، وإجماع السلف ذكره العثميين في شرح الواسطية، وشرح اللمعة.

تعريف الفرح، وأقسامه:

والفرح في المخلوق: لذة تقع في القلب بإدراك المحبوب، ونيل المشتهى، فيتولد من إدراكه حالة تسمى الفرح والسرور، كما أن الحزن والغم من فقد المحبوب.

وقد جاء الفرح في القرآن على نوعين، مطلق ومقيد:

فالمطلق جاء في الذم كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

والمقيد نوعان:

الأول: مقيد بالدنيا ينسى صاحبه بفضل الله، ومنتته، فهو مذموم، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

الثاني: مقيد بفضل الله وبرحمته، وهو نوعان أيضًا:

أحدهما: فضل الله ورحمته بالسبب، كقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٨٥].

ثانيها: فضل بالمسبب، كقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧١].

والفرح صفة كمال لهذا يوصف الرب بأعلى أنواعه، و أكملها كفرحه بتوبة التائب أعظم من فرحة الواجد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة بعد فقد هـ واليأس من حصولها^(١).

(١) راجع مدارج السالكين (٣/ ١٥٧-١٥٨) بتصرف.

وهذه الفرحة منه فرحة إحسان، وبر ولطف، لا فرحة محتاج إلى توبة عبده منتفعًا بها^(١).

وليس فرحه تعالى كفرح المخلوق، بل هو فرح يليق به تعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا تكيف.

واللام في قوله: لله للابتداء، ولفظ الجلالة مبتدأ، وخبره أشد، وفرحًا تميز. والراحلة: كل بعير نجيب يُركب سواء كان ذكرًا أم أنثى، ومنه قوله ﷺ: «الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة».

رواه البخاري برقم (٦٤٩٨) ومسلم برقم (٢٥٤٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والتوبة: الرجوع إلى الله عن معصيته.

وشروط التوبة تقدمت في بابها.

فوائد الحديث:

الأول: إثبات صفة الفرح لله تعالى كما يليق به عز وجل.

الثاني: أن فرحه تعالى يتفاضل.

الثالث: الحث على التوبة.

الرابع: فضل التوبة.

الخامس: دليل على البعث والحساب والجزاء.

السادس: إثبات صفة الألوهية لله تعالى.

(١) التنبيهات السننية ص (١٦٨).

السابع: تقبل التوبة من جميع الذنوب.

الثامن: دليل أن من وقع في الكفر خطأ لا يكفر (١).

التاسع: حاجة المسافر للراحة.

العاشر: حاجة الإنسان للطعام والشراب.

وأما ما ادعاه أهل التعطيل من الأشاعرة وغيرهم من تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضا، وتفسير الرضا بالشواب، فباطل وتحريف للكلم عن مواضعه.

قال الشيخ محمد خليل هراس في شرح الواسطية (ص ١٠٢):

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْفَرَحِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْكَلَامُ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي غَيْرِهِ مِنَ الصِّفَاتِ:

أَنَّهُ صِفَةٌ حَقِيقَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ التَّابِعَةِ لِشَيْئِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ.

فِيَحْدُثُ لَهُ هَذَا الْمَعْنَى الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْفَرَحِ عِنْدَمَا يُحْدِثُ عَبْدُهُ التَّوْبَةَ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَلَزِمٌ لِرِضَاهُ عَنْ عَبْدِهِ التَّائِبِ، وَقَبُولِهِ تَوْبَتَهُ.

وَإِذَا كَانَ الْفَرَحُ فِي الْمَخْلُوقِ عَلَى أَنْوَاعٍ:

فَقَدْ يَكُونُ فَرَحٌ خِفَّةٍ وَسُرُورٍ وَطَرَبٍ، وَقَدْ يَكُونُ فَرَحٌ أَشْرٍ وَبَطَرٍ؛ فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُتَزَّ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَفَرَحُهُ لَا يُشَبِّهُ فَرَحَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْبَابِهِ،

وَلَا فِي غَايَاتِهِ، فَسَبِّهُ كَمَا لِرَحْمَتِهِ، وَإِحْسَانُهُ الَّتِي يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لَهَا،
وَعَايَتُهُ إِتْمَامُ نِعْمَتِهِ عَلَى التَّائِبِينَ الْمُنِيبِينَ.

وَأَمَّا تَفْسِيرُ الْفَرَحِ بِإِلَازِمِهِ، وَهُوَ الرِّضَا، وَتَفْسِيرُ الرِّضَا بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ
نَفْيٌ، وَتَعْطِيلٌ لِفَرَحِهِ، وَرِضَاهُ سُبْحَانَهُ، أَوْجَبَهُ سُوءُ ظَنِّ هَؤُلَاءِ الْمَعْطَلَّةِ بِرَبِّهِمْ، حَيْثُ
تَوَهَّمُوا أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ تَكُونُ فِيهِ كَمَا هِيَ فِي الْمَخْلُوقِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ تَشْبِيهِهِمْ،
وَتَعْطِيلِهِمْ. اهـ.

صفة الضحك

وقوله: (ﷺ): «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد».

رواه الشيخان):

رواه البخاري برقم (٢٨٢٦)، ومسلم برقم (١٨٩٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُشْتَشْهِدُ».

وزاد مسلم (٣/ ١٥٠٥): «ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام، ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد».

وفي الحديث إثبات صفة الضحك لله تعالى، وهي صفة فعلية خبرية حقيقية ثابتة لله تعالى كما يليق به عز وجل بصحيح سنة رسول الله ﷺ، وإجماع سلف الأمة.

قال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد (٢/ ٥٦٣):

نؤمن بأنه يضحك جل وعلا إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ مصدقون بذلك بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه. اهـ.

قال الشيخ هراس رحمه الله في شرح الواسطية (ص ١١٣):

وأما تأويل ضحكه سبحانه بالرضا، أو القبول أن الشيء حل عنده بمحل ما يضحك منه، وليس هناك في الحقيقة ضحك، فهو نفى لما أثبت رسول الله ﷺ لربه، فلا يلتفت إليه. اهـ.

صفة القدم والرجل

وقوله: (حتى يضع رب العزة فيها قدمه، متفق عليه):

رواه البخاري برقم (٧٣٨٤)، ومسلم برقم (٢٨٤٨) وهذا لفظه عن أنس، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزُوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ».

ورواه البخاري برقم (٧٤٤٩)، ومسلم (٢١٨٦/٤) عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ: النَّارُ يُعْنِي أُورِثْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا. قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلُمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقَوْنَ فِيهَا فَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ثَلَاثًا حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ قَطُّ». وهذا لفظ البخاري.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: والكرسي موضع قدميه.

رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» برقم (٦١)، وابن خزيمة برقم (١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦)، والدارمي في «الرد على المريسي» (١/٣٩٩-٤٠٠ و ٤١٢ و ٤٢٣)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٥٨٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/٤٩١)، والطبراني في «الكبير» برقم (١٢٤٠٤)، وغيرهم

وهو صحيح قد تقدم مع زيادة تخريج وبيان.

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الواسطية (ص ٤١٣):

قوله فيها رجله، وفي رواية عليها قدمه، و(في، وعلى) معناها واحد، والظاهر أن (في) بمعنى (على)، كقوله: ﴿وَلَا صَلْبَيْنَكُم فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها. أما الرجل والقدم فمعناها واحد، وسميت رجل الإنسان قدمًا؛ لأنها تقدم في المشي، فإن الإنسان لا يستطيع أن يمشي برجله إلا إذا قدمها. اهـ.

والقدم أو الرجل صفة ذاتية خبرية ثابتة لله تعالى بصحيح السُّنة، وإجماع السلف.

وهي قدم حقيقة لا تماثل قدم أحد من المخلوقات، وقد خاض أهل التأويل والتحريف في هذه الصفة على مذاهب سبعة هي:

الأول: أن المراد بالقدم إذلال جهنم.

الثاني: أن المراد بها الفرط السابق، أي يضع الله فيها ما قدمه لها من أهل العذاب.

الثالث: أن المراد قدم المخلوقين، أو أن هنالك مخلوقًا اسمه قدم.

الرابع: أن المراد بالقدم الأخير.

الخامس: أن المعنى يضع الرب فيها موضعًا من الأمكنة التي عُصي الله فيها، فتمتلي؛ لأن العرب تطلق القدم على الموضع.

السادس: أن المراد بالقدم قدم صدق، وهو محمد ﷺ والإشارة بذلك إلى شفاعته، قاله الداوودي.

السابع: أن المراد قدم إبليس.

وهذه الأقوال كلها باطلة مجانبة للصواب، وقد ذكرها الحافظ في الفتح

(٥٩٦/٨) ساكتًا عليها عدا الأخير (السابع) حيث قال: وظهور بُعد هذا يغني عن

تكلف الرد عليه. اهـ.

قلت: وظهور بعد هذه الأقوال كلها يغني عن تكلف الرد عليها.

ومن يكن ذا فم مريض يجد مرًا به الماء الزلال

وقد رد عليها الغنيمان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/١٥٦ -

١٦٢).

صفة النداء والصوت

وقوله: (فينادي بصوت. رواه البخاري ومسلم):

ورواه البخاري برقم (٧٤٨٣) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار».

والحديث رواه مسلم برقم (٢٢٢)، لكن ليس عنده ما ذكره المصنف: فينادي بصوت، وإنما عنده أصل الحديث بدون هذه اللفظة. وفي الحديث إثبات صفتي النداء والصوت لله تعالى على حقيقته كما يليق به سبحانه.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرح الواسطية (ص ٤١٦):

قال: فينادي: أي الله، فالفاعل هو الله عز وجل.

وقوله بصوت، هذا من باب التأكيد لأن النداء لا يكون إلا بصوت مرتفع اهـ. وقد ضبط فينادي: بكسر الدال أكثر رواية البخاري، ويكون المعنى على ما تقدم، وفي رواية أبي ذر فينادي بفتح الدال على البناء للمجهول^(١)، وأبو ذر لم يسلم من الأشعرية، فلعله ضبطها على مذهبه، وما قاله جمهور رواة البخاري هو الحق. وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان في الكلام على إثبات صفة الكلام لله تعالى.

كون الله تعالى قبل وجه المصلي

وقوله: (فلا يصبق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه. متفق عليه):

رواه البخاري برقم (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى بُصَاقًا فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ، فَحَكَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قَبْلَ وَجْهِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى».

وهذا فيه إثبات صفة القرب لله تعالى، وهي صفة فعلية اختيارية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].
عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ».
رواه البخاري برقم (٤٢٠٢) ومسلم (١٧٠٢٤).

وفي رواية لمسلم: «والذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم».
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ خَيْرِ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمِينِي أَتَيْتُهُ هَزْوَلَةً».

رواه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وفي الحديث: أن الله قبل وجه المصلي: أي وجاهه وأمامه.

وأيضًا دليل معية الله العامة، وهي العلم وإحاطته تعالى وإطلاعه.

وفي حديث الحارث الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت». رواه الترمذي برقم (٢٨٦٣) وهو صحيح.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأدخله فنيح جنته في فتح الباري (١١٣/٣):

ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون معنى هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها، فيستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله، وإطلاعه على عباده، وإحاطته بهم، وقربه من عابديه، وإجابته لدعائهم، فيزدادون خشية الله، وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة ومراقبة، واستحياء، ويعبدونه كأنهم يرونه.

ثم حدث بعدهم من قل ورعه، وساء فهمه وقصده، وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره، وأراد أن يري الناس امتيازهم عليهم بدقة الفهم وقوة النظر، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان.

كما يحكى ذلك عن طوائف من الجهمية والمعتزلة، ومن وافقهم، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. اهـ.

قال شيخ الإسلام في الواسطية رحمه الله:

وليس معنى قوله: (وهو معكم) أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية

من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان.

وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم. اهـ.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في التمهيد (٥/ ٣٥٩):

وقد نزع بهذا الحديث بعض من ذهب مذهب المعتزلة في أن الله عز وجل في كل مكان، وليس على العرش، وهذا جهل من قائله؛ لأن في الحديث الذي جاء في النهي عن البزاق في القبلة أن يبزق تحت قدمه وعن يساره، وهذا ينقض ما أصلوه في أنه في كل مكان. اهـ كلامه.

أي أنه لو كان الله في كل مكان كما زعموا لما جاز أيضًا البزق عن يسار المصلي، أو تحت قدمه؛ لأنه سيكون هنالك على حد زعمهم، فهذا الحديث يرد عليهم أصلهم الذي أصلوه أن الله في كل مكان، فدل على أن الله في السماء، وبطل قول هؤلاء.

وقال ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد (٦/ ١٢٧-١٤٣):

فإن احتجوا بقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وبقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

ويقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، زعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه، وذاته تبارك وتعالى. قيل لهم: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأئمة؛ أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه.

وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير، فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش، ولا اختلاف في ذلك بيننا قط، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر، وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، فالإجماع، والاتفاق قد بين أن المراد بأنه معبود من أهل الأرض، فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله.

ومن الحجة أيضًا في أنه عز وجل على العرش فوق السماوات السبع: أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كرههم أمر، أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهكذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم إلخ كلامه رحمه الله، فراجع؛ فإنه قد شفى واستشفى جزاه الله خيرًا، ورحمه رحمة واسعة.

والبصاق: ما خرج من الفم، وفيه لغتان بصاق، وبزاق.

والمخاط: ما خرج من الأنف.

والنخامة: ما خرج من الحلق، وليس شيء من ذلك بنجس، ولكن القبلة يجب أن تنزه عن ذلك. اهـ من التمهيد (٣٦٢ / ٥).

وقد رواه البخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٥١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِيلَ قِيلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ».

وكيف الجمع بين هذين الحديثين - ومؤداهما واحد - وحديث حذيفة عند أبي داود: «من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه».

وهو في الصحيحة برقم (٢٢٢).

ونظيره حديث ابن عمر عند ابن حبان وابن خزيمة قال رسول الله ﷺ: «يجيء

صاحب النخامة في القبلة يوم القيامة وهي في وجهه».

وهو في الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله برقم (٢٢٣).

ولشيخنا محيي الحجوري حفظه الله رسالة في شرح حديث أنس، بعنوان: «فتح

الوهاب شرح حديث أنس في نهي المصلي أن يبصق إلى القبلة وفيه حكم البصاق في المسجد حكم المحراب»، ورجح حفظه الله نقلاً عن جماعة من أهل العلم أن ذلك خاص بالصلاة، فليرجع إليها.

قال عبد العزيز الرشيد في التنبهات السنية (ص ١٩٠):

إشارة إلى الرد على الجهمية والمعتزلة والرافضة الذين نبذوا كتاب الله وسنة

رسوله ﷺ وراء ظهورهم، وقدحوا في دلالتها على الصفات، وقالوا: الكتاب

والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، وأن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج

الفلسفية والطرق الكلامية، فانظر كيف لعب بهم الشيطان حتى أخرجهم من

الإيمان، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

[النساء: ٦٥]. إلى آخر كلام له ماتع.

أسماء الله الحسنى

قوله: (إلى أمثال هذه الأحاديث يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه):

كأسماء الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وإليك أسماء الله:

الأول: الله، الثاني: الرحمن، الثالث: الرحيم، قال الله جل في علاه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

الرابع: الإله، الخامس: الواحد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

السادس: الأحد، السابع: الصمد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢].

الثامن: الأعلى، قال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠].

التاسع: الأكرم، قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣].
 العاشر: الأول، الحادي عشر: الآخر، الثاني عشر: الظاهر، الثالث عشر: الباطن،
 قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ».

رواه مسلم برقم (٢٧١٣).

الرابع عشر: الخالق، الخامس عشر: البارئ، السادس عشر: المصور، قال الله جل في علاه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

السابع عشر: المنان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب».

رواه ابن ماجه (١٢٦٨ / ٢)، وهو حديث حسن.

الثامن عشر: القابض، التاسع عشر: الباسط، العشرون: المسعر، الحادي والعشرون: الرازق، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسْعَرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ».

رواه أبو داود وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٩٣ / ١).

الثاني والعشرون: البر، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

الثالث والعشرون: السميع، الرابع والعشرون: العليم، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

الخامس والعشرون: العزيز، السادس والعشرون: الغفار، قال الله تعالى: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥].

السابع والعشرون: التواب، قال الله جل في علاه: ﴿هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

الثامن والعشرون: الجميل: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً!

قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ». رواه مسلم برقم (٩١).

التاسع والعشرون: الحق، الثلاثون: المين، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

الحادي والثلاثون: الحكم، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ يَزِيدَ بْنِ هَانِيٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ».

رواه أبو داود برقم (٤٩٥٥) والنسائي (٥٣٨٧) وهو حسن.

الثاني والثلاثون: الحكيم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

الثالث والثلاثون: الغفور، الرابع والثلاثون: الحليم، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

الخامس والثلاثون: الغني، السادس والثلاثون: الحميد، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].

السابع والثلاثون: الحي، الثامن والثلاثون: القيوم، قال الله جل في علاه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

التاسع والثلاثون: الخبير، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

الأربعون: الخلاق، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

الحادي والأربعون: الودود، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج: ١٤].

الثاني والأربعون: الرؤوف، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ رُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠].

الثالث والأربعون: الرب، قال الله جل في علاه: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبا: ١٥]، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

رواه مسلم برقم (٤٧٩).

الرابع والأربعون: الرزاق، قال الله جل في علاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

الْمُتِينِ﴾ [الذاريات: ٥٨].

الخامس والأربعون: الرفيق، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ

الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ، وَاللَّعْنَةُ.

فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ».

قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ».

رواه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣).

السادس والأربعون: الرقيب، قال تعالى عن عيسى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

السابع والأربعون: السبوح، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِرَقْم (٤٨٧).

الثامن والأربعون: الملك، التاسع والأربعون: القدوس، الخمسون: السلام، الحادي والخمسون: المؤمن، الثاني والخمسون: المهيمن، الثالث والخمسون: الجبار، الرابع والخمسون: المتكبر، قال الله جل في علاه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

الخامس والخمسون: السيد، عن عبد الله بن الشخير قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّيِّدُ اللَّهُ».

رواه أحمد (٢٤-٢٥) وأبو داود (٤٨٠٦) وهو صحيح.

السادس والخمسون: الشاكر، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

السابع والخمسون: الشكور، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

الثامن والخمسون: الشافي، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا».

رواه البخاري برقم (٥٦٧٥) ومسلم برقم (٢١٩١).

التاسع والخمسون: الطيب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ».

رواه مسلم برقم (١٠١٥)

الستون: العلي، الحادي والستون: العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني والستون: العفو، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

الثالث والستون: الفتاح، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبا: ٢٦].

الرابع والستون: الوارث، قال سبحانه: ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣].

الخامس والستون: القدير، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

السادس والستون: القريب، السابع والستون: المجيب، قال الله جل في علاه

عن صالح عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

الثامن والستون: القهار، قال الله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

[إبراهيم: ٤٨].

التاسع والستون: القوي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

السبعون: عالم الغيب، الحادي والسبعون: الكبير، الثاني والسبعون: المتعالي، قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

الثالث والسبعون: الكريم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

الرابع والسبعون: اللطيف، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الخامس والسبعون: المجيد، قال الله جل في علاه: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].

السادس والسبعون: الوهاب، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

السابع والسبعون: المستعان، قال الله جل في علاه: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

الثامن والسبعون: المليك، التاسع والسبعون: المقتدر، قال الله جل في علاه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

الثمانون: علام الغيوب، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].
الحادي والثمانون: النور، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

الثاني والثمانون: الواسع، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

الثالث والثمانون: الولي، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

الرابع والثمانون: الهادي، الخامس والثمانون: النصير، قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

السادس والثمانون: الحفيظ، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [سبا: ٢١].

السابع والثمانون: القاهر، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨].

الثامن والثمانون: القادر، قال جل في علاه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام: ٦٥].

التاسع والثمانون: الزارع، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤].

التسعون: المعطي، عَنِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطَىٰ وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

رواه البخاري برقم (٣١١٦) ومسلم برقم في ٣٣- كِتَابُ الْإِمَارَةِ (٥٣) بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، برقم (١٠٣٧)، وليس عند الشاهد من الحديث.

الواحد والتسعون: الطيب، عن أبي رمثة أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُ الطيب».

رواه أحمد (١٦٣/٤) وهو صحيح.

الثاني والتسعون: الشهيد، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

الثالث والتسعون: الكفيل، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

الرابع والتسعون: المقيت، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

الخامس والتسعون: قيم السماوات والأرض، السادس والتسعون: المقدم، السابع والتسعون: المؤخر، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ... أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». رواه البخاري برقم (١١٢٠).

ورواه مسلم برقم (٧٧١) عن علي رضي الله عنه.

الثامن والتسعون: الوتر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ». رواه البخاري برقم (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

التاسع والتسعون: الديان، لحديث جابر عند أحمد (٤٩٥/٣) وفي سنده عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف، وله شاهد مرسل عند البيهقي في الأسماء والصفات (١٩٧/١)، وجاء هذا المرسل عن أبي الدرداء موقوفاً عند أحمد في الزهد (ص ١٤٢).

هذا حديث حسن لغيره.

المائة: بديع السماوات والأرض، قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٠١] (١).

الواحد والمائة: جامع الناس، قال تعالى: ﴿جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩].

الثاني والمائة: الحسب، قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

الثالث والمائة: شديد المحال، قال الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

الرابع والمائة: الحافظ، قال الله جل في علاه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

الخامس والمائة: الصادق، قال الله جل في علاه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٢ / ٤٨٥): -:

وكذلك أساءه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليس من هذه التسعة والتسعين.

السادس والمائة: غافر الذنب، السابغ والمائة: قابل التوب، الثامن والمائة: شديد العقاب، التاسع والمائة: ذو الطول، قال الله جل في علاه: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ﴾ [غافر: ٣].

العاشر والمائة: الغالب، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١].
الحادي عشر والمائة: الفاطر، قال الله تعالى: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

الثاني عشر والمائة: الكافي، قال الله جل في علاه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].
الثالث عشر والمائة: المالك قال الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].
الرابع عشر والمائة: المحيط، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤].

الخامس عشر والمائة: المولى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

السادس عشر والمائة: الوكيل، قال الله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

السابع عشر والمائة: أحسن الخالقين، قال الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

الثامن عشر والمائة: أرحم الراحمين، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْكُمْ يَوْمٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

التاسع عشر والمائة: أسرع الحاسبين، قال الله تعالى: ﴿أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

العشرون والمائة: الحاسب، قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].
الحادي والعشرون والمائة: المتين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

الثاني والعشرون والمائة: أحكم الحاكمين، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

الثالث والعشرون والمائة: أهل التقوى، الرابع العشرون والمائة: أهل المغفرة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].
الخامس والعشرون والمائة: الخير، قال الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وَعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ فَإِذَا هُمْ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ وَإِذَا الْخَيْزُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ بَعْدَ وَثَوَابِ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ».

رواه البخاري برقم (٣٦٢٢) ومسلم برقم (٢٢٧٢).

السادس والعشرون والمائة: خير الحاكمين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

السابع والعشرون والمائة: خير الفاتحين، قال الله تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

الثامن والعشرون والمائة: خير الفاصلين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

التاسع والعشرون والمائة: خير الغافرين، قال تعالى: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

الثلاثون والمائة: خير الماكرين، قال الله سبحانه: ﴿وَمَكْرُوا اللَّهَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

الواحد والثلاثون والمائة: خير المنزلين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

الثاني والثلاثون والمائة: خير الوارثين، قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

الثالث والثلاثون والمائة: خير الناصرين، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

الرابع والثلاثون والمائة: ذو الانتقام، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

الخامس والثلاثون والمائة: رفيع الدرجات، السادس والثلاثون والمائة: ذو العرش، قال الله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

السابع والثلاثون والمائة: ذو الفضل العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

الثامن والثلاثون والمائة: ذو المعارج، قال الله تعالى: ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣].

التاسع والثلاثون والمائة: عدو الكافرين، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

الأربعون والمائة: فائق الإصباح، قال الله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦].

الحادي والأربعون والمائة: فائق الحب والنوى، الثاني والأربعون والمائة: مخرج الميت من الحي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحُبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

الثالث والأربعون والمائة: مالك الملك، قال الله جل في علاه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦].

الرابع والأربعون والمائة: موهن كيد الكافرين، قال الله جل في علاه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨].

الخامس والأربعون والمائة: مخزي الكافرين، قال الله جل في علاه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢].

السادس والأربعون والمائة: مصرف القلوب، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

رواه مسلم برقم (٢٦٥٤).

السابع والأربعون والمائة: مقلب القلوب، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ».

رواه البخاري برقم (٦٦١٧).

الثامن والأربعون والمائة: الفاعل لما يريد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

التاسع والأربعون والمائة: الناصر، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ نَاصِرِي».

رواه البخاري برقم (٢٧٣١-٢٧٣٢).

قوله: (فيما يخبر به):

أي فيما ثبت عنه ﷺ.

صفات الله تعالى

ومن كل اسم من الأسماء المتقدمة تشتق صفة حقيقية تليق بالله تعالى، كصفة العظمة من العظيم، والقوة من القوي، والعزة من العزيز، وهي من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وقد تقدمت مفصلة. ومن غير عكس؛ فلا يُشتق من صفات الله تعالى أسماء بالشروط الماضية.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٦/ ٧٢):

وثبوت معنى الكمال قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة، دالة على معاني متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد له، وتفصيل محامده، وأن له المثل الأعلى، وإثبات معاني أسمائه، ونحو ذلك، كله دال على هذا المعنى. اهـ

وقد تقدم كثير من الصفات؛ ذكرها المؤلف رحمه الله، وتقدم الكلام عليها في مواضعها من الكتاب.

الفرقة الناجية

قوله: (فإن الفرقة الناجية):

الفرقة بكسر الفاء وتسكين الراء مفرد فرق بكسر الفاء، وفتح الراء هي الطائفة من الناس، وسميت بالناجية؛ لأنها تنجو من البدع والضلالات في الدنيا، وتنجو من عذاب النار يوم القيامة.

وهم أهل الحق، وما عدا هذه الفرقة فعلى باطل وانحراف، وقد تقدم مزيد تعريف بهم فيما مضى.

وعند أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

وهو حسن، بل صحيح بطرقه، وقد ذكرت طرقه حيث ذكره المؤلف.

فالناجية فرقة واحدة، وهم الجماعة الذين هم على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

وهذه الثنتان والسبعون الفرقة الهالكة هم من أمة محمد عليه الصلاة والسلام من أمة الإجابة لا من أمة الدعوة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤٨-٢٥٢):

فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وليس قوله: كلها في النار إلا واحدة، بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿[النساء: ١٠]﴾، ومع هذا فلا تشهد لمعين بالنار لإمكان أن يتوب، أو كانت له حسنة محت سيئاته.

أو كفر الله عنه بمصائب، أو غير ذلك، كما تقدم، بل المؤمن بالله ورسوله باطنًا، وظاهرًا الذي قصد اتباع الحق، وما جاء به الرسول إذا أخطأ ولم يعرف الحق، كان أولى أن يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب، فإن هذا عاص مستحق للعذاب بلا ريب، وأما ذلك فليس متعمدًا للذنب بل هو مخطيء، والله قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان.

والعقوبة في الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين، وإن كان في الآخرة خيرًا ممن لم يعاقب كما يعاقب المسلم المتعدي للحدود، ولا يعاقب أهل الذمة من اليهود والنصارى، والمسلم في الآخرة خير منهم.

وأيضًا فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى، يعمل لهواه، لا ديانة، ويصدر عن الحق الذي يخالفه هواه، فهذا يعاقبه الله على هواه، ومثل هذا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة، ومن فسق من السلف الخوارج ونحوهم كما روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال فيهم: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧]، فقد يكون هذا قصده لا سيما إذا تفرق الناس فكان ممن يطلب الرياسة له ولأصحابه.

وإذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة، وحمية، ورياء، وذلك ليس في سبيل الله، فكيف بأهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها؟ فإنهم

يفعلون ذلك شجاعة وحمية، وربما يعاقبون لما اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله لا لمجرد الخطأ الذي اجتهدوا فيه.

ولهذا قال الشافعي: لأن أتكلم في علم يقال لي فيه: أخطأت أحب إلي من أن أتكلم في علم يقال لي فيه: كفرت.

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممدوح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يُكفَّرون، وسبب ذلك أن أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفراً، وقد يكون كفراً؛ لأنه تبين له أنه تكذيب للرسول، وسبب للخالق، والآخر لم يتبين له ذلك، فلا يلزم إذا كان هذا العالم بحاله يكفر إذا قاله أن يكفر من لم يعلم بحاله. والناس لهم فيما يجعلونه كفراً طرق متعددة:

فمنهم من يقول: الكفر تكذيب ما علم بالاضطرار من دين الرسول، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك.

ومنهم من يقول: الكفر هو الجهل بالله تعالى، ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالموصوف، وقد لا يجعلها، وهم مختلفون في الصفات نفياً وإثباتاً.

ومنهم من لا يحده بحد، بل كل ما تبين أنه تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيثار بالله واليوم الآخر جعله كفراً إلى طرق آخر.

ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة فتكذيب الرسول كفر، وبغضه، وسبه، وعداوته مع العلم بصدقه في الباطن كفر، عند الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة العلم، وسائر الطوائف، إلا الجهم، ومن وافقه كالصالحى، والأشعري وغيرهم، فإنهم قالوا: هذا كفر في الظاهر، وأما في الباطن فلا يكون كفراً، إلا إذا

استلزم الجهل بحيث لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب، وهذا بناء على أن الإيمان في القلب لا يتفاضل، ولا يكون في القلب بعض من الإيمان، وهو خلاف النصوص الصريحة وخلاف الواقع ولبسط هذا موضع آخر.

والمقصود هنا: أن كل من تاب من أهل البدع تاب الله عليه، وإذا كان الذنب متعلقاً بالله، ورسوله فهو حق محض لله، فيجب أن يكون الإنسان في هذا الباب قاصداً لوجه الله، متبعاً لرسوله ليكون عمله خالصاً صواباً. اهـ.

فهؤلاء الثنتان والسبعين أصحاب البدع غير المكفرة، وأمرهم إلى الله؛ فهم تحت المشيئة، أما البدع المكفرة فلا يدخلون في هؤلاء.

أهل السنة والجماعة

قوله: (أهل السنة والجماعة):

السنة لغة: هي الطريقة قاله الأزهري في تهذيب اللغة (٢٨٦/١٢):

والسنة هي الطريقة المستقيمة المحمودة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة.

ومن قول العرب أن السنة الطريقة قول لبيد بن أبي ربيعة:

من معشر سنت لهم آباؤهم سننا ولكل قوم سنة وإمامها

ومنه قو القائل:

يارب وفقني فلا أعدل عن سنن الساعين خير سنن

وقد تطلق السنة على الطريقة الحسنة أو القبيحة، قال ابن منظور في لسان العرب

(٣٩٩/٦):

والسنة السيرة؛ حسنة كانت أو قبيحة.

قال خالد بن عتبة الهذلي:

فلا يجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

واصطلاحاً: قال ابن الأثير في النهاية (٤٠٩/٢):

قد تكرر في الحديث ذكر السنة، وما تصرف منها، والأصل فيها الطريقة والسيرة.

وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه وندب إليه

قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز.

ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة؛ أي: القرآن والحديث. اهـ

والجماعة لغة: مأخوذ من جمع، والاجتماع ضد الافتراق.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧):

الجماعة هي الاجتماع وضدها الافتراق. اهـ.

والجماعة في الأصل القوم المجتمعون، قاله هراس.

واصطلاحًا: قال محمد بن خليل هراس في شرح الواسطية (ص ١٦-١٧):

والمراد بهم هنا سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق

الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. اهـ.

وعرف المصنف الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة في «الدين الخالص»

(٣/ ٤١٨) بقوله:

الفرقة الناجية الملقبة بأهل السنة والجماعة: هم المحدثون، المتبعون، الموحدون،

المقتدون بكتاب الله العزيز وسنة رسوله المطهرة. اهـ.

وقال ابن حزم رحمه الله في الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٨٩-٩٠):

أهل السنة الذين نذكرهم: أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدع، فإنهم - أي

أهل السنة - الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة

الله عليهم.

ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً، إلى يومنا هذا، ومن

اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم. اهـ.

قوله: (يؤمنون به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل):

تقدم الكلام على هذا.

قوله: (وهؤلاء):

هم الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة.

وسطية أهل السنة والجماعة

قوله: (هم الوسط في فرق الأمة):

قال المصنف - رحمه الله - في الدين الخالص (٣/٤١٨):

فإنهم وسط بين الإفراط والتفريط، وعلاوة بين العدلين، والصراط المستقيم بين السبل. اهـ.

ففرق الأمة - أعني - الاثنتين والسبعين فرقة الهالكة كلها إنما ضلت بسبب الإفراط، أو التفريط.

قوله: (كما أن الأمة المرحومة هي الوسط في الأمم):

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدلاً خياراً.

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وروى الإمام أحمد (٤/٤٤٦) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه، أن

رسول الله ﷺ قال: «وأنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله تبارك وتعالى».

هذا حديث حسن.

وليس المعنى في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أنهم كانوا كذلك وانتهت الخيرية،

بل كان: هنا استمرارية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي كان سميعاً بصيراً ولا زال كذلك.

ومنه قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمُهْدِ صَبِيًّا﴾ أي وهو في المهد.

وقول الفرزدق:

فكيف إذا رأيت ديار قوم وجيران لنا كانوا كراما
أي ولا زالوا.

والأمة الإسلامية تعتبر وسطاً بين الأمم فمن ذلك:

الأول: وسط في التوحيد: بين قول اليهود الذين يصفون الله بالنقائص من بخل
وغل اليد وغيرهما، وقول النصارى الذين يلحقون المخلوقات الناقصة بالرب،
فيشبهون المخلوق بالخالق سبحانه وتعالى.

وهذا ما دل عليه الدليل: أن الله يوصف بما يليق به؛ مما ثبت به الدليل، ولا
يلحق بالمخلوق الضعيف، فالخالق سبحانه منزّه عما لا يليق به.

الثاني: في حق الأنبياء:

فاليهود قتلوا الأنبياء، واستكبروا عليهم، وغلت فيهم النصارى حتى جعلوا
من ليس بنبي ولا رسول نبياً ورسولاً، وغلت النصارى في عيسى حتى جعلوه إلهًا.
وأما هذه الأمة فعرفت لهم حقهم من الحب والتصديق بهم، ومن كان نبياً أو
رسولاً قالوا فيه ما ثبت الدليل في حقه من النبوة أو رسالة، وإن كان عبداً صالحاً
قالوا: عبد صالح.

وقالوا في عيسى: عبد الله ورسوله كما دلت عليه الأدلة، كما في صحيح البخاري
برقم (٣٤٣٥) ومسلم برقم (٢٨) عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ
شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ
اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ
الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

الثالث: في باب العبادات:

فإذا وقعت النجاسة في ثوب اليهودي فإنه لا يرى طهارته حتى يقطع الثوب، والنصارى يمشي بثيابه والنجاسة فيها، وهذه الأمة يغسلون موضع النجاسة حتى تطهر، ففي صحيح البخاري برقم (٢٣٦) ومسلم (٢٧٣) عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ يُشَدُّ فِي الْبَوْلِ، وَيَقُولُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ، فَقَالَ حَذِيفَةُ: لَيْتَهُ أَمْسَكَ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِلًا.

الرابع: في باب التشريع:

منع اليهود الخالق أن يبعث رسولاً بغير شريعة الأول، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠].

والنصارى جوزوا لأحبارهم أن يغيروا من الشرائع ما بعث الله به رسله، ويعبدون الله بما لم يشرع، قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وهذه الأمة قبلوا ما جاء عن الله تعالى، فأمنوا بجميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي هذا أدلة كثيرة.

الخامس: في باب المآكل والمشارب:

استحلت النصارى الخبائث وجميع المحرمات، واليهود حرم عليهم كل ذي ظفر، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]،

وقال الله جل في علاه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

أما هذه الأمة فأحلت لهم الطيبات، وحُرمت عليهم الخبائث.

أما قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٦٠]، فالمراد عالمي زمانهم، للأدلة المتكاثرة على أفضلية هذه الأمة.

قوله: (فهم وسط الأمة):

أي أهل السنة والجماعة.

الوسط: التوسط بين شيئين، وقد يكونا متناقضين وهو بمعنى العدل الخيار.

قوله: (في باب الصفات):

أي في باب صفات الله تعالى من حيث النفي والإثبات.

قوله: (بين أهل التعطيل والجهمية):

تقدم التعريف بالجهمية.

وهم في الحقيقة وإن ذكروا من فرق الإسلام، فهم ليسوا مسلمين مذ أقيمت عليهم الحجة، والقول بتكفيرهم هو قول جمهور العلماء، كما تقدم.

ويدخل في أهل التعطيل: المعتزلة والأشاعرة والماتريدية كل بحسبه.

ومذاهب هؤلاء في الصفات، وهو التحريف إما كلي أو جزئي، فالجهمية الغلاة ينكرون الأسماء والصفات، وغير الغلاة ينكرون الصفات.

والمعتزلة ينكرون الصفات، ويشبتون الأسماء مجردة.

والأشاعرة، والماتريدية يشبتون الأسماء، وينكرون الصفات ما عدا سبع صفات

مجموعة في قول السفاريني:

له الحياة والكلام والبصر سمع إرادة وعلم اقتدار
وأيضاً يثبتونها على خلاف ما أثبتتها السلف، وزادت الماتريديّة صفة ثامنة وهي
التكوين، وأثبتوا هذه الصفات بالعقل لا بالدليل.
قوله: (وأهل التمثيل المشبهة):

تقدم الكلام على التمثيل والتشبيه، بما يغني عن إعادته

وأما أهل التمثيل والتشبيه فقسمان:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق:

كتشبيه المشركين ألّتهم بالله في العبادة، أو الضر والنفع.

وكتشبيه النصارى لعيسى بالله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي

إِلَهِينِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

عَلِمْتُهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

ومن هؤلاء الحايطية من القدريّة أتباع أحمد بن حنبل، والسبائية ينسبون إلى عبد

الله بن سبأ قالوا العلي: أنت الله، فشبهوه بالله.

الثاني: تشبيهه الخالق بالمخلوق، وهو قسمان:

أحدها كتشبيه اليهود بقولهم: ﴿يد الله مغلولة﴾، وقولهم: ﴿إن الله فقير﴾.

ثانيها: تشبيه من أثبتوا صفات الله كصفات المخلوق فقالوا: يد الله كأيدنا،

ووجه الله كوجوهنا... وهكذا.

ومن هؤلاء المشبهة المنسوبة إلى داود الجواربي الذي وصف معبوده بجميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

والكرامية القائلون: إن الله جسم له حد ونهاية، وأنه محل للحوادث، وأنه مماس لعرشه أتباع محمد بن كرام بن سالم، ولهم مقالات شنيعة جدًا.

راجع الفرق بين الفرق (ص ٢٠٢).

قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/٥٢٣):

محمد بن كرام السجستاني المبتدع، شيخ الكرامية كان زاهدًا عابدًا ربايًا بعيد الصيت كثير الأصحاب، ولكنه يروي الواهيات كما قال ابن حبان. حُذِلَ حتى التقط من المذاهب أردأها، ومن الأحاديث أوهاها، ثم جالس الجويباري، وابن تميم ولعلهما قد وضعاً مئة ألف حديث، وأخذ التقشف عن أحمد بن حرب.

قلت: كان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد قلب، وعمل جوارح.

وقال خلق من الأتباع له: بأن الباري جسم لا كالأجسام، وأن النبي تجوز منه الكبائر سوى الكذب، وقد سجن ابن كرام ثم نفى وكان ناشفًا عابدًا قليل العلم.

قال الحاكم مكث في سجن نيسابور ثماني سنين ومات بأرض بيت المقدس سنة خمس وخمسين ومئتين.

قلت: طولنا ترجمته في تاريخ الإسلام.

وكانت الكرامية كثيرين بخراسان، ولهم تصانيف، ثم قلوا وتلاشوا نعوذ بالله من الأهواء. اهـ.

ومن هؤلاء الممثلة الهشامية المنسوبة إلى هشام بن الجواليقي الذي زعم أن معبوده على صورة إنسان، وأن نصفه الأعلى مجوف، ونصفه الأسفل مصمت.

ومنهم الزرارية أتباع زرار بن أعين الرافضي، في دعواها حدوث جميع صفات الله عز وجل، وأنها من جنس صفاتنا. ومنهم هشام بن الحكم الشيباني الرافضي الخبيث؛ الذي شبه معبوده بالإنسان وزعم أنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه جسم طويل عريض، وأنه كسبيكة الفضة، وكاللؤلؤة المستديرة.

ومن المشبهة مقاتل بن سليمان المفسر كذاب في الحديث.

قال أبو حنيفة: أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل، ومقاتل مشبه.

وقال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بال مخلوقات.
راجع الميزان (٤/ ١٧٣-١٧٥).

وغالب أصحاب هذا النوع من التشبيه من الرافضة، وهم أشهر من عرف به، لكن مقاتلاً ليس منهم.

راجع الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢١٤-٢١٩)، ووسطية أهل السنة بين الفرق (ص ٣١٧-٣١٨).

فأهل السنة والجماعة - بحمد الله - وسط بين الطرفين (بين المعطلة والمشبهة، وإن شئت قلت: الممثلة وهو الأفضل).

قوله: (كما أنهم وسط في باب أفعاله تعالى):

أي في باب القدر.

الجبرية

قوله: (بين الجبرية^(١)):

الجبرية قسمان:

الأولى: الجبرية الخالصة وهم:

الجبرية الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان، وقد تقدم الكلام عليه، وعليهم.
ومن أقوالهم: القول بالجبر، ولذا نسبوا إليه.

ومعنى الجبرية أن العباد مجبورون على أفعالهم، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا
لله وحده، وليس لهم فيها أي اختيار، وإنما تضاف إليهم على سبيل المجاز.
وقالوا: إن الله يريد الشر ويفعله؛ قالوا لأن الشر موجود فلا بد له من خالق ولا
خالق إلا الله.

وأما ما نسب إلى الخلق من أفعالهم فذلك كحركة الأشجار عند هبوب الريح
وزوال الشمس، وإنما فعل بالأشجار والشمس ذلك هو الله سبحانه.
الثانية الجبرية المتوسطة:

وهم الأشاعرة، وهم يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة، وهو ما يعبرون عنه
بالكسب.

(١) في الأصل (الحرورية) وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه ولعله تصحيف على المصنف رحمه الله، أو سبق
قلم منه أو من الناسخ، والعبارة أيضًا في (الواسطية) كما أثبتناه، والمصنف نقل هذا الكلام منها.
والله أعلم.

قال ابن القيم في شفاء العليل (١/٣١٣):

وكسب الجبرية لا معنى له، ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه، وضربوا له الأمثال، وأطالوا في المقال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في النبوات (ص ١٦٦) في الأشعري: ولا يقول إن العبد فاعل في الحقيقة بل كاسب.

ولم يذكروا بين الكسب والفعل فرقاً معقولاً، بل حقيقة قولهم قول جهم: إن العبد لا قدرة له ولا فعل ولا كسب. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية (١/٤٥٩): وقالوا عجائب الكلام ثلاثة:

طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري وأنشد في ذلك:

ومما يُقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنو إلى الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي وطفرة النظام

أما كسب الأشعري فهذا، وله مزيد بيان إن شاء الله في باب القدر.

وأما الحال عند البهشمي، فهو أن أبا هاشم الجبائي يقول:

الأحوال لا معلومة ولا مجهولة، ولا موجودة ولا معدومة.

وأما طفرة النظام: فهي أن إبراهيم النظام يقول:

إن الجزء ينتقل من المكان الأول إلى المكان الثالث، من غير أن يمر بالمكان الثاني

بطفرة.

وهذه الثلاثة الأمور مما لا حقيقة تحته حتى تفهم.

فنزاع الجهمية والأشاعرة في هذه المسألة لفظي، وكله يصب في مصب قول

جهم.

راجع شفاء العليل (ص ٢٥٥ / ٢ و ٣٠٩ - ٣١٣)، ووسطية أهل السنة بين

الفرق (ص ٣٧١ - ٣٧٢)، وكتاب القضاء والقدر للبيهقي تحقيق محمد بن عبد الله آل

عامر (ص ٧٨ - ٨٠).

ولفظ الجبر لفظ مبتدع أنكره السلف كالثوري والأوزاعي وأحمد وغيرهم.

انتهى من التنبيهات السنية.

القدرية

قوله: (والقدرية):

القدرية المعتزلة: وهم الذين يقولون: إن العباد هم الفاعلون لأفعالهم دون الله عز وجل، وأنهم هم الخالقون لأفعالهم، وهم طائفتان:
الأولى: القدرية الغلاة تنكر أن علم الله سبق الأشياء قبل وجودها، وأن الأمر أنف؛ أي مستأنف العلم إنما يعلمها الله سبحانه وتعالى بعد وقوعها.

قال النووي في شرح مسلم (١/١٠٩):

وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم. اهـ
وقول شيخ الإسلام في الواسطية: وَمُنْكَرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ. اهـ مقدم على كلام النووي، لا سيما وشيخ الإسلام بعد النووي، رحمهما الله.

الثانية: القدرية غير الغلاة: يقولون بتقدم علم الله على الأشياء، ولكنهم ينكرون عموم مشيئة الله، وأن الله قدر الخير ولم يقدر الشر.

وفي صحيح مسلم برقم (٨) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجُهَنِيِّ. فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ. فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ. فَاسْتَفْتَانَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَبَا

عَبْدُ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَفَقَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنْفٌ. قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ... ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ.

قال الثوري رحمه الله: معناه أول من قال بنفي القدر، فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق.

قال الأوزاعي رحمه الله: أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له: (سوسن) وكان نصرانياً، فأسلم، ثم تنصر، ثم أخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد.

رواه الآجري في الشريعة برقم (٥٥٥)، واللالكائي برقم (١٣٩٨) وسنده صحيح. وعن أنس بن عياض قال: أرسل إلي عبد الله بن يزيد بن هرمز فقال: لقد أدركت وما بالمدينة أحد يتهم بالقدر إلا رجل من جهينة يقال له معبد الجهني، فعليكم بدين العواتق اللائي لا يعرفن إلا الله تعالى.

رواه الآجري في الشريعة برقم (٥٥٦) وهو صحيح إلى عبد الله بن يزيد بن هرمز، وهو أحد فقهاء المدينة كما في الجرح والتعديل (١٩٩/٥).

وعن ابن عون يقول: أول ما تكلم الناس في القدر بالبصرة معبد الجهني وأبو يونس الأسواري.

رواه الآجري في الشريعة برقم (٥٥٧) وهو صحيح.

ويجمع بين الروایتين أن أول من قال بالقدر مطلقاً هو سوسن النصراني، وأول من قال به بعده معبد الجهني، وكان بالبصرة، وعن معبد أخذ غيلان الدمشقي.

والطائفة الأولى وهم القدرية الغلاة كفار، كفرهم ابن عمر كما تقدم.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم (١/ ١١١):

هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنه ظاهر تكفير القدرية.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا في القدرية الأول الذين نفوا تقدم علم الله

تعالى بالكائنات.

قال: القائل بهذا كافر بلا خلاف. اهـ.

وقال القاضي في إكمال المعلم (١/ ٢٠٢): وإنما الخلاف في القدرية الآن. اهـ.

قلت: أي من الطائفة الثانية.

والمعتزلة أكثرهم قدرية كما في الفرق بين الفرق (ص ٩٣) ..

وسياي مزيد بيان على مذهب القدرية في باب القدر.

والمهم أن أهل السنة والجماعة وسط بين قول الجبرية القائلين: بأن العبد مجبور

على أفعاله، وبين قول القدرية القائلين: أن أفعال العباد لا تدخل تحت قضاء الله

وقدره، ومشيتته.

فقال أهل السنة: إن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل على الحقيقة، وهي أفعال

العباد على الحقيقة، وهم قادرون على أفعالهم بقدره حقيقة مؤثرة في وقوع الفعل

منهم، والله الذي أقدرهم على أفعالهم على ذلك.

راجع وسطية أهل السنة بين الفرق (ص ٣٧٩).

قوله: (وفي باب أسماء الإيمان والدين بين المعتزلة والمرجئة):

تقدم تعريف الإيمان لغة.

المعتزلة

والمعتزلة: اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجًا منحرفًا في العقيدة والأحكام، وسموا بهذا الاسم نسبة لزعيمهم واصل بن عطاء الغزال حين اعتزل مجلس الحسن البصري، وتابعه عمرو بن عبيد بن باب.

أصول المعتزلة:

أصول المعتزلة خمسة:

- الأول: التوحيد: وحاصل ما فيه عندهم نفي صفات الله تعالى بدعوى التنزيه كالكلام، والرؤية، وأن الصفات ليست شيئًا غير الذات وإلا لتعدد القدماء.
- الثاني: العدل: وحاصل ما فيه عندهم نفي القدر، وأن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه، ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جورًا، والله تعالى عادل لا يجور.
- الثالث: الوعد والوعيد: وحاصل ما فيه عندهم نفي القدر، وأن الله إذا تعدد أحدًا من خلقه بعذاب، فإنه لا يجوز له أن لا يعذبهم، ويخلف وعده؛ لأنه لا يخلف الميعاد، ولا يغفر لمرتكب الكبيرة إلا إذا تاب، وعلى هذا فهم ينكرون الشفاعة.
- الرابع: المنزلة بين المنزلتين: فعندهم أن مرتكب الكبيرة خارج من الإيمان، وليس بكافر في الدنيا، أما في الآخرة فيقولون بخلود عصاة الموحدين في النار.
- الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وفي هذا عندهم الخروج على الأحكام الظلمة بالقتال.

راجع شرح الطحاوية (٢/ ٧٩٢-٧٩٣).

والمعتزلة اثنتان وعشرون فرقة تجتمع على هذه الأصول الخمسة.

راجع المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها.

والشاهد مما ذكره المصنف ما يسمون فاعل الكبيرة مسلم أم كافر؟

فالمعتزلة يقولون في فاعل الكبيرة: ليس بمؤمن، وأن حكمه أنه في النار، وأنه خالد فيها مخلدًا، إلا أن عذابه فيها دون عذاب الكفار، وتوافقهم الخوارج على هذا القول.

لكنهم يختلفون؛ فالمعتزلة يرون أنه في الدنيا ليس بمؤمن وليس بكافر (أي في منزلة بين المنزلتين)، والخوارج يقولون بكفره مطلقًا، وأنه يحل دمه وماله. راجع وسطية أهل السنة بين الفرق (ص ٣٤٣).

المرجئة

قوله: (والمرجئة):

والمرجئة لغة: من الإرجاء وهو التأخير، ومنه قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الشعراء: ١١١].

واصطلاحًا: هو تأخير العمل عن مسمى الإيمان.

والإرجاء اللغوي وهو التأخير أول من تكلم فيه هو الحسن بن محمد بن الحنفية قاله الحافظ في تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٠).

ثم قال الحافظ (٢/ ٢٩١):

قلت: المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذي يعنيه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وأما الإرجاء الذي يتعلق بالإيمان، فلم يعرج عليه، فلا يلحقه بذلك عاب، والله أعلم. اهـ

والمراد أنه أرجأ أمر علي ومعاوية في الفتنة، وأخر القول فيها، حتى ظهر له الحق أنه مع علي رضي الله عنه، والله أعلم.

وما الإرجاء بمعناه الاصطلاحي وهو الذي عابه السلف فأول من قال به: هو ذر بن عبد الله الهمداني المرهبي.

وقد عد الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ١٣٩) غيلان الدمشقي أول من قال بالإرجاء.

ولكن في الميزان (٣٢ / ٢) عن أحمد أنه قال في ذر أول من تكلم في الإرجاء^(١)
وقال الأزدي: يكتمون فيه كان مرجئاً، ونحوه كلام أبي داود.

وقال المغيرة: سلّم ذر على إبراهيم النخعي، فلم يرد عليه، يعني للإرجاء.
ونحو هذا دار بين ذر، وسعيد بن جبير، وقال سعيد: إن هذا يحدث كل يوم
ذنباً، والله لا كلمته أبداً. اهد بتصرف.

وثبت في السنة لعبد الله بن أحمد برقم (٦٧٧) عن سلمة بن كهيل قال: وصف
ذر الإرجاء، وهو أول من تكلم فيه، ثم قال: إني أخاف أن يتخذ هذا ديناً، فلما أته
الكتب من الآفاق، قال فسمعتة يقول بعد: وهل أمر غير هذا.

والحق أن أول من قال بالإرجاء هو ذر، وأما غيلان فلم أره ثابتاً عنه.
وأيضاً غيلان قدري، والإرجاء يتنافى مع القدر، وقد أخذ عن ذر الإرجاء حماد
ابن أبي سليمان وتوسع الثاني فيه.

تعاريف الإيمان عند المرجئة:

والمرجئة اختلفت تعاريفهم للإيمان على الأقوال:

الأول: أن الإيمان بالله هو: معرفة القلب فقط، وهذا قول الجهمية قال به جهم
سنة (١٢٨).

الثاني: أن الإيمان بالله مجرد تصديق القلب، ومعرفته، لكن له لوازم، فإذا ذهب
دل ذلك على عدم تصديق القلب، وأن كل قول أو عمل ظاهر دل الشرع على أنه كفر

(١) وهو ثابت عنه كما في مسائل الإمام أحمد لابن هاني (١٦٢ / ٢).

كان ذلك دليلاً على عدم تصديق القلب ومعرفته، وهذا قول أبي عبد الله الصالحى وأشهر قولي أبي الحسن الأشعري في مذهبه، وعليه أصحابه كالقاضي أبي بكر وأبي المعالي الجويني.

الثالث: أن الإيمان بالله: قول اللسان دون تصديق القلب مع قولهم: أن مثل هذا يعذب في الآخرة، ويخلد في النار إلا أن يصدق بقلبه، فيكون من أهل الجنة، وهذا قول الكرامية أتباع محمد بن كرام.

الرابع: أن الإيمان بالله: هو قول اللسان واعتقاد القلب. وهذا قول حماد بن أبي سليمان، وأبي حنيفة وغيرهما من مرجئة الفقهاء، وقول أبي محمد بن أبي كلاب.

راجع مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٤-٥٠٩)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣-٢٢٣). وقد قالت المعتزلة والخوارج: إن فاعل الكبيرة ليس بمؤمن، وقالت المرجئة: إنه مؤمن كامل الإيمان لا يضر مع الإيمان ذنب، وذلك أنهم لم يدخلوا العمل في مسمى الإيمان.

ومنشأ غلط الفريقين أنهم جعلوا الإسلام كتلة واحدة لا يتبعض ولا يتجزأ، ولا يزيد ولا ينقص.

فتوسط أهل السنة والجماعة بين الطرفين عملاً بالأدلة، فقالوا: إن الذي يفعل الكبيرة من المؤمنين: مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وفي الآخرة إن شاء الله عذبه على قدر ذنبه، ثم أدخله الجنة، وإن شاء الله عفا عنه ولم يعاقبه.

قوله: (وفي أصحاب رسول الله ﷺ):

تقدم تعريف الصحابي، وسيأتي لهذا فصل مستقل إن شاء الله تعالى.

الرافضة

قوله: (بين الرافضة):

الرافضة: هم ابتاع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي كان من يهود اليمن، ثم جاء وأظهر الإسلام، وهو زنديق خبيث، فأظهر حب علي بن أبي طالب حتى غلا فيه إلى أن قال: أنت الله، فحرق علي رضي الله عنه طائفة منهم، وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

وتسمى هذه الطائفة بالسبائية.

وسموا بالرافضة لرفضهم لأبي بكر وعمر، ولم يكن ظهر الرفض إلا بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، حيث قالوا لزيد بن علي: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: وزيراجدي رحمة الله عليهما.

قالوا: إذا نرفضك.

قال: اذهبوا فأنتم الرافضة.

ويجمعهم الغلو في آل البيت، ويكفرون من عداهم من الصحابة إلا نفرًا يسيرًا جدًا. ويقولون بعصمة الأئمة وأن الإمام أرفع من النبي.

ويقولون بالبدا على الله والرجعة، ورأس دينهم التقية؛ وهي الكذب.

وقد تفرعت منهم فرقًا عديدة، راجعها في كتب الفرق.

ولشيخ الإسلام كتاب نفيس في الرد عليهم يتكون من ثمانية مجلدات سماه «منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (١/ ٢٤-٢٨):

وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود:

قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي.

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل السيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء.

واليهود يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة، والحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم»^(١).

واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة.

واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن.

واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين، إنما يقولون: السام عليكم، والسام الموت، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يأكلون البحري الجري والمرامى والضباب^(٢)، وكذلك الرافضة.

(١) عن أبي أيوب، رواه أحمد (٤٢٢/٥) وهو حسن.

واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

واليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة.

وقد أخبرنا الله بذلك في القرآن أنهم: ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]، وكذلك الرافضة.

واليهود تسجد على قرونها في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا تسجد حتى تحقق برؤوسها مرارًا شبه الركوع، وكذلك الرافضة.

واليهود تبغض جبريل، ويقولون: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط بالوحي على محمد ﷺ.

وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة:

النصارى ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعًا، وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة، ويستحلون المتعة.

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين:

سُئِلَت اليهود من خير أهل ملتكم؟

قالوا: أصحاب موسى.

وسُئِلَت النصارى من خير أهل ملتكم؟

قالوا: حوارى عيسى.

وسُئِلَت الرافضة من شر أهل ملتكم؟

قالوا: أصحاب محمد ﷺ، أمروا بالاستغفار لهم ففسبوهم.

فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم،
ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة.
دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا للحرب نارًا
أطفأها الله. اهـ.

الخوارج

قوله: (الخوارج):

الخوارج: هم كل من خرج على الإمام الذي اتفقت الجماعة عليه، وسواء كانوا في أيام الخلفاء الراشدين أو غيرهم، وإن كانوا أئمة جور. وسموا خوارج لخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونسبهم إلى ذي الخويصرة.

عقيدتهم:

الأول: تعطيل صفات الله تعالى.

الثاني: وجوب الخروج على أئمة المسلمين لارتكاب الفسق أو الظلم.

الثالث: تكفير بعض الصحابة كأهل التحكيم، وأصحاب الجمل وعلي وعثمان ومن والاهما.

الرابع: القول بخلق القرآن.

الخامس: نفي رؤية الله في الآخرة.

السادس: عدم حجية خبر الآحاد.

السابع: إنكار وجود الجنة والنار الآن.

الثامن: إنكار الشفاعة.

التاسع: هم في القدر ثلاثة أقسام:

مجيبة، ونفاعة، وموافقون لأهل السنة.

العاشر: لا يشترطون الإمامة ابتداء في قریش.

وهم فرق تبلغ العشرين أكبرها ثمان فرق.

راجع الفرق بين الفرق للبغدادی، والملل والنحل للشهرستاني، والخوارج

تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية موقف الإسلام منها.

وأهل السنة والجماعة وسط بين الإفراط والتفريط، فلم يَغْلُوا كالرافضة في الحب والتعظيم المفرط، ولم يجفوا كالخوارج في البغض والتحقير والتكفير.

بل أحبوا جميع الصحابة رضوان الله عليه، ورأوا لأهل البيت حق قربهم من النبي ﷺ، وحق الإسلام، فأنزلوهم منزلتهم التي أنزلهم إياها ديننا الحنيف.

وكذلك عرفوا لبقية الصحابة حقهم من الود، والحب، والاحترام؛ لثناء الله

عليهم، ورضوانه عنهم، ولنصرتهم لرسوله ﷺ، ولدين الإسلام.

ولا نعادي أحداً منهم ونترضى عنهم خبراً ودعاءً، ونقول فيما حصل بينهم: إن

مصيبهم مأجور، ومخطأهم معذور، ولا نتعرض لتخطئة أحد منهم، قال الله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ونعتبر أن كل ما لم يكن عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في أمور الدين،

وحدث بعدهم أنه بدعة وضلالة وزيف.

ولا نجاة لأحد إلا بسلوك ما سلكوه من فهم كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله

ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي

شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ذكر بعض الصفات

صفة النفس

قوله: (فصل. ومما نطق بها القرآن وصح بها النقل من الصفات (النفس) قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]:

قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ﴾ هي بمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْرَجْتُكَ﴾ [طه: ١٣].

قال القاسمي في محاسن التأويل (١١ / ١٦٥):

والاصطناع افتعال من الصنع بمعنى الصنعة يقال: اصطنع الأمير فلاناً لنفسه

أي جعله محلاً لإكرامه باختياره، وتقريبه منه، بجعله من خواص نفسه اهـ.

وفي هذه الآيات إثبات النفس لله تعالى، وكذا قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ

وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

قوله: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا

ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ

مِنْهُمْ»):

رواه البخاري برقم (٦٩٧٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعنى الحديث كمال قدرته على كل شيء، فهو عند ظن العبد به، فيعمل بالعبد ما ظن العبد أن الله عامل به من خير أو شر.

راجع الفتح (١٣/٤٧٢).

وفي الحديث زيادة على ما تقدم إثباته صفة لله تعالى، وهي أن الله يذكر في ملاء، وفي نفسه كما يليق به تعالى خلافاً لما قرره الحافظ - من مذهب الأشاعرة - أنه الثواب.

قال الغنيان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/٢٦٣):

أي إن ذَكَرَ ربه سرّاً في نفسه، فإن الله يذكره في نفسه من غير اطلاع أحد من خلقه على ذلك. اهـ.

والملاء: هم الجماعة.

وقوله: خير، قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/٦٥):

يعني الملائكة المقربين.

وقوله: منهم، قال: أي من ملاء الذاكرين. اهـ.

وهذا الدليل من أقوى الأدلة لمن قال بأن الملائكة أفضل صالحي بني آدم.

قلت: ولا يلزم كون هؤلاء الملاء خير من ملاء بعينه، أن الملائكة أفضل من

صالحي بني آدم في الجملة.

قال الحافظ في الفتح (١٣/٤٧٣):

إن الذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة على صالحى بني آدم هم الفلاسفة، ثم المعتزلة، وقليل من أهل السنة من أهل التصوف، وبعض أهل الظاهرية، وجمهور أهل السنة أن صالحى بني آدم أفضل. اهـ بتصرف.

قلت: ليس أهل التصوف من أهل السنة، إلا إن عنى الحافظ مَنْ كان زاهداً من المتقدمين، وهو من أهل السنة، فأمر آخر، على أن الأفضل تحاشي هذا.

وهذه المسألة، ومسألة تفضيل الملائكة مبسطة في محلها إلى غير ذلك من الأدلة. ومن الأدلة أيضاً على إثبات النفس حديث أبي ذرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيْمَا رَوَى عَنْهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

وحدیث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبْعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ».

وقد تقدم الحديث، وهو حسن.

وحدیث عائشة قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُخْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

رواه مسلم (٤٨٦). والأدلة كثيرة.

وصفة النفس ثابتة لله تعالى كما ترى بالكتاب والسنة، وقد اختلف الناس في النفس على ثلاثة أقوال:

الأول: أن نفسه تبارك وتعالى هي ذاته المتصفة بصفاته، وهذا مذهب جمهور العلماء، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

الثاني: أن النفس من صفات الله تعالى وأنها صفة الذات، وهذا ظاهر صنيع ابن خزيمة في التوحيد (١ / ١١) حيث قال:

فأول ما نبداً به من ذكر صفات، خالقنا جل و علا في كتابنا هذا ذكر نفسه جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه، وعز أن يكون عدماً لا نفس له.

وسرد الأدلة على إثبات صفة النفس.

وقول ابن خزيمة: وعز أن يكون عدماً لا نفس له يرد بها على الذين ينفون الصفات عن الله؛ لأنهم يجعلونه بهذا معدوماً.

ومن أصحاب هذا القول الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف الفارسي الشيرازي في كتابه المعتاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات.

راجع مجموع الفتاوى (٥ / ٧١ - ٧٣).

الثالث: أن نفس الله ذاتاً مجردة عن الصفات، وهو قول أهل التعطيل.

راجع مجموع الفتاوى (٩ / ٢٩٢ - ٢٩٣).

والحق من هذا هو القول الثاني، وبه أيضاً قال البغوي في شرح السنة

(١ / ١٦٨)، وعبد الغني المقدسي في الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٤١) بتحقيقي.

وابن قدامة في لمعة الاعتقاد، والمصنف هنا وهو الموافق لمنهج السلف الصالح،

وعليه ظواهر الأدلة ولا حاجة للتأويل.

صفة الأصابع

قوله: (وقلوب العباد بين أصبعين من الرحمن يقلبهما كيف شاء):

روى الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٤) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

وكذا في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالنَّارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُجُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» إِلَى قَوْلِهِ: «يُشْرِكُونَ» [الزمر: ٦٧].

رواه البخاري (٧٥١٣) ومسلم (٢٥٨٦).

ففي هذا إثبات صفة الأصابع لله تعالى، وهي من الصفات الذاتية الحقيقية لله تعالى كما يليق به لا يشبهه شيء من مخلوقاته، وكذا لا يشبه شيئاً منها.

وليس في الحديث دليل للحلولية ولا هو موهم للحلول - كما زعموا-، فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض، وهو لا يمس السماء ولا الأرض.

راجع القواعد المثل للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص ٥٦).

«وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» [النحل: ٦٠]، وقال تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١].

و معنى قوله: يصرفه يقلبه ويبعده عن طاعة الله.

قوله: (ويوعيهها ما أراد):

أي ويمسكها كيف شاء على طاعته، أو غيرها.

ولذلك فقد جاء في آخر الحديث نفسه، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٤).

وقوله: (يوعيهها):

قد جاء في حديث أَسْمَاءَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنْفِقِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ».

رواه البخاري برقم (٢٥٩١)، ومسلم (١٠٢٩).

قوله: (وأن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]):

في هذه الآية إثبات صفة المجيء وقد تقدم الكلام عليها.

قوله: (وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]):

تقدم الكلام على الآية، وأنها ليس فيها دليل على قرب الله، وقرب الله تعالى مأخوذ من أدلة أخرى، وقد تقدمت.

قوله: (ومن صفاته سبحانه اليد واليمين):

تقدم الكلام عليها.

قوله: (والكف):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمَرَةً فَتَرَبُّوْ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلُهُ».

رواه البخاري برقم (١٤١٠)، وليس عنده لفظة «الكف»، ومسلم (١٠١٤) وهذا لفظه.

وفيه إثبات صفة الكف لله تعالى، وهي صفة ذاتية خبرية ثابتة كما يليق به تعالى.

قوله: (والإصبع):

تقدم الكلام عليها.

قوله: (والشمال):

تقدم الكلام عليها، وأنها لا تثبت صفة لله تعالى، وقد شذ بذكرها عمر بن حمزة

في حديث ابن عمر، وأن كلتا يدي ربي يمين.

قوله: (والقدم):

القدم بمعنى الرجل، وقد تقدم الكلام على هذا.

قوله: (والوجه):

تقدم الكلام على صفة الوجه.

قوله: (والنفس):

تقدم الكلام على صفة النفس.

صفة العين لله تعالى

قوله: (والعين):

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ [هود: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حُبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ إِلَّا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عَيْنَةُ طَافِيَةٍ».

رواه البخاري برقم (٣٤٤٠)، ومسلم (١٥٥).

وروى البخاري برقم (٧٤٠٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ الدَّجَالَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عَيْنَةُ طَافِيَةٍ».

رواه البخاري برقم (٤٧٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣) عن أنس.

وروى أبو داود برقم (٤٧٢٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ.

وهو صحيح.

ففي هذه الأدلة إثبات صفة العينين لله تعالى كما يليق به، وهي صفة ذاتية.

وقوله: (بأعيننا): قال عبد العزيز الرشيد في التنبيهات السنية (ص ٩٤):

أي بأمر منا، وتحت حفظنا وكلاءتنا. اهـ.

وقال ابن عثيمين رحمه الله (ص ٢٦٢):

أعيننا معك نحفظك، ونرعاك، ونعتني بك. اهـ.

وقال في مجموع فتاويه (٣/ ٢٣٤): ونؤمن بأن الله تعالى عينين حقيقتين، ثم ذكر

الآية. اهـ.

وقال في مجموع فتاويه (٣/ ٢٣٥):

وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان، ويؤيد قول النبي ﷺ في الدجال: «إنه

أعور، وإن ربكم ليس بأعور»^(١).

وقال في شرح الواسطية (ص ٢٦٣-٢٦٤):

ووجه الدلالة أنه لو كان لله أكثر من اثنتين لكان البيان به أوضح من البيان

بالعور؛ لأنه لو كان لله أكثر من عينين لقال: إن ربكم له أعين؛ لأنه إذا كان له أعين

أكثر من ثنتين صار وضوح أن الدجال ليس برب أيّن.

وأيضاً: لو كان لله عز وجل أكثر من عينين لكان ذلك من كماله، وكان ترك ذكره

تفويتاً للثناء على الله؛ لأن الكثرة تدل على القوة والكمال والتمام؛ فلو كان لله أكثر من

عينين لبينهما النبي ﷺ لئلا يفوتنا اعتقاد هذا الكمال، وهو الزائد على العينين الثنتين.

اهـ.

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٤٠)، ومسلم (١٥٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وأما قوله: (بأعيننا) ونظيرها من الأدلة التي تفيد الجمع، فالجواب عن ذلك بأحد أمرين:

الأول: أنها للتعظيم.

الثاني: أن أقل الجمع اثنان.

وحديث ابن عمر وأنس، وفهم السلف بل إجماعهم على أن الله عينين اثنتين حقيقتان تليقان به تعالى.

اهـ من كلام الشيخ ابن عثيمين في الواسطية (ص ٢٥٦).

قوله: (والنزول والإتيان والمجيء):

تقدم الكلام على هذه الصفات.

قوله: (والكلام والقول):

سيأتي على هذا إن شاء الله حيث يذكره المصنف في فصل مستقل.

صفة الساق

قوله: (والساق):

صفة الساق صفة ذاتية خبرية ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة الصحيحة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

وروى البخاري برقم (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قُلْنَا: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا»، ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، وَعُجْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّمَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ اشْرَبُوا، فَيَسَاقُطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ: لِلنَّصَارَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَسَاقُطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَجْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارْقَنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبَّنَا؟ فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ،

فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ، فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ».

وروى الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٩٤٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرِّقُ الْبَيْتَ، وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي، فَيَمُكُّتُ أَرْبَعِينَ»، لَا أَذْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، «فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عَزْرُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمُكُّتُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ».

قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَخْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتِمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَحْيُونَ، فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا، فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارُ رِزْقِهِمْ، حَسَنَ عَيْشِهِمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا» قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ»، قَالَ: «فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ» أَوْ قَالَ: «يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ - أَوْ الظِّلُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ،

وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ»، قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ».

قَالَ: «فَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ».

قال ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢-٢٥٣):

والصحابه متنازعون في تفسير الآية هل المراد الكشف عن الشدة، أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه، ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما ذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع. وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله؛ لأنه سبحانه لم يصف الساق إليه، وإنما ذكره مجرداً عن الإضافة مُنْكَرًا، والذين أثبتوا ذلك صفةً، كاليدنين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد المتفق على صحته، وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه: «يكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدًا»^(١) ومن حمل الآية على ذلك قال: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، مطابق لقوله ﷺ: «فيخرون له سجدًا»، وتنكيره للتعظيم، والتفخيم؛ كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة، جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير، أو مثل أو شبيه، قالوا: وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال: كشفت الشدة عن القوم لا كشف عنها كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ

(١) رواه البخاري برقم (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣).

يَنْكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠]، وقال: ﴿وَلَوْ رَجَمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ [المؤمنون: ٧٥]، فالعذاب والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه.

وأيضاً فهناك تحدث الشدة، وتشتد، ولا تزال إلا بدخول الجنة، وهناك لا يدعون إلى السجود، وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤-٣٩٥):
وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما روي من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار، والصغار، أكثر من مائة تفسير، فلم أجد إلى ساعتى هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات، أو أحاديث الصفات، بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل ثبت عنهم من تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله، وكذلك فيما يذكرونه؛ آثرين وذاكرين عنهم شيئاً كثيراً.

وتمام هذا أنى لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، فروى عن ابن عباس^(١) وطائفة أن المراد به الشدة، أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبى سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات، للحديث الذى رواه أبو سعيد في الصحيحين^(٢).

(١) وهذا لم يثبت كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣).

ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات؛ فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، نكرة في الإثبات لم يضيفها إلى الله ولم يقل: عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر.

ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها، ومفهومها، ومعناها المعروف، ولكن كثير من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولاً له، ثم يريدون صرفه عنه، ويجعلون هذا تأويلاً وهذا خطأ من وجهين كما قدمناه غير مرة. اهـ.

وعند التحقيق أنه لم يثبت عن أحد من السلف تأويل هذه الصفة، وما ورد عنهم فضيف ولم يصح عنهم، وهاك هي:

الأول: أثر ابن عباس رضي الله عنهما:

له عنه طرق:

١- طريق أسامة بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، عند ابن جرير والحاكم والبيهقي، وأسامة بن زيد وهو ابن أسلم ضعيف جداً.

٢- طريق العوفيين عن ابن عباس، عند ابن جرير والحاكم والبيهقي، وهي سلسلة بالضعفاء.

٣- طريق آخر عند ابن جرير من طريق محمد بن حميد الرازي، وهو كذاب، وفي هذه الطريق اضطراب.

٤- من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن علي عن ابن عباس عند ابن جرير والحاكم والبيهقي، وعبد الله بن صالح كاتب الليث ضعيف، وعلي هو ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

- ٥- طريق عند ابن جرير قال: حَدَّثْتُ عن الضحاك عن ابن عباس، وهو ضعيف جدًا لإيهام شيخ ابن جرير، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.
- ٦- طريق عند الطستي كما في الإتيقان، وفيها حميد الأعرج ضعيف جدًا، وفي السند من لا يعرف فهي ضعيفة جدًا.
- ٧- طريق عند ابن جرير عن مجاهد قال: شدة الأمر، وقال: قال ابن عباس: هي ساعة تكون يوم القيامة.
- وفيها ورقاء ضعفه أحمد في تفسيره، وابن أبي نجيح مدلس، وقد عنعن ولم يسمع تفسير من مجاهد فهي ضعيفة جدًا.
- ٨- أثر عند اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، وآفته جهالة رواته لم توجد لهم تراجم.
- ٩- طريق عند ابن منده في الرد على الجهمية، وسندها موضوع اتهم بها موسى ابن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني.
- ١٠- طريق عند البيهقي في الأسماء والصفات أن ابن عباس قرأ: تكشف عن ساق، وهذه سندها صحيح، لكنها تصحفت من يكشف إلى تكشف كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٥٥ / ٨) قال:
- وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن منده من طريق عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ: (يوم تكشف عن ساق) بفتح التاء، قال أبو حاتم السجستاني: أي تكشف الآخرة عن ساقها يستبين منها ما كان غائبًا. اهـ.
- وقد ذكر ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ: تكشف بالتاء، والعرب تقول: كشف هذا الأمر عن ساقه إذا صار إلى شدة.

وذكر الشوكاني هذه القراءة في فتح القدير (٢٧٣/٥) عن ابن مسعود وابن أبي عتبة.

وليس هذا عن ابن عباس بتأويل؛ لأنه على هذا ليس من باب الصفات.
الثاني: خبر مجاهد عند ابن جرير من طريق ابن جريج، وهو مدلس، وقد عنعن ولم يسمع، التفسير من مجاهد نص عليه ابن معين.

الثالث: خبر سعيد ابن جبير عند ابن جرير، وفي سنده محمد بن حميد الرازي وهو كذاب، وله طريق آخر ذكرها السيوطي في الدر المنثور بدون إسناده.
الرابع: خبر عكرمة عند البيهقي في الأسماء والصفات في سنده يحيى بن أبي طالب ضعيف.

الخامس: خبر إبراهيم النخعي عند ابن جرير في سنده محمد بن حميد كذاب.
السادس: خبر الربيع بن أنس وفي سنده أبو جعفر الرازي ضعيف.
السابع: خبر قتادة بن دعامة، له عنه طريقان:
أحدها: عند عبد الرزاق في تفسيره (٣١٠/٢)، وابن جرير (٥٥٥/٢٣) وهي من طريق معمر عن قتادة، وروايته عنه ضعيفة كما في ملحق شرح علل الترمذي لابن رجب (٦٨٩/٢).

ثانيها: عند ابن جرير (٥٥٥/٢٣) من طريق يزيد عن سعيد، عن قتادة، وهي ضعيفة، وهو سعيد بن أبي عروبة تغير بآخره، كما في الكواكب النيرات (ص ١٩٥).
ويزيد وهو ابن زريع روى عنه بعد الاختلاط، وقد قال يحيى بن سعيد: إن سعيد ابن أبي عروبة لم يسمع التفسير من قتادة كما في الجرح والتعديل (٢٤٠/١).
اهـ.

وذكره السيوطي في الدر (٢٥٦ / ٨) عن قتادة وعزاه لعبد بن حميد بدون سند.

فالحكم عليه بعد معرفة سنده وإن كان بالسند المتقدم فقد تبين حاله.

أضف إلى ذلك أن قتادة قد رمي بالقدر، قال الذهبي في ترجمته من تذكرة الحفاظ

(١ / ١٤٢):

وكان يرى القدر، قال ضمرة عن ابن شوذب: ما كان قتادة يرضى حتى يصيح به

صياحًا يعني القدر.

قال ابن أبي عروبة، والدستوائي: قال قتادة: كل شيء بقدر إلا المعاصي.

قلت: ومع هذا الاعتقاد الرديء ما تأخر أحد عن الاحتجاج بحديثه، سامحه الله.

اهـ

راجع كتاب «لا دفاعًا عن الألباني فحسب بل دفاعًا عن السلفية» (ص ٧-٢٠).

والخلاصة أنه لم يثبت عن أحد من السلف خلاف في شيء من آيات وأحاديث

الصفات فيما نعلم.

قال العلامة ابن قيم الجوزية كما في مختصر الصواعق المرسلة (١ / ٢١):

تنازع الناس في كثير من الأحكام، ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في

موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها، مع فهم معانيها

وإثبات حقائقها، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانًا، وأن العناية ببيانها أهم؛ لأنها

من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد، فبينها الله سبحانه وتعالى

ورسوله بيانًا شافيًا لا يقع فيه لبس يوقع الراسخين في العلم.

وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس، وأما آيات الصفات مشترك في فهم معانيها الخاص والعام أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية. اهـ.

وأيضاً هذا القول المنسوب إلى بعض السلف، وهو تأويل صفة الساق بالشدة مع كونه لا يثبت عن واحد منهم، فهو خاطئ وباطل ومخالف للأدلة لأمر:
الأول: أن في الحديث أن الله يكشف عن ساقه، والشدائد لا تسمى رباً.
الثاني: أنهم التمسوه ويتبعوه لينجوا من الأهوال والشدائد التي وقع فيها من كان يعبد غيره، إذا كان كذلك لم يجوز أن يلتمسوه على صفة تلحقهم فيها الشدة والأهوال.

الثالث: أنه قال: «فيخرون له سجداً»، والسجود لا يكون للشدائد. اهـ.
راجع كتاب إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/١٥٩).

الحقو

قوله: (الحقو):

الحقو صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بصحيح السنة.

ففي صحيح البخاري برقم (٤٨٣٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْخُلُقَ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ؟ قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ».

فيثبت الحقو لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكيف، كبقية الصفات الثابتة لله تعالى.

الجنب

قوله: (والجنب):

لا تثبت صفة الجنب صفة لله تعالى والسلف الصالح رحمهم الله تعالى لم يثبتوا الجنب صفة لله تعالى.

وقد رد أهل العلم على من أثبت الجنب صفة لله، منهم أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي قال الذهبي في السير (١٧/٥٦٩):

رأيت له كتابًا في مجلدين عامته جيد، وفي بعض تبويبه ما لا يوافق عليه أبدًا، مثل: باب الجنب لله وذكر فيه: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]. فهذه زلة عالم اهـ.

وكذا الدارمي في الرد على المريسي (٢/٨٠٧) قال:

وادعى المعارض أيضًا زورًا على قوم أنهم يقولون في تفسير قول الله: ﴿يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾، قال: يعنون بذلك الجنب الذي هو العضو وليس على ما يتوهمونه.

فيقال لهذا المعارض: ما أرخص الكذب عندك! وأخفه على لسانك! فإن كنت صادقًا في دعواك فأشر بها إلى أحد بني آدم قاله، وإلا فلم تشنع بالكذب على قوم هم أعلم بالتفسير منك، وأبصر بتأويل كتاب الله منك، ومن إمامك؟ اهـ. كلامه.

وهو كلام متين يفيد أنه لم يقل أحد من السلف ولا غيرهم بإثباتها صفة لله، وأما تفسير الجنب في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ﴿[الزمر: ٥٥-٥٦].

ففي تفسير الجنب ثمانية أقوال:

- ١- في طاعة الله تعالى.
- ٢- في حق الله تعالى.
- ٣- في أمر الله تعالى.
- ٤- في ذكر الله تعالى.
- ٥- في قرب الله تعالى، أي في طلب قربة الله تعالى وهي الجنة.
- ٦- في ثواب الله.
- ٧- في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه.
- ٨- في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله.

وكلها بمعنى، وهو أنه يلوم نفسه على تفريطه في طاعة الله، ويتندم على فعل المعاصي.

راجع تفسير ابن جرير (٣١٣/٢١-٣١٦)، وزاد المسير لابن الجوزي في (٦٠/٧) والقرطبي (٢٧١/١٥).

ولماذا لم تكن هذه صفة لله تعالى، ولم يثبتها السلف مع أنهم يقولون بإمرار آيات وأحاديث الصفات على ظواهرها؟

الجواب: أنها لو كانت صفة لله تعالى لما كان فيها شيء من تفريط المخلوقين، ألا ترى أنك لا تقول: فرطت في وجه الله، أو يد الله؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح (٤١٦/٤):

والتفريط ليس في شيء من صفات الله عز وجل، والإنسان إذا قال: فلان قد فرط في جنب فلان، أو جانبه لا يريد به أن التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص، بل يريد به أنه فرط في جهته وفي حقه.

فإذا كان اللفظ إذا أضيف إلى المخلوق لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المتصل بأضلاعه، بل ذلك التفريط لم يلاصقه، فكيف يظن أن ظاهره في حق أن التفريط كان في ذاته. اهـ.

وراجع الصواعق المرسلة (٢٤٤-٢٥١).

قوله: (الفوق):

تقدم الكلام عليه.

قوله: (والاستواء):

قوله: (القوة):

تقدم الكلام عليها.

قوله: (والقرب):

تقدم الكلام عليه.

البعد

قوله: (والبعد):

لم أر دليلاً من الكتاب، ولا من السنة ولا قول سلف على إثبات صفة البعد لله تعالى والأسماء والصفات توقيفية لا تثبت إلا بآية أو حديث صحيح، قال السفاريني رحمه الله:

لكنها في الحكم توقيفية لنا بذا أدلة وفيه

لذا فهذه الصفة (البعد) لا تثبت لله تعالى، لكن بقي إن أراد المصنف بالبعد العلو، فالمعنى صحيح، لكن اللفظ خطأ لا ينبغي إطلاقه، وإن عني ما هو المتبادر من معنى البعد، فهي زلة خطيرة عفا الله عنه وتجاوز عنه.

قوله: (والضحك):

تقدم الكلام عليه.

صفة العجب

قوله: (والتعجب):

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]، في قراءة من ضم التاء.

وهذا في قراءة بضم التاء، ومن قرأ بها حمزة، والكسائي وخلف وعامة قراء الكوفة، كما في المبسوط في القراءات العشر (ص ٣١٥)، وتفسير الطبري (٢/ ٢٢-٢٣).

وقرأ عامة قراء المدينة، والبصرة، وبعض قراء الكوفة، بالفتح.

وثبتت عن ابن مسعود عند الحاكم (٢/ ٥٠٥)، والبيهقي (١/ ٤١٥).

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنها قراءتان مشهورتان في

قراءة الأمصار، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب. اهـ.

وعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: «من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فأنطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعليهم بشيء فإذا دخل صيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومني إلى السراج حتى تطفئيه، قال: ففعدوا وأكل الصيف، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة».

رواه مسلم برقم (٢٠٥٤).

ورواه البخاري برقم (٣٧٩٨) بلفظ: «ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكم».

وفي صحيح البخاري برقم (٣٠١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ».

والعجب: صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة، وفهم السلف الصالح. والعجب من حيث هو قسمان:

الأول: خروج الشيء عن نظائره، فهذا الذي يثبت لله تعالى، ويتعجب الله منه تعظيماً لشأنه بخروجه عن نظائره، والله تعالى بكل شيء عليم.

الثاني: خفاء أسبابه على المتعجب، فهذا لا يوصف الله تعالى به، والله تعالى لا تخفى عليه خافية.

راجع مجموع الفتاوى (١٢٣/٦).

قوله: (والحب):

تقدم الكلام عليه.

قوله: (والكره):

تقدم الكلام علي هذه الصفة.

صفة المقت

قوله: (والمقت):

والمقت صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩].

وفي صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥) عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ».

والمقت: أشد البغض.

ونثبت هذه الصفة لله تعالى، وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب، والسنة الصحيحة، أو بأحدهما، كما يليق بالله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكيف، والله المثل الأعلى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

بعض الصفات

قوله: (والرضا، والغضب، والسخط، والعلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والمشية، والفوق، والمعية، والفرح، إلى غير ذلك مما نطق به الكتاب والسنة، فأدلة ذلك مذكورة فيها):

تقدم الكلام على جميع هذه الصفات وذكر أدلتها.

قال ابن أبي العزرحم الله في شرح الطحاوية (٤٦٣-٤٦٦):

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثباتُ صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى. كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية، ترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين.

وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه في صفة الاستواء كيف قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

وروي أيضًا عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا عليها، ومرفوعًا إلى النبي

ﷺ.

وكذلك قال الشيخ رحمه الله فيما تقدم: من لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زَلَّ ولم يصب التنزيه.

ويأتي في كلامه: أن الإسلام بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل.

فقول الشيخ رحمه الله: لا كأحد من الوري، نفى التشبيه.

ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفى للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريد ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده. فقد يحبُّ عندهم ويرضى ما لا يريد، ويكره ويسخط ويغضب لما أراد.

ويقال لمن تأول الغضب والرضى بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟

فلا بد أن يقول: إن الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى! فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب لا أنه الغضب، ويقال له أيضًا: كذلك الإرادة والمشئنة فينا، فهي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلَّا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريد ومفتقر إليه، ويزداد بوجوده، ويتقص بعدمه.

فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا جاز ذاك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.

فإن قال: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفةٌ للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة؟ قيل له: فقل: إن الغضب والرضى الذي يوصف الله به مخالفٌ لما يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة، فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات، لم يتعين التأويل، بل يجب تركه؛ لأنك تسلم من التناقض،

وَتَسْلَمُ أَيْضًا مِنْ تَعْطِيلِ مَعْنَى أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ بِلاَ مُوجِبٍ؛ فَإِنْ صُرِفَ الْقُرْآنُ عَنْ ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ حَرَامٌ، وَلَا يَكُونُ الْمَوْجِبُ لِلصَّرْفِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ عَقْلُهُ، إِذِ الْعُقُولُ مُخْتَلِفَةٌ، فَكُلُّ يَقُولُ: إِنْ عَقْلُهُ دَلَّ عَلَى خِلَافِ مَا يَقُولُهُ الْآخَرُ.

وَهَذَا الْكَلَامُ يَقَالُ لِكُلِّ مَنْ نَفَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا مَتْنَاعَ مَسْمًى ذَلِكَ فِي الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يُثَبَّتَ شَيْئًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى خِلَافِ مَا يَعْهَدُهُ، حَتَّى فِي صِفَةِ الْوُجُودِ، فَإِنْ وَجُودَ الْعَبْدُ كَمَا يَلِيقُ بِهِ، وَوُجُودُ الْبَارِي تَعَالَى كَمَا يَلِيقُ بِهِ، فَوُجُودُهُ تَعَالَى يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ، وَوُجُودُ الْمَخْلُوقِ لَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ، وَمَا سَمِيَ بِهِ الرَّبُّ نَفْسُهُ وَسَمِيَ بِهِ مَخْلُوقَاتُهُ، مِثْلُ الْحَيِّ وَالْعَلِيمِ وَالْقَدِيرِ، أَوْ سَمِيَ بِهِ بَعْضُ صِفَاتِهِ، كَالْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَسَمِيَ بِهِ بَعْضُ صِفَاتِ عِبَادِهِ: فَنَحْنُ نَعْقِلُ بِقُلُوبِنَا مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ حَقٌّ ثَابِتٌ مَوْجُودٌ، وَنَعْقِلُ أَيْضًا مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، وَنَعْقِلُ أَنْ بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ قَدَرًا مُشْتَرَكًا، لَكِنْ هَذَا الْمَعْنَى لَا يَوْجَدُ فِي الْخَارِجِ مُشْتَرَكًا، إِذِ الْمَعْنَى الْمَشْتَرَكُ الْكُلِّي لَا يَوْجَدُ مُشْتَرَكًا إِلَّا فِي الْأَذْهَانِ، وَلَا يَوْجَدُ فِي الْخَارِجِ إِلَّا مَعِينًا مُخْتَصًّا.

فِيثَبَّتَ فِي كُلِّ مِنْهُمَا كَمَا يَلِيقُ بِهِ. بَلْ لَوْ قِيلَ: غَضِبَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ وَغَضِبَ غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَمْ يَجِبْ أَنْ يَكُونَ مِمَّاثِلًا لِكَيْفِيَةِ غَضَبِ الْآدَمِيِّينَ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَيْسُوا مِنَ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةِ، حَتَّى تَغْلِي دِمَاءَ قُلُوبِهِمْ كَمَا يَغْلِي دُمُ قَلْبِ الْإِنْسَانِ عِنْدَ غَضَبِهِ فَغَضِبَ اللَّهُ أَوَّلَى.

وَقَدْ نَفَى الْجَهْمُ وَمَنْ وَافَقَهُ كُلٌّ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، مِنْ كَلَامِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ وَحُبِّهِ وَبَغْضِهِ وَأَسْفَهُ وَنَحْوِهِ ذَلِكَ، وَقَالُوا: إِنَّمَا هِيَ أُمُورُ مَخْلُوقَةٍ مُتَفَصِّلَةٌ عَنْهُ، لَيْسَ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُتَصِفًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كُلاب ومن وافقه، فقالوا: لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً، بل جميع هذه الأمور صفاتٌ لازمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت. كما قال في حديث «الشفاعة»: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»^(١).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخيرُ في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيتكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٢).

فيستدل به على أنه يحل رضوانه في وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضواناً لا يتعقبه سخط. وهم قالوا: لا يتكلم إذا شاء، ولا يضحك إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء، ولا يرضى إذا شاء، بل إما أن يجعلوا الرضى والغضب والحب والبغض هو الإرادة، أو يجعلوها صفات أخرى، وعلى التقديرين فلا يتعلق شيء من ذلك لا بمشيئته ولا بقدرته، إذ لو تعلق بذلك لكان محلاً للحوادث!

فنفى هؤلاء الصفات الفعلية الذاتية بهذا الأصل، كما نفى أولئك الصفات مطلقاً بقولهم ليس محلاً للأعراض.

(١) تقدم بطوله.

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

وقد يقال: بل هي أفعال، ولا تسمى حوادث، كما سميت تلك صفات، ولم تُسمَّ أعراضاً. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى، ولكن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في الصفات في المختصر في مكان واحد، وكذلك الكلام في القدر ونحو ذلك، ولم يعتنِ فيه بترتيب. وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيبُ جواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام، حين سألَه عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»... الحديث^(١).

فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم وثم، إلى آخره.

قوله: (فكل هذه الصفات تساق مساقاً واحداً):

أي كلها تثبت لله تعالى على ظاهرها، لا يثبت بعضها دون بعض.

قوله: (ويجب الإيمان بها على أنها صفات حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين ولا

يمثل ولا يعطل ولا يرد ولا يجحد ولا يتأول بتأويل يخالف ظاهره):

تقدم شرح هذا بما بغني عن إعادته هنا، وهذا يعتبر تكراراً من المؤلف.

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) ومسلم برقم (١٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه مسلم برقم (٨) عن عمر رضي الله عنه.

المحتويات

٥	مقدمة فضيلة الشيخ العلامة يحيى الحجوري حفظه الله
٦	مقدمة الشرح
٨	عملي في هذا الكتاب
١٠	قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر
١١	سبب شرح هذا الكتاب
١٣	ترجمة المصنف
١٤	عقيدته:
١٦	رسالة الشيخ حمد بن عتيق:
٢٧	ثناء العلماء عليه:
٢٨	مؤلفاته:
٢٩	جهوده المختلفة:
٣٠	وفاته:
٣١	وصف المخطوط
٣٦	النص المشروح
٣٧	البسملة
٥٠	الحمد
٥٩	الصلاة والسلام
٥٩	صفة الصلاة على النبي:
٦٧	العبادة
٧١	أقسام الهداية
٧٢	الآل
٨٠	أصحاب الحديث
٨٤	السنة
٨٧	الإيمان بالله
٩٧	ما يقدح في توحيد الأسماء والصفات:

٩٩	ثمرات الإيمان بالله :
١٠٠	الإيمان بالملائكة
١٠٤	ثمرات الإيمان بالملائكة:
١٠٥	الإيمان بالكتب
١٠٥	ما يتضمنه الإيمان بالكتب :
١١٢	ثمرات الإيمان بالكتب :
١١٣	الإيمان بالرسل
١١٩	ما يتضمنه الإيمان بالرسل :
١٢٥	مسألة: هل الأنبياء والرسل يتفاضلون ؟
١٢٧	ثمرات الإيمان بالرسل عليهم السلام :
١٢٨	إثبات صفات الله تعالى
١٣١	التحريف
١٣٤	التعطيل
١٣٧	التكييف
١٣٩	التمثيل
١٥٢	التأويل
١٥٥	الإلحاد في أسماء الله
١٥٥	أقسام الإلحاد:
١٥٦	الآيات
١٦١	قياس الخالق بالمخلوق
١٦٤	الجمع بين النفي والإثبات
١٧٨	الصراط:
١٨٠	الصديق:
١٨١	الشهيد:
١٨١	الشهداء ثلاثة أقسام:
١٨٢	الصالح:
١٨٣	سورة الإخلاص

١٨٦	تفسير آية الكرسي
١٩٧	آيات أخرى جمعت بين صفات النفي والإثبات
٢٠١	علم الغيب:
٢٠٨	التوكل
٢٠٩	الرزق
٢١٢	الإرادة
٢١٦	معاني الضلال:
٢٢٠	الإحسان
٢٢٢	التوبة
٢٢٨	المحبة
٢٢٩	أسباب محبة الله تعالى:
٢٣١	الرحمة
٢٣٦	الغضب
٢٣٨	بعض الأسماء غير الثابتة لله تعالى
٢٤٠	الكراهة
٢٤١	الإتيان
٢٤٣	الرؤية
٢٤٥	المكر والكيد
٢٤٦	العزة
٢٤٨	فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَدَاً:
٢٥٠	حمد الله على كماله
٢٥٣	التبرُّك
٢٥٦	كمال غنى الله تعالى في ملكه
٢٥٩	الاستواء
٢٦٨	المخالفون للسلف في الاستواء:
٢٧١	موقف الأشاعرة من الاستواء:
٢٧١	والرد عليهم:

- ٢٧٢ مسألة تتعلق بالاستواء: مسألة أخرى: هل استواء الله تعالى على العرش بحدٍ؟
- ٢٧٢ العلو
- ٢٧٤ معنى العرش:
- ٢٩٠ أول المخلوقات:
- ٢٩٤ والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها وأثقلها:
- ٢٩٥ هل يدخل العرش فيما يقبض ويطوى؟
- ٢٩٧ أقسام العلو:
- ٣٠٦ أقوال أهل البدع في العلو:
- ٣٠٧ تنوع الأدلة الدالة على العلو:
- ٣١٢ جحود صفات الله كفر:
- ٣٢٢ الجهمية:
- ٣٢٤ العرب:
- ٣٢٧ العجم:
- ٣٣٠ تجنب الألفاظ المبتدعة
- ٣٣٩ الجهة والحيز:
- ٣٤٣ الحلولية والاتحادية:
- ٣٤٥ أيهما أشد خطرًا الحلول أم الاتحاد؟
- ٣٤٧ الفطرة تدل على علو الله:
- ٣٤٩ أصل ضلال المبتدعة:
- ٣٥٣ شبهة أن السماء قبلة الدعاء وجوابها:
- ٣٥٤ ذم المتكلمة
- ٣٥٧ خطورة القراءة في كتب أهل البدع
- ٣٦٠ الحق بين الغلو والجفاء
- ٣٦٢ علم الإعجاز والكلام
- ٣٧٤ الجمع بين صفات للخالق وهي للمخلوق ولا يلزم المماثلة
- ٣٧٨ المعية
- ٣٨٩

٤٠٥	الرد على المفوضة
٤٠٨	شبه المفوضة:
٤١١	صفة اليمين لله تعالى
٤٣٤	اتباع الحق وذم الكلام
٤٣٨	صفة الوجه لله تعالى
٤٤٢	صفة النزول
٤٥٥	شبه المعطلة في نفي النزول:
٤٦٠	صفة الفرح
٤٦١	تعريف الفرح، وأقسامه:
٤٦٥	صفة الضحك
٤٦٦	صفة القدم والرجل
٤٦٩	صفة النداء والصوت
٤٧٠	كون الله تعالى قبل وجه المصلي
٤٧٥	أسماء الله الحسنى
٤٩٠	صفات الله تعالى
٤٩١	الفرقة الناجية
٤٩٥	أهل السنة والجماعة
٤٩٧	وسطية أهل السنة والجماعة
٥٠٤	الجبرية
٥٠٧	القدرية
٥١٠	المعتزلة
٥١٠	أصول المعتزلة:
٥١٢	المرجئة
٥١٣	تعاريف الإيمان عند المرجئة:
٥١٥	الرافضة
٥١٩	الخوارج
٥١٩	عقيدتهم:

٥٢٢	ذكر بعض الصفات
٥٢٢	صفة النفس
٥٢٧	صفة الأصابع
٥٣٠	صفة العين لله تعالى
٥٣٣	صفة الساق
٥٤٢	الحقو
٥٤٢	الجنب
٥٤٥	البعد
٥٤٦	صفة العجب
٥٤٨	صفة المقت
٥٤٩	بعض الصفات
٥٥٤	المحتويات

